يوهان كريستوف آرنولد
Johann Christoph Arnold

تقديم: نيافة الأنبا أنطونيوس
ورسالة من الأم تيريزا

طبعة جديدة
معززة بالآيات

"أنا سعيد بمحتويات الكتاب، وبما فيه من قناعة. إن مثل هذا الالتزام الأدبي سوف يثير بلاشك الكراهية، بل والاضطهاد. لكن علينا، وبمعونته، الاستمرار في محاولاتنا للتغلب على الشر بالخير".

البابا السابق بنديكتس

الجنس والله والزواج

Sex, God & Marriage

الجنس والله والزواج

Sex, God & Marriage

بقلم

يوهان كريستوف آرنولد

Johann Christoph Arnold

تقديم

نيافة الحبر الجليل

الأنبا أنطونيوس مرقس

أسقف عام شؤون أفريقيا

دار المحراث لنشر الكتب

THE PLOUGH PUBLISHING HOUSE

يرجى مشاركة هذا الكتاب مع أصدقائكم. ولا تترددوا في إرساله في البريد الالكتروني أو طبع الكتاب كليا أو جزئيا، لكن الرجاء عدم إجراء أي تغيير بأية طريقة كانت. وإذا رغبتم في عمل نسخ متعددة منه لتوزيعه على نطاق واسع، أو لإعادة استنساخ أجزاء منه كرسائل إخبارية أو دورية، فيرجى مراعاة القيود التالية:

- لا يجوز إعادة نشره لمكاسب مادية.
- يجب إدراج عبارة الائتمان التالية: "حقوق الطبع والنشر لدار المحراث لنشر الكتب Plough Publishing House - سنة 2013.م تم استخدامه بعد الإذن".

هذا الكتاب "الجنس والله والزواج Sex, God & Marriage"من منشورات دار المحراث لنشر الكتب The Plough Publishing House، في عنوانيه التاليين:

Rifton ،NY ،12471 USA

Robertsbridge ،East Sussex ،TN32 5DR ،UK

www.plough.com

طبعة جديدة معززة بالآيات. طباعة سنة 2013

الترقيم الدولي

ISBN: 978-0-87486-948-4

جميع الحقوق محفوظة

Copyright © 2013 by The Plough Publishing House

Rifton ،NY ،12471 USA

All rights reserved

محتويات الكتاب

- المقدمة للأنبا أنطونيوس 6
- رسالة من الام تيريزا 8
- تمهيد 9

الجزء الأول: فِي الْبَدْءِ

1. على صورة الله 14
2. لا يَحسُن أن يكون آدم وحده 22
3. فيصيران جسدا واحدا 29
4. الخطيئة الأولية 36
5. استعادة صورة الله 45
6. الجنس وعالم اللّذّة 54
7. أنقياء القلب 62

الجزء الثاني: ما جَمَعَهُ اللهُ

8. الزواج في الروح القدس 74
9. سِرّ الزواج العجيب 82
10. قدسية الجنس 91
11. التربية ونعمة الأولاد 99
12. نقاوة الأطفال 109
13. الى الذين يعتزمون الزواج 121
14. الخدمة التي يقدمها العزاب 135

الجزء الثالث: رُوحُ البَاطِلِ الَّذِي يَعِيشُهُ عَصْرُنا

15. هل نريد أن نعيش مع الله أو بدونه؟ 147

16. الشذوذ الجنسي - هل نخجل حتى من ذكره؟ 158

17. منع الحمل والإجهاض - الحرب الخفية 173

18. ماذا عن الطلاق والزواج الثاني؟ 185

19. فلنجاهد إذن في سبيل العِفّة 199

- رسالة من إحدى القارئات 209
- دعوة الى حياة العِفّة والنقاوة 212
- نبذة من سيرة المؤلف 220
- نبذة عن مجتمعات برودرهوف المسيحية Bruderhof 222
- خاتمة: حِكَمٌ إلهية من سفر الأمثال عن العِفّة 229

المقدمة

+ يمثل الجنس طاقة وقوة جبارة مقدسة نافعة وضعها الله في الأنسان الذي خلقه على صورته ومثاله لكي تكون دافعا بنّاء من أجل امتداد ملكوت الله على الأرض وحفظ النوع البشري ولكي تكون للإنسان مصدر فرح وسعادة وتعزية وشركة مع آخرين من جيل إلى جيل.

+ وقدس الله العلاقة بين الرجل والمرأة في سر الزيجة المقدس وربطهم ووحدهم بالروح القدس إلى جسد واحد كما قال الرب في (متى 19: 5-6) "فيَصيرُ الاثنانِ جسَدًا واحدًا، فلا يكونانِ اثنينِ، بل جسَدٌ واحدٌ".

+ وإذ وجد الله أن الإنسان يميل بضعفه إلى ممارسة الجنس بطرق دنسة خاطئة مبتذلة هابطة مشتعلة بشهوة غير مقدسة بل جسدانية حيوانية تحط بالإنسان الى ما هو أدنى من مقدار المجد والكرامة التي كلله الله بها.

+ لذا أعطى الله الوصايا التي تدعوه إلى الطهارة والنقاوة في كلمات العهدين القديم والجديد ووعده بالقوة من الروح القدس للهروب من الابتذال والتدني وأيضا للهروب من أمراض جسدية ونفسية وروحية مصاحبة للخطيئة والأدناس التي تشقي الإنسان وتذله وتضعف كل طاقاته الروحية والجسدية والنفسية والعقلية حتى ظهر أيضا مرض الإيدز AIDS الذي يؤدي الى الشقاء والامراض الخطيرة التي بلا شفاء ثم فقدان الحياه.

+ وقد قصد الله أن تكون ثمار العلاقة الجنسية هي أغلى شيء في الوجود وهم الاطفال الذين هم بهجة الحياة وزينتها ومستقبلها وامتدادها ليكون الطفل المولود هو ابن للأب والأم والله ثم أن كل عائلة مقدسة تحيا حياة الطهارة والنقاوة فإنما هي تبني أولادها وأفرادها والمجتمع والأمة كلها بل الإنسانية جمعاء.

+ كما أثبتت الخبرة على مدى التاريخ أنه ليس هناك مهرب لهؤلاء الذين يمارسون الجنس الدنس من مخاطر الامراض الجسدية ودمار العائلات وتشتت الأطفال باستخدام المضادات الحيوية والكيمياويات والغلاف الواقي إلا عن طريق حياة الطهارة والنقاوة والالتزام بممارسة الجنس المقدس في نطاق العائلة ورباط الروح القدس.

+ هذا الكتاب الذي بين يديك "الجنس والله والزواج" ليس كتابا صغيرا كما يصفه مؤلفه بل هو كتاب كبير عظيم مختبر في نهجه وأسلوبه وهدفه وعمقه وتفاصيله يسعى بنا الى تفهم واكتساب طهارة الجسد والنفس والروح وممارسة الحياة الزوجية على أساس رباط الروح القدس الذي يؤدي الى نقاوة الأسرة وتناغم الحياة وبناء الاطفال ونموهم روحيا ونفسيا وعقليا ليكونوا أعضاء مثمرين نافعين في الجسد الالهي.

+ هذا الكتاب يمثل عنصرا أساسيا ومركزيا لتفهم دقائق العلاقات الجنسية الأسرية في ضوء كلمة الله وحكمته وتحويل عش الزوجية المقدس إلى فردوس طاهر يعيش فيه الله ويسكن بينهم ويزيد من محبتهم وإثمارهم وامتدادهم لأجيال كثيرة.

+ هذا الكتاب يعلمنا الهروب من خطيئة الدنس التي هي أكبر خطيئة في نظر الله وأيضا الهروب من الموت الأبدي والمرض والموت الجسدي والانحراف النفسي وأيضا الهروب من تحطم العائلة وانهيار أرقى علاقة إنسانية وضعها الله في أرقى مخلوقاته.

بنعمة الله
الأنبا أنطونيوس مرقس
أسقف عام شؤون أفريقيا

رسالة من الأم تيريزا

في كتاب "الجنس والله والزواج" نَجِدُ رسالة نحن أحوج ما نكون إليها اليوم في كل جزء من أجزاء العالم. فلو أراد المرء أن يكون عفيفا ونقيا، ويستمر على ذلك، فإنه أمر لا يمكن أن يتحقق إلا بثمن. وهذا الثمن هو أن نعرف الله وأن نحبه بالدرجة التي تمكِّننا من عمل مشيئته. وسوف يهبنا الله دائما القوة التي نحتاجها للحفاظ على العِفّة والنقاوة كشيء جميل من أجل الرب.

إن العِفّة هي ثمرة الصلاة، فلو رفع أفراد العائلات الصلاة معا فسوف يبقون في وحدة وعفاف، وسوف يحب بعضهم بعضا، مثلما يحب الله كل واحد منهم. والقلب الطاهر والعفيف هو الحامل الجيد لمحبة الله، وحيثما تكون المحبة تكون الوحدة والوفاق والفرح والسلام.

كلكتا نوفمبر 1995

تمهيد

يبحث الناس اليوم وفي كل مكان عن علاقات دائمة وذات مغزى. ومازال الملايين يؤمنون بأساطير الرومانسية أي روايات الغرام الخيالية، وهناك جيل جديد من الشباب والشابات مِمَنْ سلموا بأن الحرية الجنسية هي المفتاح المؤدي لتحقيق الغاية. ومهما حاول الناس، وبشكل ميؤوس منه، أن يؤمنوا بـ "الثورة الجنسية" في العقود القليلة الماضية، فقد صار جليا للعديد منهم من أن هناك خطأ فظيع. فبدلا من أن يحصلوا على الحرية المنشودة أنتهى الأمر بفيض من النفوس الجريحة والمعزولة. وفيما نحن نواجه الألم الشديد المحيط بنا، فمن المهم لنا جميعا، أكثر من ذي قبل، سواء كنا شبابا أو كبارا، أن نتأمل ملياً في اتجاه حياتنا ونسأل أنفسنا إلى أين نحن منطلقون!

إن القرن الحادي والعشرين يعلن افتقاده للتعاليم الواضحة للكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد، بخصوص الزواج والعلاقة بين الجنسين. لقد تحولنا ضد الله وتمردنا على نظامه في الخليقة؛ وبررنا تمردنا بحجج بشرية. وتجاهلنا كلام الرب يسوع واحتقرنا صوت الروح القدس. لكننا لم نجد لا الحرية ولا الغاية.

وقد قمتُ، كقسيس، بعمل المشورة للكثير من الناس عبر السنين، سواء للعزاب أو للمتزوجين. فوجدت أن المجال الجنسي عند الكثيرين منهم لا يشكل أية مساحة من السرور أو الفرح، بل كان إحباطا أو اضطرابا أو حتى يأسا. وإن الناس في الحقيقة يتطلعون الى الوحدة في القلب والنفس فيما بينهم، لكن فكرة الحب الرومانسي تصيبهم بالعمى بحيث أن أشواقهم السامية للاتحاد تبقى محجوبة عنهم. وهم يعرفون أن الزواج والاتحاد الجنسي هو نعمة من الله تعالى، ويجب أن يجعلوه من أكثر العلاقات بين الرجل والمرأة حرمة وغالية على القلب ويعود بمنافعه عليهم. لكنهم يتعجبون لماذا صارت مصدرا لمثل هذه العزلة والألم الذي يعانون منه، ويعاني منه الكثيرون.

أنا لست بعالم اجتماعي. ولكن إن كانت نتائج البحوث والدراسات قد بيّنت شيئا، فهو كما يلي: إن الانحطاط الذي أصابنا جراء قبول حضارتنا لإباحية الجنس هو تخريب اجتماعي بحت. فأكثر من نصف عدد الزواجات في الولايات المتحدة الأمريكية قد فشلت. وتقريبا 40% من أطفال أمريكا يعيشون في بيوت غير بيوت آبائهم الحقيقين. والفقر، وجرائم العنف، والجنوح، والمعاشرة الجنسية البحتة - كل ليلة مع واحدة (أو واحد)، والإدمان على الكحول والمخدرات، والأمراض العقلية، والانتحارات، كلها متجذرة في تفكك الأسرة وتآكل رباط الزواج.

وفي الوقت نفسه، نرى بأن هؤلاء الذين يؤجلون ممارسة الجنس لحين الزواج (رغم تضاؤل أعدادهم تدريجيا) نراهم بعيدين كل البعد عن الفضائح الجنسية أو حالات الطلاق، ونرى أيضا مدى سعادة حياة أولئك الذين يلتزمون بالعيش مدى العمر مع شريك حياتي واحد.[1]

وبينما تشير مجريات الأمور الحالية باستمرارية الانحلال، بدأت تظهر بوادر مشجعة حين أخذ الناس ينظرون بإرتياب شديد إلى إثارات الجنس الرخيص وإلى الراحة التي تتراءى للعيان في علاقة حب غير ملتزمة. ويصحّ هذا على شباب الجيل المعاصر. فهناك اشتياق متزايد لدى الشباب لإيجاد علاقات أصيلة ولبناء بيوت عائلية رصينة، وإعطاء أمل جديد من أن الأسرة المؤلفة من والدَين ماتزال ممكنة.

لقد رأيت في مرات عديدة كيف يكون في مقدور الناس أن يكتشفوا مخرجا من تعاستهم حينما يرغبون في تسليم حياتهم ليسوع المسيح. فبمجرد أن يجرؤ الناس ويتواضعوا ليواجهوا دعوته لهم للتوبة، فهو قادر على أن يحقق لهم الحرية والسعادة الدائمة

يجلب لنا يسوع المسيح ثورة حقيقية. فهو المصدر الأصلي للمحبة، لأنه المحبة بحد ذاتها. ولا تدعو تعاليمه إلى التزمت من ناحية ولا إلى الإباحية والتسيب من ناحية أخرى: إنه يقدم لأتباعه طريقا مختلفا تماما. فهو يأتينا بطهارة وبنقاء قادرة على تحريرنا من الخطيئة وتفتح لنا أبوابا لحياة جديدة بصورة كليّة.

ولا نرى في حضارة اليوم الكثير من الأشياء التي تعمل على تنمية أو حماية الحياة الجديدة التي يريد يسوع المسيح تقديمها لنا. وفي الوقت الذي يتحدث الناس باستمرار عن أهمية الزواج الملتزم، وعن الحياة العائلية السليمة، لكن، كم واحدا منا على استعداد لاتخاذ الإجراءات اللازمة لجعل هذه القيم واقع ملموس؟ ثم إنّ الكثير منا يميلون إلى إلقاء اللوم على المجتمع على التأثيرات التي تفسدنا، لكن ماذا عنا نحن الذين نسمى مسيحيين؟ فكم منا على استعداد ليغلق جهاز التلفزيون ويلقي نظرة ثاقبة على علاقاتنا الزوجية وعلاقاتنا الأخرى وعلى حياتنا الشخصية؟ وكم منا في الحقيقة يتخذ خطوات فعالة لحماية الإخوة والأخوات الذين من حولنا في صراعهم اليومي من أجل الطهارة؟ وكم منا يجازف ليتواجه مع الآخرين من حولنا بشأن الخطيئة الموجودة في حياتهم؟ وكم منا يتحمل المسؤولية بحقّ؟

هنالك آلام مروعة بين أولئك الذين يدّعون أنهم من أتباع السيد المسيح: أسر محطمة، وزوجات يتعرضن للضرب والقسوة، وأطفال يهملون وتساء معاملتهم، وعلاقات خاطئة. ومع ذلك وبدلا من الاحتجاج العنيف نجد اللامبالاة!... متى نستيقظ وندرك أن لامبالاتنا تحطمنا وأن فتورنا يدمرنا؟

نحن في أمس الحاجة الآن، وأكثر من أي وقت مضى، إلى العودة إلى المفهوم الصحيح حول ماهيّة الكنيسة؛ فالكنيسة جماعة حيّة - كالجسم الحيّ الواحد - والتي تتألف من أعضاء ملتزمين يتقاسمون الحياة من خلال أعمال المحبة العملية. غير أننا يجب أن نبدأ بأنفسنا أولا ثم نرى أين يمكننا أن نشجع الذين حولنا. فيلزمنا أولا أن نتعرّف جيدا على شباب مجتمعنا حتى نكون قادرين على إرشادهم في سعيهم نحو العلاقات الملتزمة وعهود الزواج المديدة العمر؛ ونحتاج أن نقدم الدعم المتواصل للأسر التي من حولنا؛ ونحتاج أن نسعى جاهدين من أجل الشفاء عندما يتعثر أو يسقط إخواننا وأخواتنا - وعلينا أن نقبل مساعدتهم عندما نحن نسقط أو نتعثر كذلك.

وأهم كل شيء، فمن واجبنا أن نُظهر للعالم أن التعاليم الفريدة ليسوع المسيح ورسله هي الحل الشافي الوحيد لروحية عصرنا الضالّة. ذلك هو السبب الذي دفعني الى كتابة هذا الكتاب الصغير. أنا لا أعتبر نفسي كاتبا أو عالما من علماء الكتاب المقدس. وأنا على وعيّ كامل بأن معظم ما دونته هنا يتناقض مع الحكمة الشائعة بين الناس؛ لكنني أشعر بالحاجة الملحة لمقاسمة الآخرين اليقين بأن دعوة يسوع المسيح الى حياة المحبة والعفة والنقاوة والصدق والالتزام بالعهد هي أملنا الوحيد.

أن هذا الكتاب ليس مجرد كتاب شخصي – بل جاء من واقع حياة مجتمع الكنيسة الذي أخدمه، وكل ما فيه يعكس اهتمام أفراده وتجاربهم. وأملي هو أن جميعنا - رجال ونساء عصرنا على حدّ سواء – نتوقف لبرهة من الزمن ونتأمل مليا قصد الله من الجنس والزواج.

وللأسف، فقد تخلّى، وببساطة، الكثير من الناس في يومنا هذا عن إمكانية العيش العفيف الشريف. فقد وقعوا في شراك أسطورة "التحرّر" الجنسي، وحاولوا التعايش مع ما يسببه هذا التحرّر من خيبات الأمل، وعندما تنهار علاقاتهم يلتمسون أسبابا أخرى لتبرير فشلهم وإخفاقهم. ويعجزون عن رؤية مدى روعة وعظمة نعمة العِفّة ووصية الله بالحياة العفيفة النقية.

ومع ذلك، فأنا أؤمن بأن هناك حنين في أعماق كل قلب إلى علاقات صافية وعفيفة وإلى حب يدوم. فالأمر يقتضي شجاعة وضبطا للنفس للعيش حقا بطريقة مختلفة، ولكنها ممكنة. فحيثما توجد كنيسة مخلصة – أي بمعنى أية جماعة مسيحية تَعهَّدَ أفرادها بأنَّ يحيوا بعلاقات مخلصة وصادقة - ستلقى معونة وأملا لكل شخص ولكل زواج فيها. ولعل هذا الكتاب يعطي هذا الأيمان لكل من يقرأه.

يوهان كريستوف آرنولد
Johann Christoph Arnold
مؤلف الكتاب

الجزء الأول:

فِي الْبَدْءِ

على صورة الله

وقالَ اللهُ: "لِنَصنَعِ الإنسانَ على صُورَتِنا كَمِثالِنا، وليَتَسَلَّطْ على سمَكِ البحرِ وطَيرِ السَّماءِ والبهائمِ وجميعِ وُحوشِ الأرضِ وكُلِّ ما يَدِبُّ على الأرضِ". فخلَقَ اللهُ الإنسانَ على صورَتِه، على صورةِ اللهِ خلَقَ البشَرَ، ذَكَرًا وأُنثى خلَقَهُم. وبارَكَهُمُ اللهُ، فقالَ لهُم: "أَثْمِرُوا واكْثُروا واَمْلأوا الأرضَ، وأَخضِعوها وتَسلَّطوا على سمَكِ البحرِ وطَيرِ السَّماءِ وجميعِ الحيوانِ الذي يَدِبُّ على الأرضِ".

تكوين 1: 26 - 28

في الفصل الافتتاحي لقصة الخليقة، نقرأ أن الله خلق البشر - كلا من الذكر والأنثى - على صورته، وباركهم وأمرهم بأن يثمروا ويعتنوا بالأرض. وقد اظهر الله نفسه منذ البداية أنه هو الخالق الذي رأى أن كل ما صنعه: "... أَنَّهُ حَسَنٌ جِدًّا..." (تكوين 1: 31). هنا نرى الله، ومن أول بداية الكتاب المقدس يكشف لنا قلبه. فلذلك نكتشف هنا قصد الله لحياتنا.

والكثير من المسيحيين في هذا القرن، إن لم يكن معظمهم، يصرفون النظر عن قصة الخلق لأنهم يعتبرونها مجرد أسطورة. في حين يصر آخرون على أن التفسير الدقيق، الحرفي البحت، لسفر التكوين، هو

وحده التفسير الصحيح. أما أنا فأكنّ التوقير للكتاب المقدس كما هو عليه. فمن جهة لا أنوي استبعاد الجدل في أي شيء فيه، ومن جهة أخرى، أعتقد أن العلماء على حق في تحذيرهم بأن الكتاب المقدس يجب أن لا يؤخذ حرفيا. وكما يقول الرسول بطرس:

أنَّ يومًا واحدًا عِندَ الرَّبِّ كألفِ سنَةٍ، وأنَّ ألفَ سنَةٍ كيَومٍ واحدٍ" (2 بطرس 3: 8).

صورة الله تميزنا

إنّ الكيفية التفصيلية التي تم فيها خلق الكائنات البشرية تبقى سرّا خفيا علينا نحن البشر ولا يكشف عنها سوى الخالق. غير أنني على يقين من شيء واحد وهو أنه لا يمكن لأي شخص أن يجد أي معنى أو هدف في حياته بدون الله. فبدلا من أن نرفض قصة الخلق لمجرد أننا لا نفهمها، فيجب علينا من باب أولى إيجاد معناها الحقيقي الداخلي، وإعادة اكتشاف مغزاها لنا ليومنا الحاضر.

وفي عصرنا الفاسد ضاع الاحترام والوقار بصورة شبه كاملة لقصد الله المبين في سفر التكوين. فنحن لا نقدِّر معنى الخليقة حقّ قدره؛ وكذلك المغزى في أن الرجل والمرأة خلقا على صورة الله كشبهه. فهذه المشابهة تميزنا بصفة خاصة عن سائر المخلوقات وتجعل حياة الإنسان مقدسة:

مَنْ سَفَكَ دَمَ الإنسانِ يَسفُكُ الإنسانُ دَمَهُ. فعلى صُورةِ اللهِ صَنَعَ اللهُ الإنسانَ. (تكوين 9: 6).

أما النظر الى الحياة بطريقة تختلف عن ذلك، كتقييم الناس بحسب فائدتهم فقط وليس بحسب ما يراهم الله، فهذا معناه احتقار لقيمتهم كبشر وإهمال لكرامتهم.

ما المقصود من أن الله خلقنا على صورته؟ إن المقصود منها هو أن نكون صورة حية تعبّر عن من هو الله. ومعناه ان نكون معاونين له، فهو الذي يواصل عمله في الخلق وتنمية الحياة من خلالنا. ومعناه أيضا أننا ننتمي الى الله، فيجب على كياننا ووجودنا أن يبقيا دائماً متعلقان به ومرتبطان بسلطانه. وفي اللحظة التي نفصل فيها أنفسنا عن الله، نفقد الرؤية للهدف الذي من أجله وُجدنا على الارض.
نقرأ في سفر التكوين ونرى أننا حصلنا على الروح الحيّة لله:

وَجَبَلَ الرَّبُّ الإِلَهُ آدَمَ تُرَاباً مِنَ الأَرْضِ وَنَفَخَ فِي أَنْفِهِ نَسَمَةَ حَيَاةٍ. فَصَارَ آدَمُ نَفْساً حَيَّةً. (تكوين 2: 7).

وبإعطائنا روحه جعلنا الله كائنات مسؤولة تملك الحرية للتفكير والعمل، وتؤديها بمحبة.

لكن حتى ونحن نملك روحا حية، فنحن لسنا سوى صورة للخالق. ولو رأينا أن الله هو مركز الخليقة ومحورها وليس البشر، لأدركنا نحن البشر مكاننا الحقيقي والصحيح في ترتيبه الإلهي للأمور. أما الذي ينكر أن أصله من الله، والذي ينكر أن الله واقع حيّ في حياته، فتراه سرعان ما يضيع في فراغ رهيب. وفي النهاية يجد نفسه واقعا في فخ تأليه الذات، الأمر الذي يجلب معه احتقارا لذاته واحتقارا لقيمة الآخرين.

كلنا يشتاق الى ما لا يفنى

ماذا كان مصيرنا لو لم ينفخ الله فينا نسمة حياة؟ إن نظرية التطور برمتها التي نادى بها دارون، هي في حد ذاتها خطيرة وعقيمة لأنها لا تتمركز حول الله. وهناك شيء في داخلنا يصرخ ويحتج ضد الفكرة القائلة بأننا جئنا الى الوجود بواسطة كون لا هدف له. ففي أعماق نفس الانسان عطش لما هو دائم ولما هو خالد وغير فانٍ.

ولما كنا قد خُلِقنا على صورة الله، والله أبديّ، فلا يمكن أن نتلاشى، في نهاية الحياة، كالدخان. فحياتنا متأصِّلة بالأبدية. ويقول كريستوف

بلومهارت Christoph Blumhardt (وهو قسيس ألماني وكاتب واشتراكي ديني): "إن حياتنا تحمل علامة الأبدية، علامة الله الأبدي الذي خلقنا على صورته، ولا يريدنا أن نُبتَلع الى زوال، بل يدعونا اليه، الى ما هو أبدي".[2]

لقد غرس الله الأبدية في قلوبنا، "فإذا كُلُّ شيءٍ حسَنٌ في وقتِهِ. وأعطى اللهُ الإنسانَ أنْ يَعيَ في قلبِهِ دَيمومَةَ الزَّمانِ مِنْ غَيرِ أنْ يُدرِكَ أعمالَ اللهِ مِنَ البدايةِ إلى النِّهايةِ" (جامعة 3: 11)، وفي أعماق كل منّا اشتياق جارف الى الأبدية، أي الآخرة. وعندما نتنكر لهذه الحقيقة ونعيش من أجل الحاضر فقط، فإن كل ما يحدث لنا في الحياة يظل غامضاً ومغلفاً بألغاز محيرة، ويبقى كياننا الداخلي غير مقتنع وغير راضٍ على حالنا. فلا يوجد أي شخص أو أي تنظيم بشري قادر على أن يشبع أشواق نفوسنا.

يتحدث صوت الأبدية الى ضمائرنا بطريقة مباشرة جدا، لذلك يمكن اعتبار الضمير هو العنصر الغيور في داخلنا؛ فهو يحذرنا ويوقظنا وينهض بنا ويقودنا الى العمل الذي يوصينا به الله، كما مكتوب في الكتاب المقدس:

> فغَيرِ اليَهودِ مِنَ الأُمَمِ، الّذينَ بلا شريعةٍ، إذا عَمِلوا بالفِطرةِ ما تأْمُرُ بِه الشَّريعةُ، كانوا شريعةً لأنفُسِهِم، معَ أنَّهُم بِلا شَريعةٍ. فيُثبِتونَ أنَّ ما تأمُرُ بِه الشَّريعةُ مكتوبٌ في قُلوبِهِم وتَشهَدُ لهُم ضمائِرُهُم وأفكارُهُم، فهيَ مرَّةً تَتَّهِمُهُم ومرَّةً تُدافِعُ عَنهُم. وسيَظهَرُ هذا كُلُّهُ، كما أُبشِّرُكُم بِه، يومَ يَدينُ اللهُ بِالمَسيحِ يَسوعَ خفايا القُلوبِ. (رومة 2: 14-16).

وفي كل مرة تنجرح النفس وتتلوث بالخطيئة ينهنا ضميرنا بهذا الجرح بتوجع أليم. وإن كنا نصغي الى ضميرنا فإنه سيرشدنا وسيقودنا في الطريق الصحيح. ولكننا بانفصالنا عن الله، يضطرب ضميرنا ويترنح ويضلّ وينحرف ويخدر. ولا تنطبق هذه الحقيقة على الفرد فحسب بل على الزواج أيضا.

فابتداء من الإصحاح الثاني من سفر التكوين تتبين لنا أهمية الزواج. فعندما خلق الله آدم، قال الله بأن كل ما صنعه "أنَّهُ حَسَنٌ جدًا". ثم خلق المرأة لتكون معيناً ورفيقاً للرجل، لأنه رأى أنه "لا يَحسُنُ أنْ يكونَ آدمُ

وحدَهُ، فأَصنعُ لَه مَثيلاً يُعينُه" (تكوين 2: 18). فهذا سرّ ذو معنى عميق: فالرجل والمرأة – أي بمعنى الرجولة والأنوثة - ينتمي أحدهما إلى الآخر ويشكلان صورة تعكس شخصية الله، فيمكن إيجاد سمات كل من الرجولة والأنوثة فيه. فلذلك يكوّنان معا شيئا لا يمكن أن يصبح لا منفصلا ولا وحيدا.

إن كل شيء خلقه الله، يعطينا رؤية داخلية عن طبيعة الله - مثل الجبال الشاهقة والمحيطات الواسعة والأنهار والمساحات الكبيرة من المياه؛ والعواصف والرعد والبرق والكتل الجليدية الهائلة والصحاري والمروج والأزهار والأشجار. فهناك قوة وخشونة ورجولة، ولكن هناك أيضا رقة وأمومة ورهافة حسّ. ومثلما لا توجد مختلف أشكال الحياة في الطبيعة بعضها بمعزل عن بعض، فهكذا الأمر أيضا مع أولاد الله - ذكور وإناث – فلا يعيشون فرادى بعضهم بمعزل عن بعض. فبالرغم من اختلافهم لكن كلهم مخلوقون على صورة الله، ويحتاج بعضهم الى بعض ليحققوا مقاصد الله الحقيقية لهم.

عندما تتشوه صورة الله
تفقد علاقات الحياة هدفها

يا لها من مأساة في الكثير من مجتمعات عصرنا اليوم، حيث نرى أن الفروق بين الرجل والمرأة غير واضحة ومشوهة. فصورة الله الطبيعية والشريفة تتعرض للتدمير. وهناك كلام لا ينتهي عن تحقيق المساواة للمرأة، لكن في الواقع، فهنّ يتعرضنّ لسوء المعاملة والاستغلال أكثر من أي وقت مضى. وفي الأفلام والتلفزيون والمجلات والإعلانات والإنترنت فإن المرأة المثالية (وتدريجيا الرجل المثالي أيضا) لا تُصوَّر سوى كمادة للجنس.

وعموما، فلم يعد يُنظر إلى الزواج نظرة مقدسة في مجتمعات عصرنا الحاضر. هذا وقد تزايد عدد الذين ينظرون الى الزواج بأنه مجرد تجربة أو أنه مجرد عقد بين اثنين من الناس ويقيسون كل شيء فيه وفقا لما ترتئيه اهتماماتهم الخاصة. وعندما تفشل العلاقات الزوجية فهناك دائما

حرية اختيار الطلاق دون أن ينطوي ذلك على ذنب أو عيب، ويلي ذلك محاولة جديدة للزواج من شريك آخر. وكثير من الناس لم يعد يهمهم تقديم وعود بالوفاء والاخلاص، فهم يعيشون معا ليس غير. أما النساء اللواتي يحملن ويلدن ويربين الاطفال أو يستمِرن في الزواج من الزوج نفسه فقد أصبحن في أحيان كثيرة موضع احتقار. وحتى عندما يكون زواجهن زواجا سليما وناجحا، فكثيرا ما يُنظر إليهن وكأنهن ضحايا الظلم اللواتي يحتجن الى "الإنقاذ" من هيمنة الجنس الخشن.

وأما الأطفال فلم يعد هناك تثمين لهم ككنوز عزيزة وغالية على القلوب. ففي كتاب سفر التكوين يأمر الله: «أَثْمِرُوا وَاكْثُرُوا»، ولكن في يومنا هذا نرى أن الكثيرين يتجنبون "عبء" الطفال، ذلك النسل غير المرغوب فيه، وذلك باللجوء الى الإجهاض الذي صار مشرَّعا (في عدد متزايد من دول). واصبح ينظر إلى الأطفال بأنهم مصدر إزعاج وبأن مجيئهم الى العالم يكلف الكثير، بما في ذلك تربيتهم وتعليمهم ولاسيما تعليما عاليا. فصاروا في نظر الناس يشكلون نزيفا اقتصاديا في حياتنا المادية. بل حتى محبتهم تستنزف وقتا طويلا.

فهل من المستغرب أن الكثيرين في أيامنا هذه قد فقدوا الأمل؟ وأن العديد من الناس قد يئسوا أيضا من إمكانية الحب الوفي المؤبد؟ فالحياة فقدت قيمتها؛ وأصبحت رخيصة؛ ومعظم الناس لم يعودوا يروها كهبة إلهية. والتقدم في الهندسة الطبية البيولوجية وفي تقنيات تصوير الجنين على الشاشات، مكنت أعدادا متزايدة من الأزواج من أن يختاروا الإجهاض لأسباب أنانية. وهكذا فالحياة بدون الله ممات، وليس هناك غير الظلمة وغير الجروحات البليغة من جراء الانفصال عنه.

وبالرغم من جهود الكثير من الافراد المتفانين، إلا أن الكنيسة في يومنا هذا فشلت فشلا ذريعا في صراعها ضد هذا الموقف. فمهما كان الأمر فيجب على كل فرد منّا أن يعود الى البداية لنسأل أنفسنا مرة أخرى: "لماذا خلق الله الرجل والمرأة أساسا؟" لقد خلق الله كل شخص على صورته، وحدد عملا ودورا خاصا متميزا لكل رجل وامرأة وطفل على وجه الأرض،

وهو عمل يتوقع منا الله إنجازه. فلا يقدر أحد على تجاهل قصد الله لخليقته وله شخصيا من دون أن يعاني من حاجة روحية بليغة ويدفع ثمنا باهضا:

الشِّرِّيرُ يتَمَخضُ بالإثمِ. يحبَلُ بالفسادِ ويَلِدُ الكَذِبَ. يَحفُرُ حُفرَةً ويُوَسِّعُها، وفي الهُوَّةِ التي صَنعَها يَسقُطُ. يرتَدُّ فسَادُهُ على رأسِهِ، وعلى نافوخِهِ يَقعُ عُنْفُهُ. (مزامير 7: 15-17).

إن الماديّة التي تسود عصرنا، قد أفرغت الحياة من كل هدف أخلاقي وروحي. فالماديات تعوقنا عن رؤية ما في العالم من أمور عجيبة ومدهشة بالإضافة إلى إنها تعوقنا عن رؤية مهمتنا الحقيقية. وقد تمرّضت نفوسنا وأرواحنا من جراء حمى الاستهلاك التجاري التي قد أصبنا بها، فأخذ هذا المرض يحدث تآكلا فادحا في ضمائرنا، حتى أن الضمير نفسه لم يعد قادرا على التمييز بين الخير والشر. ومع ذلك فلاتزال في داخل كل منا حاجة عميقة الجذور تجعلنا نشتاق الى البرّ والفضيلة.

ولن نحصل على الشفاء إلا عندما نؤمن إيمانا راسخا بأن الله هو خالقنا وبأنه هو واهب الحياة والحب والرحمة. وهذا ما نقرأه في الإنجيل:

هكذا أحبَّ اللهُ العالَمَ حتّى وهَبَ اَبنَهُ الأوحَدَ، فَلا يَهلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤمِنُ بِه، بل تكونُ لَه الحياةُ الأبدِيَّةُ. واللهُ أرسَلَ اَبنَهُ إلى العالَمِ لا ليدينَ العالَمَ، بل ليُخلِّصَ بِه العالَمَ (يوحنا 3: 16-17).

تظهر صورة الخالق في ابن الله – يسوع - بأقصى درجات وضوحها وبشكل نهائي،

هوَ صُورَةُ اللهِ الّذي لا يُرى وبِكْرُ الخَلائِقِ كُلِّها. (كولوسي 1: 15).

وباعتباره صورة الله الكاملة والطريق الوحيد للآب، فهو يقدم لنا الحياة السليمة والوحدة والوئام والفرح ورضا النفس. ولا يمكننا أن نتذوق الحقّ الإلهي وخير الله علينا إلاّ عندما نعيش حياتنا في ظلّ الله، ولا يمكننا أن

نحصل على ما قد قصده الله لنا إلاّ فيه. وهذا القصد هو أن نصبح صورة الله؛ فستسود صورة الله على الأرض بروحه القدوس، الذي هو روح المحبة الخلاّق، المعطي للحياة.

الفصل الثاني

لا يَحسُنُ أَنْ يكونَ آدمُ وحدَهُ

وقالَ الرّبُّ الإلهُ: "لا يَحسُنُ أنْ يكونَ آدمُ وحدَهُ، فأَصنعُ لَه مَثيلاً يُعينُه"... فأوقَعَ الرّبُّ الإلهُ آدمَ في نَومٍ عميقٍ، وفيما هوَ نائِمٌ أخذَ إحدى أضلاعِهِ وسَدَ مكانَها بِلَحْمٍ. وبنى الرّبُّ الإلهُ اَمْرأةً مِنَ الضِّلعِ التي أخذَها مِنْ آدمَ، فجاءَ بِها إلى آدمَ. فقالَ آدمُ: "هذِهِ الآنَ عَظْمٌ مِنْ عِظامي ولَحمٌ مِنْ لَحمي هذِهِ تُسَمَّى اَمرأةً فهيَ مِنْ اَمرِئٍ أُخذَت".

تكوين 2: 18 وَ 21 - 23

ليس هناك أصعب من تحمُّل الوحدة. لقد قيل أن المساجين المسجونين في حبس انفرادي يفرحون عند مشاهدتهم للعنكبوت، فقد رأوا على الأقل "شيئا" ينتمي الى عالم الأحياء. لقد خلقنا الله لنكون كائنات اجتماعية متقاسمة. في حين نرى عالمنا المعاصر مجردا من العلاقات تجريدا فظيعا. فقد عمل التقدم التكنولوجي على إفساد المجتمع وتدهوره في مجالات متعددة من الحياة. وجعل الناس يبدون غير ضروريين شيئا فشيئا.

وبينما أصبح كبار السن يوضعون في أماكن منعزلة أو بيوت للعناية الشخصية، وبينما أُستُبدِل عمال المصانع بالإنسان الآلي، وبينما صار الشباب من الجنسين يبحثون عاما بعد عام عن عمل هادف وله معنى

وقع الناس ضحية اليأس وخيبة الأمل من جراء ذلك. وأخذ بعضهم يعتمد على مساعدة أخصائيّ العلاج الطبيعي أو الأطباء النفسانيين، في حين أخذ آخرون يبحثون عن سبيل للهروب من الواقع المرير كالإدمان على الكحول أو المخدرات أو الانتحار. وبسبب القطيعة مع الله ومع الآخرين، يعيش الآلاف من الناس في يأس صامت غير منظور ويرزحون في بيوتهم تحت وطأة الفشل.

إن العيش بعزلة عن الآخرين، يقتل هذه الوحدة وهذا الوئام ويؤدي الى اليأس. ويكتب الراهب الأمريكي توماس مرتون Thomas Merton (وهو من أشهر الكتّاب الكاثوليكيين في القرن العشرين) فيقول:

> إنّ اليأس هو أقصى التطرف لمحبة الإنسان لذاته. ويحدث هذا عندما يدير المرء ظهره عمدا لكل المساعدات التي تقدم له رغبة منه في تذوق قمة عفونة الضياع...
>
> فاليأس هو ذروة استفحال الكبرياء لدى الإنسان، بدرجة بالغة ومتعنّتة بحيث أنه يفضّل اِختيار البؤس الكامل من جراء الغضب وخيبة الأمل على قبول السعادة من يدي الله، لأن هذا القبول يعني الإقرار بأن الله هو فوق الجميع وليس في مقدورنا أن نقرر مصيرنا بأنفسنا (بل بعونه فقط). غير أن الإنسان المتواضع بحقّ لا ييأس، لأن الإنسان المتواضع لم يعد فيه مكان لرثاء الذات والشفقة على النفس.[3]

نرى هنا أن الكبرياء لعنة تؤدي الى الموت. أما التواضع فيؤدي الى المحبة. والمحبة هي النعمة العظمى الموهوبة للبشر؛ إنها دعوتنا الإلهية الحقيقية. إنها بمثابة قول "نعم" للحياة، و "نعم" للمجتمع المسيحي الأخوي الكليّ المشاركة. ثم إن المحبة وحدها هي الكفيلة بتحقيق اشتياق إنساننا الداخلي.

خلقنا الله لنعيش مع الآخرين

ومن أجل الآخرين

لقد غرس الله في كل منا شوقا غريزيا يشتاق الى تحقيق شبه مقارب له، فقد غرس فينا شوقا يحثنا على المحبة وعلى المجتمع الحقيقي وعلى الوحدة. ويشير يسوع المسيح في صلاته الأخيرة الى أهمية هذا الشوق:

إجعَلْهُم كُلَّهُم واحدًا ليَكونوا واحدًا فينا، أيُّها الآبُ مِثلَما أنتَ فِيَّ وأنا فيكَ، فيُؤمِنَ العالَمُ أنَّكَ أرسَلْتَني. (يوحنا 17: 21).

لا أحد يمكنه أن يحيا حياة حقيقية بدون محبة: وهذا ما يريده الله لكل فرد بأن يلعب دور الله "المحب" للآخرين. فكل شخص مدعو ليحب وليساعد الذين من حوله نيابة عن الله:

وقالَ قايينُ لِهابيلَ أخيهِ: "هيَّا لِنَخرُج إلى الحقلِ". وبَينَما هُما في الحقلِ هجمَ قايينُ على هابيلَ أخيهِ فقَتَلَهُ. فقالَ الرّبُّ لِقايينَ: "أينَ هابيلُ أخوكَ؟" قالَ: "لا أعرِفُ. أحارِسٌ أنا لأخي؟" فقالَ لهُ الرّبُّ: "ماذا فَعَلْتَ؟ دَمُ أخيكَ يصرُخ إليَّ مِنَ الأرضِ". (تكوين 4: 8-10).

إن الله يريد منا إقامة علاقات قلبية منفتحة بعضنا مع بعض، ومساعدة بعضنا لبعض بدافع المحبة. ولا يوجد طبعا أي شك في أننا لو أحسسنا بما ينبض في قلوب إخواننا أو أخواتنا في مجتمع كنيستنا لأمكننا عندئذ مساعدتهم، لأن "المساعدة" التي نقدمها موهوبة من قبل الله نفسه. كما يقول القديس يوحنا الرسول:

نَحنُ نَعرِفُ أنَّنا انتَقَلنا مِنَ الموتِ إلى الحياةِ لأنَّنا نُحِبُّ إخوَتَنا. مَنْ لا يُحِبُّ بَقِيَ في الموتِ. (1 يوحنا 3: 14).

فحياتنا لا تكتمل إلا عندما تتوهج فيها المحبة وتصبح مجرَّبة ومثمرة.

يخبرنا يسوع بأن أعظم وصيتين هما أن نحب الله بكل قلبنا ونفسنا وقوتنا، وأن نحب القريب مثل نفسنا (معنى القريب أخونا الإنسان). ولا يجوز فصل هاتين الوصيتين إحداهما عن الأخرى: فلابد لمحبتنا لله أن تعني دائما محبتنا للقريب. فلا يمكننا إقامة علاقة مع الله إن كنا نتجاهل الآخرين، كما يوصينا الإنجيل:

فعلَينا أن نُحِبَّ لأنَّ اللهَ أحَبَّنا أوَّلاً. إذا قالَ أحدٌ: "أنا أُحِبُّ اللهَ" وهوَ يكرَهُ أخاهُ كانَ كاذِبًا لأنَّ الّذي لا يُحِبُّ أخاهُ وهوَ يَراهُ، لا يَقدِرُ أنْ يُحِبَّ اللهَ وهوَ لا يَراهُ. وَصِيَّةُ المَسيحِ لنا هِيَ: مَنْ أحَبَّ اللهَ أحَبَّ أخاهُ أيضًا (1 يوحنا 4: 19-21).

فطريقنا الى الله عليه أن يكون عن طريق إخوتنا وأخواتنا البشر، أما في الزواج فيكون عن طريق شريك الحياة.

إذا امتلأنا من محبة الله فسوف لا نكون وحيدين لمدة طويلة أبدا أو منطويين على نفسنا، فسنجد دائما شخصا نقدم له أعمال المحبة والخدمة. وسيكون الله وأخونا الإنسان دائما موجودين قريبين منا. وكل ما علينا القيام به هو البحث عنهما. لقد جاءني منذ مدة قريبة أحد الشباب من مجتمعنا المسيحي ليشاركني بفرحته التي اكتشفها حديثا وهي مساعدة الآخرين. كان شان Sean يعيش في مدينة بولتيمور الأمريكية ويعمل كمتطوع لبناء المنازل للمحرومين الذين يفتقرون الى المأوى. وكان يظن أن عمله هذا يكفي لشفاء غليله. ولكنه عندما كان يعود الى بيته في نهاية النهار، لم يكن يعرف ماذا يفعل، فيقول:

وجدت روحي تضعف وتفرغ عند قضاء وقتي أمام شاشة التلفزيون. وسرعان ما أخذت بهجة الحياة التي في داخلي تتلاشى. وقد أخبرني أحد الاشخاص وقتذاك عن وجود برنامج مسائي للمساعدة في تدريس الأطفال المشردين في المدينة، فقد كانوا يفتشون تفتيشا يائسا عن متطوعين. لذلك قررت تجريب هذا العمل. وهاءنذا الآن أقدم

المساعدة في هذا المجال في كل مساء. ولا أصدق كيف قد تغيرت نظرتي للحياة كليا. فلم اكن أعلم سابقا على الإطلاق كم كان يترتب عليّ تقديم أعمال المحبة والخدمة إلى هؤلاء الأطفال.

عندما نعاني من الشعور بالوحشة أو العزلة، فالسبب يرجع على الأغلب الى أننا شخصيا لا نريد أن نحب الآخرين بل نريد أن يحبنا الآخرين. إن السعادة الحقيقية تأتي من خلال إبداء المحبة للآخرين. فالشيء الذي يلزمنا هو أن نسعى الى مجتمع من المحبة مع أخينا الإنسان باستمرار أي بمعنى إقامة علاقات أخوية قلبية معه، ويجب على كل منا ان يصير معينا كأخ أو كأخت في سعينا هذا. فلنسأل الله تعالى ليفتح قلوبنا المغلقة على هذه المحبة، عالمين أننا لا نقدر على الحصول عليها إلا في اتضاع الصليب.

يمكن لكل شخص أن يكون أداة لمحبة الله

في قصة خلق آدم وحواء، يتضح بجلاء أن الرجل والمرأة قد خُلقا لكي يعين ويسند ويكمل أحدهما الآخر. وحتما كانت فرحة الله كبيرة وهو يحضر المرأة الى الرجل، والرجل الى المرأة! ولكوننا جميعنا مخلوقين على صورة الله وشبهه، فينبغي لنا لقاء الآخرين بالفرح والمحبة سواء كنا متزوجين أو عزاب.

فبإحضار حواء الى آدم أظهر الله لجميع البشر دعوتهم الحقيقية؛ وهي أن يكونوا مساعدين يكشفون محبة الله للعالم. وبتقديم ابنه الحبيب لنا، يسوع، فإن الله الآب يبين لنا أنه لن يتركنا وحيدين أو بدون عون. فقد قال يسوع بنفسه:

لن أترُكَكُم يتامى، بل أرجِعُ إلَيكُم. (يوحنا 14: 18).

ثم إن السيد المسيح يوعدنا قائلا:

أنّ مَنْ قَبِلَ وصاياي وعَمِلَ بِها أحَبَّني. ومَنْ أحَبَّني أحَبَّهُ أبي، وأنا أُحِبُّهُ وأُظهِرُ لَه ذاتي. (يوحنا 14: 21).

فمن يفهم عمق هذه الكلمات، وعظمة الأمل الذي تقدمه إلى عالمنا المضطرب؟ وعسى أن يتأكد كل من هو وحيد ومن فقد عزيمته ومن خاب أمله أن الله لن يتخلى عنهم أبدا. ولن يكونوا وحيدين أبدا حتى لو لم يتمكوا من إيجاد أية صداقة بشرية. فإذا لم يتخلوا عن الله، فلا يتخلى الله عنهم أبدا.

لقد جمع الله آدم وحواء ليشفيهما من العزلة وليحررهما من الانفرادية، وهذا ما يريده الله كذلك لكل رجل وامرأة يجمعهما في الزواج. غير أن الزواج في حد ذاته لا يقدر أن يخلق الالتئام والوئام. فما لم نثبت في المسيح لن نأتي بأي ثمر. فعندما نحب المسيح، الذي هو وحده سندنا ورجاؤنا وحياتنا، سوف نطمئن بأن أحدنا سيتعرف على الآخر وسيحبه. أما إذا عزلنا أنفسنا داخليا وروحيا عن المسيح فلا يسير أي شيء سيرة حسنة. فهو الوحيد الذي يوحِّد ويجمِّع كل شيء، وهو الذي يفتح لنا الأبواب على مصراعيها لنلتقي مع الله ومع الآخرين، مثلما يشهد عنه الإنجيل:

كانَ قَبلَ كُلِّ شيءٍ وفيهِ يَتكوَّنُ كُلُّ شيءٍ. هوَ رأسُ الجَسَدِ، أي رأْسُ الكَنيسَةِ، وهوَ البَدءُ وبِكرُ مَنْ قامَ مِنْ بَينِ الأمواتِ لِتكونَ لَه الأوَّلِيَّةُ في كُلِّ شيءٍ، لأنَّ اللهَ شاءَ أنْ يَحِلَّ فيهِ الملءُ كُلُّهُ وأنْ يُصالِحَ بِه كُلَّ شيءٍ في الأرضِ كما في السَّماواتِ، فبِدَمِهِ على الصَّليبِ حُقِّقَ السَّلامُ (كولوسي 1: 17-20).

الله منبع الحب الحقيقي وهدفه

إن الزواج هو ليس أسمى هدف للحياة التي نعيشها، وإنما محبة الله هي الأسمى لكل من العزاب والمتزوجين. فعندما يكون صدرنا متأجّج بمحبة الله ووصاياه أولا ثم ومن بعدها تأتي محبة الإخوة والأخوات في مجتمع

الكنيسة فسنعكس عندئذ صورة الله انعكاسا أكثر بهاء ولمعانا وكمالا. أما في الزواج المسيحي الحقيقي، فيعمل الزوج على توجيه زوجته وأولاده الى الله وليس الى نفسه. وبالطريقة نفسها ستدعم الزوجة زوجها كمعينة له، فيوجّهان معا أولادهما الى توقيرهما هما الاثنان كأب وكأم، ويقودانهم معا الى محبة الله باعتباره خالقهم.

أن يكون الشريك معينا لشريكه الآخر نيابة عن الله، هو ليس مجرد التزام بل أيضا نعمة. فيا للاختلاف الذي سنلمسه في علاقاتنا لو أعدنا اكتشاف هذه النقطة! نحن نعيش في وقت يسيطر عليه الخوف وعدم الثقة أينما ذهبنا. فأين هي المحبة، تلك المحبة التي تبني المجتمع المسيحي والكنيسة؟

هناك نوعان من المحبة: الأول، محبة تتسم بنكران الذات وتتجه بشكل غير أناني نحو الآخرين وخيرهم، والثاني، محبة تملكية ومقتصرة على محبة الذات. يقول القديس أوغسطينوس Augustine (أحد آباء الكنيسة البارزين 354 – 430 م): "المحبة هي كيان روح الإنسان، وهي يد روحه أيضا، فعندما تمسك روحه بشيء ما لا يمكنها أن تمسك بشيء آخر، فلو أرادت مسك شيئا يعطى لها فعليها أن تضع جانبا ما تمسك به".[4] إن محبة الله لا تبتغي شيئا لنفسها، فهي تعطي ذاتها وتبذل نفسها لأن في ذلك سرورها.

والمحبة تتأصّل دائما في الله. فعسى الله أن ينعم علينا بقوة محبته لتملك علينا من جديد. فهي ستقودنا الى الآخرين لنشاركهم حياتنا في السراء والضراء. بل وأكثر من ذلك، ستقودنا الى ملكوت الله. فالمحبة هي سرّ ملكوت الله الآتي.

الفصل الثالث

فيصيرانِ جسَدًا واحدًا

ولِذلِكَ يترُكُ الرَّجلُ أباهُ وأُمَّهُ ويتَّحِدُ بامرأتِهِ، فيصيرانِ جسَدًا واحدًا.

تكوين 2: 24

إن الزواج مقدس. وفي العهد القديم (أي قبل الميلاد) يستخدم الأنبياء الزواج لوصف علاقة الله مع شعبه إسرائيل:

وَأَخْطُبُكِ لِنَفْسِي إِلَى الأَبَدِ. وَأَخْطُبُكِ لِنَفْسِي بِالْعَدْلِ وَالْحَقِّ وَالإِحْسَانِ وَالْمَرَاحِمِ. أَخْطُبُكِ لِنَفْسِي بِالأَمَانَةِ فَتَعْرِفِينَ الرَّبَّ" (هوشع 2: 19-20).

هنا يكشف الله محبته لجميع الناس بأسلوب متميز متمثِّل بالرباط الفريد بين الزوج وزوجته.

الزواج هو أكثر من مجرد العيش معاً في سعادة

في العهد الجديد (أي بعد الميلاد)، يُستخدم الزواج كرمز للوحدة بين السيد المسيح وكنيسته المقدسة. وفي إنجيل يوحنا يُشبَّه السيد المسيح بالعريس، وفي سفر الرؤيا نقرأ أن: "...عُرسَ الحَمَلِ جاءَ وَقتُهُ، وتَزَيَّنَت عَروسُهُ" (رؤيا 19: 7).

أما أعجوبة تحويل الماء الى خمر من قِبل الرب يسوع المسيح في عرس قانا الجليل فلم يكن أمرا بلا مغزى بالتأكيد؛ فمن الواضح أن الرب كان لديه فرح عظيم بمسألة الزواج. لكن من الواضح أيضا أن الزواج في نظر يسوع أمر مقدس. وقد أخذ الأمر على محمل الجد إلى درجة أنه يتكلم بحديّة لا هوادة فيها ضد أدنى خطوة ترمي الى تدمير الزواج أو التحلل من رباطه، فاسمعه يقول:

فلا يكونانِ اثنينِ، بل جسَدٌ واحدٌ. وما جمَعَهُ اللهُ لا يُفرِّقُهُ الإنسانُ". وسألَه الفَرِّيسيُّونَ: "فلِماذا أوصى موسى بأنْ يُعطيَ الرَّجُلُ اَمرأتَهُ كِتابَ طَلاقٍ فتُطلَّقُ؟" فأجابَهُم يَسوعُ: "لِقساوَةِ قُلوبِكُم أجازَ لكُم موسى أنْ تُطلِّقوا نِساءَكُم. وما كانَ الأمرُ مِنَ البَدءِ هكذا. أمّا أنا فأقولُ لكُم: مَنْ طلَّقَ اَمرأتَهُ إلاَّ في حالَةِ الزِّنى وتزَوَّجَ غَيرَها زنى" (متى 19: 6 - 9).

يمكننا أن نرى من خلال حديّة يسوع وعدم مساومته، مقدار بشاعة وشناعة الزنى في نظر الله. والكتاب المقدس بأكمله يحتجّ على ذلك الأمر ويشجبه، ابتداء بكتب الأنبياء التي حتى دعت عبادة بني إسرائيل للأوثان بالزنا، كما مكتوب في الكتاب المقدس:

هذا حظُّكِ ونصيبُكِ مِنِّي يقولُ الرّبُّ، لأنَّكِ نَسيتني وتوَكَّلْتِ على آلِهَةٍ باطِلةٍ. فأنا أيضًا رفَعتُ أذيالَ ثوبِكِ على وجهِكِ فاَنكَشَفَت عَورَتُكِ. رأيتُ أرجاسَكِ رأيتُ فِسقَكِ وصَهيلَكِ وفَحْشَ زِناكِ على التِّلالِ في البرِّيَّةِ. ويلٌ لَكِ يا أُورُشليمُ، أفلا تَطهَرينَ؟ وإلى متى؟ (إرميا 13: 25-27)

وانتهاء بسفر الرؤيا حيث نقرأ عن غضب الله على الزانية العظيمة (في إشارة إلى مملكة بابل التي كانت رمز العهارة والزنى). وعندما يتفكك رباط الزواج، فإن المحبة - التي تمثل وحدة الروح والنفس بين اثنين - تتفكك وتتمزق، ليس بين الشريك الزاني وزوجته (أو زوجها) فحسب بل حتى بينه وبين الله.

في ثقافة يومنا الحالي، نرى أن الزواج، كعرف من الأعراف الاجتماعية، يترنح على حافة كارثة. فالكثير مما يسمى "حب" ما هو إلا رغبة أنانية. ولكن حتى في نطاق الزواج نرى أن هناك العديد من الأزواج يعيشون تحت سقف واحد عيشة أنانية. وينخدع الناس باعتقادهم بأن الزواج السعيد يمكن تحقيقه بدون تضحية ووفاء، ثم إنهما حتى لو عاشا معا، فهما يخشيان أن يحب أحدهما الآخر حبا غير مشروط.

ومع ذلك وفي وسط الملايين من العلاقات الزوجية المتخبطة والممزقة، تظل محبة الله أبدية وتصرخ وتناشد الناس في الثبات والإخلاص والولاء. ويوجد صوت في أعماق كل منا، مهما كان خافتا، ينادينا بالعودة الى الوفاء. وإننا بالحقيقة نتوق كلنا، بدرجة أو بأخرى، إلى الاتحاد مع شخص عزيز - بقلوب حرّة ومفتوحة. لكن إذا توجهنا الى الله واثقين بأن هذا الاتحاد مع شخص آخر أمر ممكن، فسيتحقق شوقنا.

إن السعادة الحقيقية تأتي من خلال تقديم أعمال المحبة والخدمة إلى شخص آخر. لكن المحبة لا تسعى فقط الى العطاء، بل تشتاق أيضا الى الاتحاد. فلو أحببتُ شخصا بحقّ، لأصبحتُ مهتما بمعرفة ما بداخله، ومستعدا للخروج من وحدتي وانفراديتي. وسأساعده بمحبة وتواضع لعله يصحو تماما بشأن الله وبشأن الآخرين. إن الحب الحقيقي لا يميل أبدا الى التملك، بل على العكس، فهو يأخذنا دائما الى حرية الوفاء الطوعي والحياة الشريفة الطاهرة الطوعية.

إن الوفاء بين الزوج والزوجة هو انعكاس للوفاء الأبدي لله؛ لأن الله هو الذي يحفظ كل رباط زوجي حقيقي في التئام ووئام. ولذلك، وبفضل بركة الوفاء الإلهي نتشجع وندع الحب يتدفق من خلال حياتنا، ونسمح لمواهب أحدنا أن تتفتح للآخر. وأيضا، وبفضل بركة محبة مجتمع الكنيسة ووحدته يصبح بالإمكان للفرد أن يكون على روح واحدة مع كل أخ وأخت في الكنيسة، وأن يكون أيضا قلبا واحدا وروحا واحدة، مثلما حصل مع المسيحيين الأوائل:

وكانَ جَماعةُ المُؤمنينَ قَلبًا واحدًا ورُوحًا واحِدَةً، لا يَدَّعي أحدٌ مِنهُم مُلْكَ ما يَخُصُّهُ، بل كانوا يتَشاركونَ في كُلِّ شيءٍ لهُم. (أعمال 4: 32).

الحب الجنسي قادر على جعل محبة الله منظورة

هناك فرق بين الحب بين شخصين مخطوبين أو متزوجين، وبين المحبة العامة الموجودة بين الناس من رجال ونساء. فلا توجد أية علاقة يعتمد فيها الواحد على الآخر مثل علاقة الزواج. فهناك فرح متميز في قلب المتزوج عندما يكون بقرب الحبيب؛ ولكن حتى عندما يفترقان، يبقى بينهما رباط فريد من نوعه. لأنه من خلال علاقة الزواج الحميمة والمليئة بالوصال والألفة والمودة يحصل شيء يمكن ملاحظته وربما يظهر حتى على ملامح وجهي الزوجين. كما يقول الطبيب النفساني الألماني الكاثوليكي فون جاجرن von Gagern: "في معظم الأحوال، لا يصبح الزوج رجلا حقيقيا إلا بزوجته، ولا تكتسب الزوجة أنوثة حقيقية إلا بزوجها".[5]

في الزواج الحقيقي يسعى كل شريك الى إتمام الآخر. وبتكميل أحدهما للآخر، ستتقوى الوحدة بينهما وستنمو. ومن خلال الحب بين الزوج والزوجة ومن خلال الوفاء بينهما ومن خلال ثمرهما (الإنجاب) فسوف يعكسان بكل ذلك صورة الله بطريقة عجيبة ورائعة.

إننا نكتشف في رباط الزواج الفريد المعنى البليغ في أن يصبح الزوجان جسدا واحدا. ومما لاشك فيه، أن معنى أن يصبح الزوجان جسدا واحدا هو أن يصيرا واحدا جسديا وجنسيا، ولكنه يعني أيضا أكثر من ذلك! فهذا الرباط هو رمز لشخصين ارتبطا معا وانصهرا معا قلبيا وجسديا ونفسيا، في عطاء متبادل ووحدة كاملة.

عندما يصبح الشريكان بالزواج جسدا واحدا، فإنهما لا يُعتبران بعد اثنين بل بالحقيقة واحدا. ووحدتهما هي ثمرة ما هو اكثر من علاقة المعاشرة أو الصداقة؛ إنها ثمرة أشرف وصال عزيز يتشح بالحرمة

الزوجية. وكما يكتب الفيلسوف الألماني فريدريش نيتشة Friedrich Nietzsche عن تلك العلاقة الزوجية بأنها تنتج عن "قرار اثنين يريدان أن يخلقا اتحادا أكبر منهما شخصيا. وهي توقير أحدهما للآخر، وتوقير لعملية تنفيذ مثل هذا القرار".[6]

فلا يمكن للزواج أن يرضي المطالب الشريفة لضمير الجنس إلا بهذا التوقير والوحدة الكاملة. فبتصميم الزوجين على إنجاب الأطفال وعلى أن يثمرا ويكثرا وأيضا بالتآزر معا الذي يمثل وحدة الله مع خليقته وشعبه، سيعطي الزواج صورة منظورة عن محبة الله الفياضة.

عندما يكون الله في مركز الزواج

فالوحدة الكاملة للقلب والنفس والجسد تكون ممكنة

وفقا للترتيب الإلهي للزواج، فهناك على الأقل ثلاثة مستويات مختلفة يعيشها الزوجان ويرتقيان من خلالها في حياتهما الزوجية. فالمستوى الأول – وهو الأروع – هو وحدة الروح: أي وحدة القلب والنفس في الله. فيمكننا في هذا الاتحاد والوئام أن يكون لنا شركة بعلاقات قلبية ونقية ليس فقط مع شريك حياتنا، بل أيضا مع جميع المؤمنين. والمستوى الثاني هو وحدة العواطف: أي بمعنى أن جريان الحب من القلب الى القلب يكون قويا جدا إلى درجة أن الشخص يمكنه أن يسمع دقات قلب الآخر، إذا جاز التعبير. أما المستوى الثالث فهو الوحدة الجسدية: وهو تعبير الوحدة الذي يحصل عندما ينصهر الجسدان ويندمجان في اتحاد تام.

للأسف، هناك عدد كبير من الأزواج في يومنا هذا يكتفون بالمستوى الثالث فقط، أو ربما بالمستوى الثاني. لكن الزواج المؤسس على الجسد والعاطفة وحدهما محكوم عليه بالإخفاق وخيبة الأمل. فبالرغم من أن موجات الجاذبية العاطفية أو الجسدية تُعتبر أمرا طبيعيا، إلا إنها قد تخلف ورائها جروحا عميقة إن لم تكن موضوعة تحت راية السيد المسيح. فإذا أُريد للزواج أن يكون مُعافًى وسليما فلابد من تأسيسه وفقا للترتيب الإلهي - أي على وحدة الروح والقلب والنفس.

قبل مدة قصيرة، أخبرتني امرأة أعرفها بأنها وزوجها انظمت إلى كنيستنا لا من أجل تكريس حياتهما لله وإنما مجرد لأنهما أرادا الحصول على مراسيم زفاف كنسية. فقالت: "لم أتكلم مطلقا مع زوجي عن ما كان الله يريده لحياتنا، أو ماذا كنا نريد عمله قبل وبعد الزواج". وتردف قائلة: "لم أكن أنا وزوجي على الموجة نفسها ليتفق ويفهم أحدنا الآخر". أما الآن فقد هجرها زوجها هي وأطفالهما الخمسة. وصارت ترى الآن بوضوح الحقيقة الموجعة أنه بسبب عدم ترسّخ وعودهما الزوجية على السيد المسيح، فقد افتقرا إلى أساس رصين يبنيان حياتهما الزوجية عليه.

إن الغالبية العظمى من الناس اليوم، بما فيهم نحن الذين ندعي باننا مسيحيون، ليس لديهم فكرة عما قد هيأه الله للذين يحبونه ويكرمونه بكل صدق. فعندما نحتضن من كل قلوبنا ترتيب الله لعلاقاتنا سنلمس بركته علينا. فمشاعر القلب التي يمكن أن يهبها الله في خطبة أو زواج حقيقيين أكبر بكثير مما يمكن تصورها. لكن، للأسف، يعيش الكثيرون منا، نحن البشر، في عالم الحواس فقط، المتعلق بالنوم والأكل والشرب، ولا نعطي أبدا لأنفسنا فرصة لننظر الى ما هو أهم: أي إلى حياتنا الروحية. وينطبق هذا على العديد من الزواجات اليوم. فنرى أن الجنس هو البؤرة التي يتمحور حولها الزواج، أما اتحاد القلوب فحتى لا يسعون إليها أو يذكرونها أصلا. فهل من المستغرب أن لا نجد سوى حفنة قليلة من الأزواج الذين يبقى بعضهم وفي لبعض مدى الحياة؟

إن كل من عاش قرب البحر يعرف شيئا عن قوة الطبيعة في المدّ والجزر. وهكذا الحال مع الزواج، كما هو الحال مع علاقة الصداقة، حيث توجد تيارات المدّ والجزر. فحينما تكون العلاقة في حالة الجزر (أي عند المصاعب) فسرعان ما نفقد صبرنا، ونبتعد عن شريك حياتنا، بل حتى ننبذ أي جهد لتجديد الحب. أما إذا كان الله في مركز حياتنا، فيمكننا التوجه إليه من أجل استمداد الإيمان والقوة والعزيمة حتى في أوطئ حالات جزرنا.

فكلما عشنا بأسلوب يليق بمستوى صورة الله التي خُلقنا وفقا لها، زاد إحساسنا بضرورة إبقاء الله في مركز حياتنا وبأن وصاياه مناسبة جدا لنا. وسنحسّ بأن هذه الوصايا ليست مفروضة علينا كقوانين غريبة أو أوامر. بل بالعكس، فسنرى إنها تتطابق وتنسجم مع طبيعتنا الحقيقية باعتبارها مخلوقة على صورة الله. ولكن كلما تنكَّرنا لصورة الله في داخلنا وحطمناها، بدت لنا سيادته أمر غريب علينا، وسيسلّط موقفنا هذا ضغطا معنويا سلبيا علينا والذي سيؤدي بدوره إلى سحقنا تماما.

فعندما يثمر الزوجان ثمار العطاء أحدهما للآخر، وذلك بتكميل بعضهما لبعض بمحبة، وعندما يثمران معا بإنجاب الأطفال – فسيصبح الزواج مباركا ومقدسا بفضل هذه الأهداف، وستجعل منه فرحا سماويا أيضا. وعلى الرغم من ذلك، فنرى في قصة الخلق وقبل مجيء وصية الله "أَثْمِرُوا"، فقد سبقتها حلول بركة وهي: نعمة الله بخلق شريك حياة للإنسان الأول. وبتقديم هذه النعمة الإلهية إلى الإنسان، فكأن الله يريد أن يقول: "صورتي تحيا فيكم". فكلما اقتربنا من الزواج وجب علينا أن ننظر الى هذه الحقيقة بوقار عظيم؛ ففي كل شخص وفي كل زواج تكمن الإمكانية للتعبير الحقيقي الأصيل عن صورة الله.[7]

الخطيئة الأولية

وَكَانَتِ الْحَيَّةُ أَحْيَلَ جَمِيعِ حَيَوَانَاتِ الْبَرِّيَّةِ الَّتِي عَمِلَهَا الرَّبُّ الإِلَهُ فَقَالَتْ لِلْمَرْأَةِ: "أَحَقّاً قَالَ الله لاَ تَأْكُلاَ مِنْ كُلِّ شَجَرِ الْجَنَّةِ؟"... فقالتِ الحَيَّةُ لِلمَرأةِ: "لَنْ تَمُوتَا! ولَكِنَّ اللهَ يعرِفُ أنكُما يومَ تأكُلانِ مِنْ ثَمَرِ تِلكَ الشَّجرَةِ تنفَتِحُ أعينُكُما وتَصيرانِ مِثلَ اللهِ تعرفانِ الخيرَ والشَّرَّ."

تكوين 3: 1 وَ 4 - 5

عندما خلق الله العالم، رأى أن كل شيء خلقه كان حسنا. فقد كانت الأرض ملكوت الله بحقّ، وكانت الحياة تسيّرها روح السلام. وكل شيء، بما في ذلك الرجل والمرأة، كان يسكن في وحدة ووئام ويبتهج أحدهما بالآخر وأيضا بكل ما خلقه الله. وكان يقف آدم وحواء أمام شجرة الحياة في وسط جنة عدن بارتعاش وخشوع من شدة التوقير والتعجب. ولكن بعد ذلك ضللت الحية آدم وحواء. وسرعان ما دخل الشرّ الى خليقة الله، وحاول تدميرها تماما.

لقد أغوى الشيطان حواء بسؤال بسيط واحد: "أَحَقّاً قَالَ اللهُ لاَ تَأْكُلاَ مِنْ كُلِّ شَجَرِ الْجَنَّةِ؟" (تكوين 3: 1) وقد أُغويتْ بوعد بسيط واحد: "لَنْ تَمُوتَا!" (تكوين 3: 4). ومن الضروري جدا أن ندرك معنى هذا.

فالشيطان المُضلِّل، أغوى حواء مستخدما كلام الله، تماما كما حاول إغواء يسوع المسيح فيما بعد بكلام الله.

الكبرياء تفصلنا عن الله وبعضنا عن بعض

ماذا كانت غير الكبرياء التي حركت حواء عندما نظرت الى الشجرة واشتهت ثمرها، راغبة في جعل نفسها مثل الله تعالى؟ ألم تكن تمتحن الله لترى ما إذا سيحفظ كلمته بحق؟ لقد زرعت الحية الشك في قلب حواء، التي أنصتت إليها بفضول شديد. وكان ذلك في حد ذاته غدر وخيانة لله، وهذا يفتح عيوننا على الكيفية التي لايزال الشيطان يعمل بها الى اليوم.

ولايزال الشيطان يريد أن يفصلنا عن الله وعن إخوتنا وأخواتنا وعن قريبنا (أيْ أخونا الإنسان). وإذا لم نكن على حذر وانتباه فإنه يمكنه أن يفعل ذلك ببساطة، فهو يوجه سؤالا بريئا في مظهره، لكي يزرع بذور عدم الثقة والانقسام في قلوبنا. ثم إنّ الشيطان يمكنه التنكّر في هيئة ملاك نور، "ولا عَجَبَ، فالشَّيطانُ نَفسُهُ يَظهَرُ بِمَظهَرِ مَلاكِ النُّورِ" (2 كورنثوس 11: 14)، لكنه في الحقيقة هو المفتري الذي يلوي عنان الحق ويشوهه، وأبو الأكاذيب، والقاتل منذ البداية، وهو يحاول أن يطيح بنا الى الفوضى والالتباس والشك - وغالبا ما ينجح في ذلك.

نقرأ في إنجيل متى أن الشيطان حاول أن يجرّب يسوع المسيح مباشرة بعد معموديته وبعد أن ذهب الى البرية من أجل الخلوة. ولما كان الشيطان يعلم أن يسوع المسيح متعب ومنهك جسديا بعد صومه أربعين يوما هناك في البرية، اقترب منه الشيطان بوجه ملئه الشفقة ومظهرا وقارا زائفا له من خلال الإيحاء له بوجوب انتماء جميع ممالك العالم له.

ومع ذلك فقد كشف يسوع الشيطان منذ أول التجربة على أنه المُضلِّل (المُجرِّب) والمشوِّه للحقيقة. وقد وضع السيد المسيح ثقته بالله بصورة كاملة وبلا شروط ولم يبالِ بالإصغاء الى المجرب ولا حتى للحظة،

بل واصل طريق الثقة والطاعة والاتكال على الله. فلم يستطع الشيطان أن يدنو من قلبه.

لم تكن الثمرة المحرمة وحدها هي التي أغرت آدم وحواء، وجذبتهما الى العصيان، بل كانت الكبرياء والرغبة الذاتية الأنانية في أن يصبحا مثل الله. ولأنهما كانا يفتقران الى الثقة والطاعة والاتكال على الله فقد فصلا نفسيهما عن الله. وبسبب توقفهما عن تقديم الاكرام لله، جعل أحدهما إلاهاً من الآخر.

إن اللعنة العظمى التي أصابت المصير البشري هي محاولة البشر أن يصبحوا مثل الله. ويقول القسيس اللاهوتي الألماني بونهوفر Bonhoeffer (وهو ذو شخصية معروفة سجنه هتلر في الثلاثينيات من القرن الماضي): "بالانسياق وراء إغراءات الشيطان للبشر لكي يكونوا مثل الله ولكن مستقلين عنه، أصبح الإنسان إلاها ضد الله".[8] والنتيجة هي المرض المتجذر في الروحانية البشرية. إن صورة الله الآن هي صورة مسروقة شوهتها الوثنية وعبادة الأصنام والتمرد ضد الله، وأصبحت تحمل في طياتها الظلمة الحالكة وأشكال الهوان والمعاناة. فها هو الكتاب المقدس يفضح هذه الأمور:

وَاستَبْدَلوا بِمَجدِ اللهِ الخالِدِ صُوَرًا على شاكِلَةِ الإنسانِ الفاني والطُّيورِ والدَّوابِ والزَّحّافاتِ. لذلِكَ أسلَمَهُمُ اللهُ بِشَهَواتِ قُلوبِهِم إلى الفُجورِ يُهينونَ بِه أجسادَهُم. اتَّخَذوا الباطِلَ بَدَلاً مِنَ الحقِّ الإلَهيِّ وعَبَدوا المَخلوقَ وخَدَموهُ مِنْ دُونِ الخالِقِ، تَبارَكَ إلى الأبدِ آمين. ولِهذا أسلَمَهُمُ اللهُ إلى الشَّهَواتِ الدَّنيئَةِ، فاستَبْدَلَتْ نِساؤُهُم بالوِصالِ الطَبيعيِّ الوِصالَ غَيرَ الطَّبيعيِّ، وكذلِكَ ترَكَ الرِّجالُ الوِصالَ الطَّبيعيَّ لِلنِّساءِ والتَهَبَ بَعضُهُم شَهوَةً لِبَعضٍ. وفعَلَ الرِّجالُ الفَحْشاءَ بِالرِّجالِ ونالوا في أنفُسِهِم الجَزاءَ العادِلَ لِضَلالِهِم ولأنَّهُم رَفَضوا أنْ يَحتَفِظوا بِمَعرِفَةِ اللهِ، أسلَمَهُمُ اللهُ إلى فسادِ عُقولِهِم يَقودُهُم إلى كُلِّ عَمَلٍ شائِنٍ، وامتَلأوا بأنواعِ الإثمِ والشَّرِّ والطَّمَعِ والفَسادِ، فَفاضَت نُفوسُهُم حَسَدًا وقَتْلاً وخِصامًا ومَكْرًا وفَسادًا. هُمْ ثَرثارونَ نَمّامونَ، أعداءُ الله،

شَتّامونَ مُتَكبّرونَ مُتَعَجْرِفونَ، يَخلُقونَ الشَّرَّ ويتَنكَّرونَ لِوالِديهِم. هُم بِلا فَهمٍ ولا وَفاءٍ ولا حَنانٍ ولا رَحمَةٍ، ومعَ أنَّهُم يَعرِفونَ أنَّ اللهَ حكَمَ بالموتِ على مَنْ يَعمَلُ مِثلَ هذِهِ الأعمالِ، فَهُم لا يَمتَنِعونَ عَنْ عَمَلِها، بَلْ يَرضَونَ عَنِ الّذينَ يَعمَلونَها. (رومة 1: 23-32).

الحب الزائف يعوق فرح العطاء الكامل

لقد أخطأ آدم وحواء بحق الحب. لأنهما قد خُدِعا بحب زائف. فكم شيء يحدث اليوم باسم الحب ولكنه ليس سوى تخريب وقتل ما بداخل النفس!

يريد الحب الحقيقي أن يتألق شخص الله تعالى من خلال المحبوب: أيّ بمعنى أن يظل الله هو القيمة والمعيار الذي يقاس به الحب، والهدف النهائي الذي يسعى من أجله الحب. غير أن الإنسان في حبه الزائف للمحبوب، يضرب بأسمى فضيلة عرض الحائط، وبذلك سيعمل هذا الإنسان على استحالة تألّق وجه الله من خلال المحبوب.[9]

ويجب أن يكون هذا كله تحذيرا خطيرا لنا، سواء كنا متزوجين أو نأمل في الزواج. فالله وحده يجب أن يكون الأول في حياتنا، وليس شريكنا أو أولادنا. فقد تعلمتُ أنا وزوجتي من حياتنا الشخصية أنه عندما لم يكن لله المكان الأول والرئيسي في علاقتنا الزوجية، وعندما لم نلتفت إليه للاسترشاد حتى في الامور الصغيرة، فسرعان ما فترت علاقتنا وفقدت حرارتها. وقد أثر هذا الأمر على أولادنا أيضا (حتى لو لم يكونوا على وعي بذلك) بأن جعلهم غير طائعين ودائمي الشجار. وقد رأيت السيناريو نفسه يحدث في عائلات كثيرة: فعندما يفقد الزوجان علاقتهما الشخصية أحدهما مع الآخر فسينعكس هذا على أولادهما بحيث يمكن ملاحظة عدم وجود الأمان والطمأنينة والاستقرار في سلوك الأولاد. وفي حالتنا نحن - كما هي الحال مع الكثير من الأزواج - فبمجرد عودتنا أنا وزوجتي الى الله وسعينا لإعادة بناء علاقتنا الزوجية، تجاوب أولادنا وعاد الاستقرار.

عندما نُؤلّه شريك حياتنا أو أولادنا سيصبح حبنا مزيفا. ولا يعود بإمكاننا أن نتحدث بكامل الحرية وبصراحة عن عيوبنا ونقائصنا أو نقائص أفراد أسرتنا. ونصير مثل آدم، فلا نعود نحب الله محبة صادقة أو نرى نور محياه؛ فلا نرى غير الزوج (أو الزوجة) أو الأولاد. وبدلا من معالجة القضايا وجها لوجه، ترانا نتستّر عليها. وبهذه الطريقة تتلاشى في النهاية علاقتنا مع الله وعلاقة بعضنا مع بعض. والأسوأ من ذلك هو أننا سنفتح الباب للعديد من الشرور لتدخل حياتنا، وخاصة في الامور الجنسية، والتي ستؤدي الى موت روحي وانعزال وتقوقع. لقد فقد آدم وحواء براءتهما لأنهما فقدا شركتهما مع الله تعالى. وبسبب الفراغ الروحي الفظيع الذي نتج عن ذلك، فقد أنحى الرجل باللائمة على المرأة وشرع في فرض الهيمنة، والمرأة هي أيضا، وبعد استيائها من الرجل، ألقت باللوم على الشيطان. فتفككت الوحدة بينهما وتحطمت كلها، وصار الرجل والمرأة أحدهما منافس للآخر وحلّ الجفاء ولم يبقيا واحدا. فلنقرأ الكتاب المقدس:

فانْفَتَحت أعيُنُهما فعَرفا أنَّهُما عُريانَانِ، فخاطا مِنْ وَرَقِ التِّينِ وصَنَعا لهُما مآزِرَ. وسَمِعَ آدمُ وامرأتُه صوتَ الرّبِّ الإلهِ وهوَ يتمشَّى في الجَنَّةِ عِندَ المساءِ، فاخْتبأَا مِنْ وَجهِ الرّبِّ الإلهِ بَينَ شجَرِ الجَنَّةِ. فنادَى الرّبُّ الإلهُ آدمَ وقالَ لَه أينَ أنتَ فأجابَ سَمِعتُ صوتَكَ في الجَنَّةِ، فَخِفتُ ولأنّي عُريانٌ اختَبأتُ. فقالَ الرّبُّ الإلهُ مَنْ عَرَّفَكَ أنَّكَ عُريانٌ هل أكلتَ مِنَ الشَّجَرَةِ الّتي أوصَيتُكَ أنْ لا تأكُلَ مِنها فقالَ آدمُ المرأةُ الّتي أعطَيتني لِتَكونَ مَعي هيَ أعطتني مِنَ الشَّجرَةِ فأكَلْتُ. فقالَ الرّبُّ الإلهُ لِلمرأةِ لِماذا فَعَلتِ هذا فأجابَتِ المَرأةُ الحَيَّةُ أغوتْني فأكلْتُ. فقالَ الرّبُّ الإلهُ لِلحَيَّةِ لأنَّكِ فعَلْتِ هذا فأنتِ مَلعونَةٌ مِنْ بَينِ جميعِ البَهائِمِ وجميعِ وُحوشِ البَرّ. على بَطنِك تَزحفينَ وتُراباً تأكُلينَ طُولَ أيّامِ حياتِكِ. بَينَكِ وبَينَ المَرأةِ أُقيمُ عَداوةً وبَينَ نسلِكِ ونسلِها فهوَ يترَقَّبُ مِنكِ الرّأسَ وأنتِ تترَقَّبينَ مِنْه العَقِبَ. وقالَ لِلمَرأةِ أزيدُ تعَبَكِ حينَ تَحبَلينَ، وبالأوجاعِ تَلِدينَ البَنينَ. إلى زَوجِكِ يكونُ اشتياقُكِ، وهوَ علَيكِ يسودُ. وقالَ لآدمَ

لأَنَّكَ سَمِعتَ كلامَ امْرأتِكَ، فأكَلْتَ مِنَ الشَّجَرَةِ الّتي أوصَيتُكَ أنْ لا تأكُلَ مِنها تكونُ الأرضُ مَلعونَةً بِسبَبِكَ. بِكَدٍّكَ تأكُلُ طَعامَكَ مِنها طولَ أيّامِ حياتِكَ. شَوكاً وعَوسجاً تنبِتُ لكَ، ومِنْ عُشْبِ الحقلِ تقتاتُ. بِعَرَقِ جبينِكَ تأكُلُ خُبزَكَ حتّى تَعودَ إلى الأرضِ لأَنَّكَ مِنها أُخِذْتَ. فأنتَ تُرابٌ، وإلى التُّرابِ تعُودُ. (تكوين 3: 7-19).

عندما تنفصل علاقتنا الزوجية عن الله، فسرعان ما تتجذّر المنافسة فيما بيننا، وتسيّرنا الأنانية. وبتنافسنا مع شريك حياتنا للسيطرة على البيت، فإننا نسعى لخلق فردوس صغير لأنفسنا بشروطنا الخاصة، لكن سرعان ما نغرق في فراغ روحي واستياء عميق. ويتحطم رباطنا الروحي، لكننا لا نبقى مرتبطين أحدنا بالآخر إلاّ بسبب الافتتان والهيام السطحي. بالإضافة إلى أن بعضنا يلوم بعض بصفة مستمرة وترى كل منا يبحث عن مصلحته الخاصة واستقلاليته. أما فرح العطاء الكامل فقد تبخر، ولم يبقَ سوى لعنة القلب المنقسم الفاتر.

إن عدو "الحياة التي يريدها الله" يتمثل في نزعة الإنسان نحو الاستقلالية والشهوة. وكما يكتب جدي ايبرهارد آرنولد Eberhard Arnold (وهو مؤسس حركة برودرهوف Bruderhof للحياة المسيحية المشتركة):

> إن هذه النزعة هي الروح التجارية لعبادة المال، والروح القانونية (الجافية الخُلُق) للعلاقات القائمة على الملكية، وهي أيضا انفصال الشهوة الجنسية عن روح الإنسان وعن وحدة وشركة الروح... فهذا كله هو الموت بعينه؛ فلم يعد الأمر يمت الى الحياة بِصلة.[10]

فكل ما يقاوم الحياة والمحبة (ويتعارض معهما) هو في حد ذاته شرّ، ويجب علينا نحن المسيحيين ألاّ نستخف بقوة الشرّ أبدا. فالخطيئة تؤدي دائما الى الانفصال، وأجرة الخطيئة دائما موت، "لأَنَّ أُجرَةَ الخَطيئَةِ هيَ الموتُ، وأمَّا هِبَةُ اللهِ، فَهيَ الحياةُ الأبدِيَّةُ في المسيحِ يَسوعَ ربِّنا" (رومة 6: 23). إن الكبرياء الأثيم يثمر ثماره المرّة كالقطيعة والانفصال عن الله وعن إنساننا

الحقيقي الداخلي وعن الآخرين وعن الأرض. فالشيطان والخطيئة يهشِّمان علاقاتنا الأساسية العزيزة في الحياة.

لقد صوّر المسيحيون الشيطان، من قديم الزمان وللآن، كمخلوق له حوافر وقرون. ولكن مثل هذه الفكرة ليس لها سند في الكتاب المقدس؛ فالشيطان وأجناده يحيطون بالأرض كقوة للشرّ، مثل الغلاف الجوي كما يقول الكتاب المقدس:

> وفيما مَضى كُنتُم أمواتًا بِزَلاَّتِكُم وخَطاياكُمُ، الّتي كُنتُم تَسيرونَ فيها سِيرةَ هذا العالَمِ، خاضِعينَ لِرَئيسِ القُوّاتِ الشِّرّيرَةِ في الفَضاءِ، أيِ الرُّوحِ الّذي يَتَحكَّمُ الآنَ بالمُتمرّدينَ على اللهِ. (أفسس 2: 1-2)

وَكذلك:

> فنَحنُ لا نُحارِبُ أعداءً مِنْ لَحمٍ ودَمٍ، بَلْ أصحابَ الرِّئاسَةِ والسُّلطانِ والسِّيادَةِ على هذا العالَمِ، عالَمِ الظَّلامِ والأرواحِ الشِّرّيرَةِ في الأجواءِ السَّماوِيَّةِ. (أفسس 6: 12).

ثم إن اهتمام الشيطان الوحيد هو أن يعمي أذهان البشر بالمصلحة الذاتية وبالأنانية: "وتَصيرانِ مِثلَ اللهِ" (تكوين 3: 5). وبدلا من أن نسير في طريق طاعة الله ببساطة قلب، ترانا نحن البشر نسمح للشيطان أن يغري أنفسنا.

نحن كلنا مثل آدم وحواء نعيش في انقسامات وقطيعة بسبب خطيئتنا

إنّ خطيئة آدم وحواء الأولية ترمز بالحقيقة الى سقوط كل فرد فينا. ولا يمكننا تجاهل الحقيقة بأن صورة الله الأصلية فينا قد تشوهت تشوها فظيعا. فبدلا من أن نرضى بأن نعكس صورة الله، أخذنا نسعى من أجل أن نساوي أنفسنا بالله. لقد وَجّهنا أسمى ما في داخلنا من سمات ضد إرادة الله. وبسبب مفهوم "الحرية" العالمي المقلوب لم يعد حتى يهمنا الله

أو صورته الأصلية. لقد صرنا في قطيعة معه ولا تسيّرنا سوى أمور الدنيا ومتاعها. فنحن البشر في خصام مع أنفسنا، وقد وقعنا في فخ لا مخرج له بسبب ذنوب انقساماتنا.

وعند استئصالنا لله من حياتنا بهذه الطريقة، فإننا نضع أنفسنا في بؤرة الكون بدلا من الله، ونحاول إيجاد سلام الروح في الممتلكات وفي مُتَع الحياة. لكن هذه الأمور التي هي بمثابة آلهة وثنية لا تسبب لنا غير الاضطراب بالقلق والعذاب. عندئذ تهيج علينا الأسئلة التي تتسم بالشك، فنتساءل أولا: "لماذا؟" والسؤال الثاني: "هل الله موجود حقا؟" فنبدأ بالتشكيك في إرشاد الروح القدس، ونسأل: "لماذا تبدو الحياة معي صعبة للغاية؟" "ولماذا أنا بالذات؟".

إن أسئلة مثل هذه تنهش بثقتنا بالله وتوكلنا عليه وأيضا بثقتنا بالآخرين وتجعلهما تتلاشيان، وبمجرد أن نبدأ بطرح هذه الأسئلة فمعناه أننا بالتأكيد لسنا بعيدين عن اقتراف الخطيئة. لكن الثقة الكاملة بالله تعني المسك بيده التي يمدها إلينا والمضي في الطريق الذي يوجهنا إليه هو. لأن ثقتنا بالرب سوف تساعدنا على أن نتبعه حتى وإن كان طريقه يمرّ عبر الظلام أو الآلام أو عبر أماكن قاسية أو فوق صخور وصحاري. فإذا مسكنا بيد الله فلا ضير علينا. ولكن بمجرد أن نتخلى عن الله ونستجوبه، فسوف ننحدر الى اليأس. لذلك فالتحدي الصعب الذي أمامنا هو دائما: التمسك بالله.

لقد كان على الرب يسوع أن يتحمل جميع الآلام البشرية؛ ولم يُعفى من شيء - لا الجوع ولا العطش ولا الوحدة ولا التعذيب. لكنه لم يحاول الهرب من شقائه. وها هو قريب من كل فرد فينا، ومستعد دائما لمساعدتنا، وأن يهبنا القوة لكي ننتصر، كما يقول الإنجيل:

ولَمَّا كانَ الأبناءُ شُركاءَ في اللَّحمِ والدَّمِ، شاركَهُم يَسوعُ كذلِكَ في طَبيعتِهِم هذِهِ لِيَقضيَ بِمَوتِهِ على الّذي في يدِهِ سُلطانُ المَوتِ، أي إبليسَ، ويُحَرِّرَ الّذينَ كانوا طَوالَ حَياتِهِم في العُبودِيَّةِ خَوفًا مِنَ المَوتِ. جاءَ لا ليُساعِدَ المَلائكَةَ، بَلْ ليُساعِدَ نَسلَ إبراهيمَ. فكانَ علَيهِ أنْ يُشابِهَ إخوتَهُ في كُلِّ

شيءٍ، حتَّى يكونَ رئيسَ كهنةٍ، رَحيمًا أمينًا في خِدمَةِ اللهِ، فيُكَفِّرَ عَنْ خَطايا الشَّعبِ، لأنَّهُ هوَ نَفسُهُ تألَّمَ بِالتَّجرِبَةِ، فأمكنَهُ أنْ يُعينَ المُجَرَّبينَ. (عبرانيين 2: 14-18).

وبفضل كلام يسوع هذا: "لِلرَّبِّ إِلَهِكَ تَسْجُدُ وَإِيَّاهُ وَحْدَهُ تَعْبُدُ" (متى 4: 10) يسعنا التغلب حتى على أكبر التجارب والإغراءات الشيطانية، وعلى أفظع ساعات الظلمات. فهذا هو السرّ. فها هنا يفقد الشيطان كل سلطة وهيمنة علينا، والخطيئة الأصلية لا تعود تقيّدنا.

الفصل الخامس

اِستعادة صورة الله

فالرَّبُّ هوَ الرُّوحُ، وحَيثُ يكونُ رُوحُ الرَّبِّ، تكونُ الحُرِّيَّةُ. ونحنُ جميعًا نَعكِسُ صُورَةَ مَجدِ الرَّبِّ بِوُجوهٍ مكشوفَةٍ، فنَتَحوَّلُ إلى تِلكَ الصّورَةِ ذاتِها، وهيَ تَزدادُ مَجدًا على مَجدٍ، بِفَضلِ الرَّبِّ الذي هوَ الرُّوحُ.... وإذا كانَ أحَدٌ في المَسيحِ، فهوَ خَليقَةٌ جَديدةٌ زالَ القَديمُ وها هوَ الجديدُ.

2 كورنثوس 3: 17 - 18 وَ 5: 17

إن علاقتنا بالله أقوى من أية علاقة بشرية. وكل العلاقات الأخرى هي مجرد رموز لها. ولكن أولا وقبل كل شيء فنحن البشر، كلنا صور لله، ويجب علينا أن نكنّ الوقار لهذه الحقيقة دائما.

وهناك أكبر أمل لكل من يبحث، ولكل علاقة أو زواج وهو أن نعلم بأن صورة الله، حتى لو كنا قد شوهناها وابتعدنا بأفعالنا عن الله، إلا أن انعكاسا باهتا لصورته لا يزال باقيا فينا. فعلى الرغم من فسادنا فأن الله لا يريد لنا أن نفقد نصيبنا كمخلوقات مخلوقة على صورته. لذلك أرسل ابنه الوحيد يسوع المسيح - آدم الثاني - ليقتحم قلوبنا، بحسب ما يشهد عنه الإنجيل:

فإذا كان الموتُ بِخطيئَةِ إنسانٍ واحدٍ سادَ البشَرَ بِسبَبِ ذلِكَ الإنسانِ الواحدِ، فبِالأَولى أنْ تَسودَ الحياةُ بواحدٍ هوَ يَسوعُ المَسيحُ أولَئِكَ الّذينَ يَنالونَ فَيضَ النِّعمَةِ وهِبَةَ البِرّ. فكما أنَّ خَطيئَةَ إنسانٍ واحدٍ قادَتِ البشَرَ جميعًا إلى الهَلاكِ، فكذلِكَ بِرُّ إنسانٍ واحدٍ يُبَرِّرُ البشَرَ جميعاً فينالونَ الحياةَ. وكما أنَّهُ بِمَعصِيَةِ إنسانٍ واحدٍ صارَ البشَرُ خاطِئينَ، فكذلِكَ بِطاعَةِ إنسانٍ واحدٍ يصيرُ البشَرُ أبرارًا. (رومة 5: 17-19).

ويقول الإنجيل أيضا:

فالكِتابُ يَقولُ: "كانَ آدمُ الإنسانُ الأوَّلُ نَفسًا حَيَّةً"، وكانَ آدمُ الأخيرُ رُوحًا يُحيي. (1 كورنثوس 15: 45).

فبفضل الرب يسوع يمكن استعادة صورة الله إلى كل رجل وإلى كل امرأة وإلى كل علاقة.

الرب يسوع يفتتم الطريق الى الله وبعضنا الى بعض

إنّ الرب يسوع هو المُصالِح الإلهي: لقد جاء ليصالحنا مع الله ومع الآخرين، ويقضي على التنافر الروحي في حياتنا، كما يقول الإنجيل:

فاذكُروا أنتُمُ الّذينَ كانوا غَيرَ يَهودٍ في أصلِهِم، أنَّ اليَهودَ الّذينَ يَعتَبِرونَ أنفُسَهُم أهلَ الخِتانِ بِفِعلِ الأيدي في الجَسَدِ لا يَعتَبِرونَكُم مِنْ أهلِ الخِتانِ. واذكُروا أنَّكُم كُنتُم فيما مَضى مِنْ دُونِ المَسيحِ، بَعيدينَ عَنْ رَعِيَّةِ إسرائيلَ، غُرَباءَ عَنْ عُهودِ الله ووَعدِهِ، لا رجاءَ لكُم ولا إلهَ في هذا العالَمِ. أمَّا الآنَ، فَفي المَسيحِ يَسوعَ صِرتُم قَريبينَ بِدَمِ المَسيحِ بَعدَما كُنتُم بَعيدينَ. فالمَسيحُ هوَ سلامُنا، جعَلَ اليَهودَ وغَيرَ اليَهودِ شَعبًا واحدًا وهدَمَ الحاجِزَ الّذي يَفصِلُ بَينَهُما، أيِ العَداوَةَ، وألغى بِجَسَدِهِ شَريعَةَ موسى بأحكامِها ووَصاياها لِيَخلُقَ في شَخصِهِ مِنْ هاتَينِ الجَماعتَينِ، بَعدَما أحَلَّ السَّلامَ بَينَهُما، إنسانًا واحدًا جَديدًا ويُصْلِحَ

بَينَهُما وبَينَ الله بِصَليبِهِ، فقَضى على العَداوةِ وجعَلَهُما جسَدًا واحدًا. جاءَ وبَشَّرَكُم بالسَّلامِ أنتُمُ الّذينَ كُنتُم بعيدينَ، كما بَشَّرَ بالسَّلامِ الّذينَ كانوا قَريبينَ، لأنَّ لنا بِه جميعًا سَبيلَ الوُصولِ إلى الآبِ في الرُّوحِ الواحِدِ. فما أنتُم بَعدَ اليومِ غُرباءَ أو ضُيوفًا، بَلْ أنتُم معَ القِدِّيسينَ رَعِيَّةٌ واحدَةٌ ومِنْ أهلِ بَيتِ اللهِ. (أفسس 2: 11-19).

وعندما تخور عزيمتنا أو نكتئب، فيجب علينا أن نسعى إليه أكثر من أي وقت مضى. وكل من يبحث سيجد الله. إن هذا وعد. ويقول الله في إرميا النبي:

وتَطلُبونَني فتَجدونَني إذا طلَبتُموني بِكُلِّ قُلوبِكُم. (إرميا 29: 13).

وإليك كلمات الإنجيل الرائعة:

فمَنْ يَسأَلْ يَنَلْ، ومَنْ يَطلُبْ يَجِدْ، ومَنْ يَدُقّ البابَ يُفتَحْ لَه. (لوقا 11: 10).

إن هذه الكلمات لا تزال صادقة وسارية المفعول حتى في يومنا هذا، وإذا أخذناها بجديّة، فسيصبح الله حيّ في قلوبنا.

إن الطريق الى الله مفتوح لكل شخص. ولا يستثنى أي بشر من هذه النعمة، لأن يسوع المسيح جاء كبشر. وقد أرسله الله ليستعيد صورته فينا. وبه حصلنا على الآب. لكن هذا لا يحدث إلا عندما يصير اختبار يوم الخمسين (يوم حلول الروح القدس على الكنيسة الأولية) حقيقة متوهجة في حياتنا؛ بمعنى عندما نختبر التوبة الشخصية والهداية والإيمان.

إن أعجوبة يوم الخمسين، حينما نزل الروح القدس الى الأرض بكامل القوة وبكامل المحبة، يمكن لها أن تحدث في أي مكان في العالم وفي أي زمان. ويمكن لها أن تحدث أينما يوجد ناس يصرخون، "ماذا يَجبُ علَينا أنْ نَعمَلَ، أيُّها الإخوةُ؟!" (أعمال 2: 37) (مثلما صرخ الناس في يوم الخمسين) وأينما يكونون على استعداد لسماع الجواب العريق للقديس

بطرس الرسول: "تُوبوا ولِيَتعَمَّدْ كُلُّ واحدٍ مِنكُم بِاَسمِ يَسوعَ المَسيحِ، فتُغفَرَ خطاياكُم ويُنعَمَ علَيكُم بالرُّوحِ القُدُسِ،... تَخَلَّصوا مِنْ هذا الجِيلِ الفاسدِ!" (أعمال 2: 38 وَ 40).

التحرّر يأتي بفضل تسليم الحياة لله وليس بفضل الاجتهاد البشري

لا يمكننا الحصول على الغفران والخلاص إلاّ عند الصليب. فإننا عند الصليب نجتاز بالموت. وهذا الموت يحررنا من أي شيء يعوق شركتنا مع الله ومع الآخرين ويجدد علاقتنا معهم. وبتركنا للخطيئة والشر الذي قد استعبدنا، سنتحرر في الرب يسوع. فلا يمكننا أبدا تحرير أنفسنا أو إصلاح أنفسنا باجتهادنا البشري. وكل ما يمكن أن نفعله هو أن نسلم أنفسنا كليا للرب يسوع المسيح ولمحبته، بحيث لا تعود حياتنا تنتمي إلينا بعد وإنما إليه هو.

يكتب والدي ج. هاينريش آرنولد J. Heinrich Arnold (وكان من أحد خدام الكلمة في كنيستنا) فيقول:

> لو أردنا لجراحاتنا التي تسببها مكايد إبليس وسهامه أن تلتئم... لوجب علينا أن يكون لدينا الثقة المطلقة نفسها بالرب يسوع التي كانت لديه هو بالله. فنحن بالأساس لا نملك شيئا غير الخطيئة والمعاصي. ولكن يجب علينا أن نطرح خطايانا أمام الرب يسوع في ثِقة. عندئذ سيمنحنا الغفران وتطهير الروح وسلام القلب؛ وستقودنا هذه النعم الى محبة لا توصف.[11]

فماذا يعني قول ((طرح خطايانا أمام الرب يسوع في ثقة))؟... إن عملية التحرر من قيود الخطيئة وإمكانية المصالحة تبدآن كلما اعترفنا بالاتهامات الموجهة لنا من قبل ضميرنا. إن الخطيئة تعيش في الظلام والخفية وتود البقاء هناك. ولكن عندما نُخرِج خطايانا التي تثقل كاهلنا الى النور ونعترف بها بدون تحفّظ، فسوف نتطهّر ونتحرر. والقصة التي تحكيها

لنا دارلين Darlene التي أعرفها معرفة شخصية، توضح ذلك، فتقول دارلين:

في الصف التاسع عثرت على "زوج المستقبل". وقضيت ساعات طويلة أكتب بالسرّ في دفتر يومياتي، وصرت أحلم به وأراقب بيته أملا في أن أراه من خلال النافذة. ولكنه وبعد مرور عدة سنوات تزوج من فتاة أخرى، فانهار عالمي الخيالي الذي كنت أعيش فيه.

وأثناء دراستي في المدرسة الثانوية، حاولت أن أكون جزءا من التيار الملتزم، حريصة دائما على ما أقول وأفعل وألبس. لكن بمرور الوقت، ولغاية تخرجي، تغيرت تدريجيا، ولجأت الى العبث مع فتيان كثيرين، ورغم إحساسي بالذنب تجاه هذا بسبب نشأتي وتربيتي، إلا أنني اخترت مجرد أن أتجاهل هذا الإحساس. فأخمدت ضميري المحتج وأقنعت نفسي بأني قادرة على التعامل مع أي موقف كان.

وبعد المرحلة الثانوية، سافرت الى إسرائيل، رغبة مني في أن أقضي عاما في الـ "كيبوتس" (وهو تجمع سكني تعاوني يضم جماعة من المزارعين أو العمال اليهود الذين يعيشون ويعملون معا). في البداية صُدِمْتُ بسبب الحفلات المستمرة للمراهقين هناك وانغماسهم في الجنس، ولكن سرعان ما وجدت نفسي أندمج في الأجواء وأرتاد غرف الشباب وأذهب الى حفلات الشرب ومراقص الديسكو مثل أي شخص آخر. وقلت لنفسي: "يمكنني أن أنسحب من هذا الجو في أي وقت أشاء". لكن ما هي إلا أسابيع حتى انخدعت نفسي مع فتى قال لي إنه يحبني حبا حقيقيا. وكنت أريد أن أصدقه حتى أنني وقعت في غرامه، رغم علمي بأنه كان "دون جوان" المحلة. وبدأت أحسّ بالذنب أكثر فأكثر؛ ورأيت أني أفعل بالضبط ما كنت أزعم أن لديّ القوة على مقاومته. ثم إنني أصبت بالذعر عندما رأيته بعد عدة ليالي مع فتاة أخرى.

فرجعت الى بلدي، وفي خلال العامين التاليين، ظننت أني تجاوزت مشكلتي وتغلبت عليها، لكن الأمر لم يكن كذلك فقد سقطت ثانية.

لقد وعدني رجل بمستقبل رائع، وظل يردد على مسامعي كم كان يحبني، وكم كنت جميلة. وكنت لا أريد شيئا سوى تصديقه. وسرعان ما تشابكت الأيادي، ثم كان العناق والقبلات واللمسات - شيء يستدرج الآخر. وكلما أراد المزيد مني أغلقتُ بإحكام تام على جميع مشاعر الذنب والفظاعة الشنيعة التي في داخلي. واستسلمت عندما طلب مني الجنس. اخترت أن أغوص في الخطيئة، بدلا من مواجهة الفوضى المطلقة التي كنت فيها. وأردت الهروب من بيتي لأعيش معه، ووعدته بحبي وإخلاصي، حتى وإن كان قد هدد بقتلي لو أخبرت أي إنسان عن علاقتنا. أما في اليوم التالي فقد اختفى، ولم أره ثانية مطلقا.

وبعد أن ابتليتُ بالاكتئاب والحزن، فكرت بالانتحار. وكان لدي ألم مستمر في رأسي ومعدتي. وشعرت أني في طريقي الى الجنون. لقد استحوذ عليّ الجنس؛ ولم أرى كيف يمكنني أن أواصل حياتي بدون رجل "يحبني". فأخذت أنتقل من فتى لآخر؛ حتى كان اثنان منهم مرتبطين بعلاقة خطوبة مع فتيات أخريات. فانتابني اليأس، وبكيت ساعات طويلة بالسرّ. وبالرغم من أنني كنت أحس بداخلي وكأنني عاهرة إلا أنني حاولت أن أظهر لعائلتي وأصدقائي شخصية سعيدة وواثقة...

لكن حياتي المزدوجة ما كان لها أن تدوم الى الأبد، وأخيرا انفضح كذبي. لكنني أحسست آنذاك بأن الله كان يعطيني فرصة أخرى. وقد لا أجد ثانية فرصة مثل هذه، للإقلاع عن خطيئتي. وبعد استسلامي لله تعالى، توجهت الى والديّ، واعترفت لهما بكل شيء. لكن لم يكن الشيطان يريدني الإفلات من قبضته بهذه السرعة فكان يعذبني في النوم، لكنني بدأت ألمس محبة وحنان الله تدريجيا في الأسابيع والشهور التالية. وكانت هناك محبة وصلوات متواصلة من جانب أسرتي وكنيستي، الذين لم يفقدوا الأمل فيّ مطلقا. وأنا أؤمن أن الصلاة قد طردت الكثير من الأرواح الشريرة التي كانت تحوم حولي خصوصا في تلك الأسابيع الأولى.

وبعد أشهر من الصراع الروحي الشاق، انتهت أخيرا عبودتي للشرّ. ثم جاءت اللحظة التي لا تُنسى عندما أعلن راعي الكنيسة باسم الرب أن جميع خطاياي قد غُفرت. إن قوة تلك اللحظة وفرحتها لم يكن لهما حدود.

إن إيجاد شخص نحادثه عن حمل الخطيئة المثقلين به هو فعلا نعمة عظيمة. فحينما يفتح المرء قلبه لشخص آخر فإن هذا الأمر يمكن تشبيهه بفتح بوابة قناة في سد - فيجري الماء متدفقا الى الخارج، ويزول الضغط. فلو كان الاعتراف صريحا ومن القلب لأحدث إحساسا عميقا بالارتياح، لأنه الخطوة الأولى على طريق الغفران. لكننا في النهاية علينا المثول أمام الله. فلا مجال للهروب أو الاختباء عنه كما فعل آدم وحواء عندما عَصَياه. فلو كنا على استعداد للمثول أمام الله بحسب نور ابنه يسوع المسيح، لحرق الله كل ذنوبنا وجعلها دخانا منثورا.

ومثلما وهب الله الرجل الأول والمرأة الأولى سلاما وفرحا في جنة عدن، فإنه يهب الآن كل مؤمن ويسلمه مهمة السعي وبذل الجهود في سبيل النظام الجديد لملكوته المسالم والوديع. ولتنفيذ هذه المهمة علينا قبول سيادة الله في حياتنا، وأن نكون على استعداد للمضي في طريق الرب يسوع بكامله، أي بدء بالمذود الوضيع في بيت لحم وانتهاء على خشبة الصليب في جبل الجُلْجُلة. إنها مسيرة وضيعة جدا، ومتواضعة. لكنها السبيل الوحيد الذي يؤدي الى النور الكامل والى الأمل.

إن الرب يسوع هو وحده القادر على أن يغفر خطايانا وإزالة آثامنا، لأنه وحده الخالي من كل عيب. وهو قادر على أن يوخز ضمائرنا ويحررها من الجنس الدنس ومن مرارة استياء بعضنا من بعض ومن التنافر وعدم الوئام الذي بيننا، كما يشهد الإنجيل:

فما أَولى دَمُ المَسيحِ الّذي قَدَّمَ نَفسَهُ إلى الله بالرُّوحِ الأزلِيِّ قُربانًا لا عَيبَ فيهِ، أنْ يُطَهِّرَ ضَمائِرَنا مِنَ الأعمالِ المَيِّتَةِ لِنَعبُدَ اللهَ الحيَ. (عبرانيين 9: 14).

ومهما كانت درجة فسادنا ومهما كنا ملوثين بالآثام فلن تكون مشكلة لو قبلنا بوخز ضميرنا، ولو رحبنا بدينونة الله وبرحمته. فالضمير الذي اعتاد على أن يكون عدوا لنا، يصبح في المسيح صديقا.

الغفران له المقدرة على تغيير حياتنا

إنّ غفران الخطايا التي يقدمها الرب يسوع مجانا لها طاقة مؤثرة جدا الى درجة أنها تغير حياة الشخص كلياً. فإذا سلمنا أنفسنا له فسوف يستسلم ويهجرنا كل ما يجعلنا خائفين أو منعزلين أو مخادعين أو نجسين غير شريفين. وسوف يحدث انقلاب وتتعدل الأمور؛ فكل ما هو فوق سيصبح تحت، وما هو تحت سيصبح فوق. وسيبدأ هذا التغيير وهذا التحوّل في أعماق صميم كياننا، ثم بعد ذلك سوف تتحول وتتبدل كل من حياتنا الروحية والخارجية، بما في ذلك جميع علاقاتنا.

ويتبين بوضوح ما إذا كان الشخص قد تغير بهذه الطريقة أم لا، عندما يواجه المرء (هو أو هي) الموت. فالذين قد كانوا بقرب شخص يحتضر على فراش الموت، رأوا الأهمية البالغة للعلاقة الروحية للإنسان مع الله. ويعلمون بأن في نهاية الأمر، وعندما يسحب الإنسان نفسه الأخير، فأن هذه العلاقة هي الشيء الوحيد الذي يتكل عليه.

إن مهمة الإنسان في الحياة هي إعداد نفسه للقاء الله. ويعلمنا الرب يسوع كيف نفعل ذلك بقوله:

> كُلَّما صَنعتُم شَيئاً مِن ذلك لِواحِدٍ مِن إِخوتي هؤُلاءِ الصِّغار، فلي قد صَنَعتُموه. (متى 25: 40).

ويقول كذلك:

> هنيئًا للمساكينِ في الرُّوحِ، لأنَّ لهُم مَلكوتَ السَّماواتِ. (متى 5: 3).

وأنا شخصيا قد اختبرت هذا عند فراش الموت في الساعات الأخيرة لبعض الأشخاص. فوجدت أن الشخص الذي عاش لأجل الآخرين، مثلما فعل الرب يسوع، يكون الله قريبا جدا منه في ساعته الأخيرة وينعم بالسلام. ولكني رأيت أيضاً عذاب وآلام أولئك الذين عاشوا حياة أنانية ملئها الخطيئة، عند غصة الموت.

ويحتاج كل فرد فينا، سواء كان متزوجا أو أعزبا، الى أن يستوعب بعمق، الكلمات الأبدية الشافية للرب يسوع:

وها أنا مَعكُم طَوالَ الأيّامِ، إلى اَنقِضاءِ الدَّهرِ. (متى 28: 20).

فهناك حياة ومحبة ونور في يسوع. وبفضله يمكن لحياتنا وعلاقاتنا أن تتنقى من كل ما يثقل كاهلنا، وتتخلص مما يتعارض مع المحبة، وتُسترد صورة الله فينا.

الفصل السادس

الجنس وعالم اللّذّة

فكُلُّ ما خَلَقَ اللهُ حسَنُ، فما مِنْ شيءٍ يَجِبُ رَفضُهُ، بَلْ يَجبُ قَبولُ كُلِّ شيءٍ بِحَمدٍ، لأنَّ كلامَ الله والصَّلاةَ يُقدِّسانِهِ.

1 تيموثاوس 4: 4 - 5

الكتاب المقدس عن القلب باعتباره مركز الحياة الروحية للإنسان. ففي القلب تتخذ جميع القرارات، ويثبّت الاتجاه الذي يختار نوع الروح الذي سنتبعه وسنعيش وفقا له:

أنا الرّبُّ أفحَصُ نيَّاتِ القُلوبِ وأمتَحِنُ مشاعِرَ البشَرِ، فأُجازي الإنسانَ بِحسَبِ طُرُقِهِ، بِحسَبِ ثمَرَةِ أعمالِهِ. (إرميا 17: 10).

لكن قد خلقنا الله أيضا ككائنات تحب المُتع واللذات. فكل شيء ندركه بحواسنا ينتمي الى دائرة الحس واللذة، بما في ذلك الجاذبية الجنسية. خُذ مثلا أريج زهرة أو نسيم عذب أو ابتسامة الطفل الأولى فكلها تجلب لنا السرور. لقد وهبنا الله نعمة عظيمة في حواسنا، وإذا استخدمناها في حمده وتقديم الإكرام والمجد له، فبوسعها أن تقدم لنا سعادة عظيمة.

ولكن مثلما يقدر التمتّع باللذة على أن يقرّبنا من الله فإنه يقدر أيضا على أن يضلّلنا ويأخذنا عن جادة الصواب، بل حتى يقدر على أن يأتي بنا الى الظلمات الشيطانية. فغالبا ما نميل الى ما هو سطحي، ويفوتنا ما قد يهبه الله من جبروت وقوة إذا كان لدينا نظرة عميقة. وغالبا، وحينما نتعلق بشراهتنا في التلذُّذ بحواسنا وملذاتنا، ننسى ما يخصّ الله، وتفوتنا إمكانية أن نعيش العمق الكامل لإرادته المقدسة.

الفرح الدائم لا يكمن في حواسنا
بل في الله

لو رفضنا الحواس الحيّة التي عندنا وكرهناها، لأصبحنا كمن يرفض الله وما صنعته يداه،

> والرُّوحُ صَريحٌ في قَولِهِ إنَّ بَعضَ النّاسِ يَرتدُّونَ عَنِ الإيمانِ في الأزمِنَةِ الأخيرَةِ، ويَتبَعونَ أرواحًا مُضِلّلَةً وتَعاليمَ شَيطانِيَّةً، لِقومٍ مُرائِينَ كَذّابينَ اكتوَت ضَمائِرُهُم فماتَت، يَنهَوْن عَنِ الزَّواجِ وعَنْ أنواعٍ مِنَ الأطعِمَةِ خَلَقَها الله ليَتناوَلَها ويَحمَدَهُ علَيها الّذينَ آمنوا وعَرَفوا الحَقَ. (1 تيموثاوس 4: 1-3).

فلا يريد الروح القدس أن نرفض الجسد أو طاقاته العاطفية. لكن يجب علينا أن لا ننسى أن الشيطان يسعى لتخريب كل شيء طيب وخيّر؛ إنه كذاب يلوي عنق الحقّ، ويتقنص دائما أية فرصة لإخداعنا، ولاسيما في هذا المجال.

غني عن البيان، أن النفس تنجذب الى الله بواسطة الروح، لكنها دائما تكون مرتبطة بما هو طبيعي أو مادي بواسطة الجسد. وأمور الجسد ليست في عداء مع الروح، ويجب أن لا تُحتقر أبدا. لكن العدو الحقيقي هو الشيطان، الذي يحاول جاهدا وبصفة مستمرة أن يحارب النفس البشرية ويفصلها عن الله تعالى. فإرادة الله هي أن كل جزء في الحياة - روح ونفس وجسد - نضعها تحت سلطانه لأجل خدمته،

فإذا أكَلتُم أو شَربتُم، أو مَهما عَمِلتُم، فاعمَلوا كُلَّ شيءٍ لِمَجدِ اللهِ. (1 كورنثوس 10: 31).

لا يوجد في المجال الحسّي واللذة أي شيء خطأ في حد ذاته. بالإضافة الى ذلك، فإن كل شيء نفعله، سواء المشي أو النوم هو اختبار حسّي بدرجة ما. ولكن، ولكوننا مصنوعين على صورة الله، ولسنا مجرد حيوانات، فالمطلوب منا هو أكثر من ذلك.

عندما يقع اثنان في الحب، فإن الفرح الذي يعتريهما في بادئ الأمر يكون على صعيد الأحاسيس: فينظر أحدهما إلى عيني الآخر، ويسمع أحدهما صوت الآخر وهو يتكلم، وكلاهما يجدان بهجة في لمس يد الآخر أو حتى في دفء اقتراب أحدهما من الآخر. وطبعا يذهب ما يعيشانه إلى ما هو أبعد من مجرد النظر أو السمع أو المشاعر، لكنه ومع ذلك فإن بدايته تكون على صعيد الأحاسيس.

على أن الحب البشري لا يجوز له أبدا أن يظل عند هذا المستوى، وينبغي له أن يذهب الى ما هو أعمق كثيرا من ذلك. لأنه عندما تصبح اللذة غاية في حد ذاتها، فإن كل شيء يبدو عابرا ووقتيا، وترانا نندفع للسعي لإشباع ذواتنا في تجارب أزيد وأكثر متعة، كما يحذرنا الإنجيل:

فأقولُ لكُم وأشهَدُ في الرَّبِّ أنْ لا تَسيروا بَعدَ الآنَ سِيرَةَ الوَثَنيّينَ الّذينَ يُفكِّرونَ باطِلاً، وهُمْ في ظَلامِ بَصائِرِهِم وجَهلِهِم وقَساوَةِ قُلوبِهِم غُرَباءُ عَنْ حَياةِ اللهِ. فلمَّا فقَدوا كُلَّ حِسٍّ استَسلَموا إلى الفُجورِ، فانغَمَسوا في كُلِّ فِسقٍ ولا يَشبَعونَ. (أفسس 4: 17-19).

وعندما نبذل جهودنا في تسميم أحاسيسنا، فإننا سرعان ما ننهك ونخرّب مقدرتنا على استلام الطاقة الضرورية للحياة. وسنفقد أيضا قدرتنا على تذوّق أية تجربة روحية سامية. وقد أخبرني رجل أعرفه، وهو متزوج منذ أكثر من 30 عاما، قال:

عندما تزوجت من زوجتي، أردت منها في بادئ الأمر أن ترتدي ملابسا أنيقة ومغرية. وكان ذلك في أيام انتشار "موضة" الميني جيب، حيث كانت في نظري تبدو رائعة فيه. ولم أدرك حينذاك الأذية التي سببها موقفي هذا، لها ولغيرها من الرجال ولي شخصيا. فكنت بالحقيقة ومن خلال عملي هذا أشجع النظرة الشهوانية التي أدانها الرب يسوع المسيح بشكل قاطع. ولم ندرك هذا لا أنا ولا زوجتي إلا بعد فترة لاحقة، فتحرّرنا عندئذ من التشديد المريض على المظهر الخارجي الجسدي، وتطلعنا الى المزيد من العلاقات الأصيلة.

لن نكون قادرين على أن نعيش أمور هذه الدنيا بكل ملئها ما لم نسلم أنفسنا، بما في ذلك حواسنا، ونخضعها بوقار لله. لقد رأيت أمثلة كثيرة كيف أن الناس الذين يركزون اهتمامهم في إمتاع حواسهم تكون حياتهم ضحلة وبلا هدف. فعندما تتحكم حواسنا فينا، نَتدمَّرُ نفسيا ونصاب بالحيرة والالتباس. ولكننا مع الله، يمكننا رؤية وتلمُّس ما هو أبدي في الأحاسيس. وبفضله يسعنا إشباع أعمق اشتياق للقلب لما هو أصيل ودائم.

عندما نسلم الناحية الجنسية لله
فإنها تصبح نعمة.

إن اللذات والأحاسيس، بكونها هبة من عند الله، تظلّ سرّا غامضا؛ أما بدون الله فتفقد سرّيتها وتتنجس. وهذا ينطبق بالأخص على مجال الجنس برمته. فكل ما يتعلق بالحياة الجنسية له حرمته البالغة، والتي يخفيها كل واحد منا عن الآخرين بصورة غريزية. إن الجنس هو سر كل إنسان، وهو شيء يؤثر على الكيان الداخلي للإنسان ويعبر عنه أيضا. وإن كشف أي شيء في هذا المجال إنما يكشف النقاب عن حرمة الفرد وما هو شخصي، ويفسح الطريق أمام شخص آخر للتدخل في سر الإنسان. من هنا نرى ان موضوع الجنس - رغم أنه إحدى العطايا الإلهية العظمى - فإنه أيضا يكون

موضوعا للعار والعيب. فنحن نستحي من أن نكشف سرنا للآخرين. وهناك سبب لهذا: فمثلما استحى آدم وحواء من عريهما أمام الله تعالى لأنهما علما أنهما قد سقطا في الخطيئة، فنحن كذلك، كل واحد فينا يعلم بطبيعته الخاطئة. إن الاعتراف بهذا لا يعبر عن خلل اضطراب عقلي غير سليم كما يزعم كثيرين من علماء النفس. بل هو الردّ الغريزي لكي نستر ما هو مقدس وموهوب من قبل الله، وهو اعتراف يجب أن يقود كل شخص الى التوبة.

إن المقصد من الاتحاد الجنسي هو أن يكون تعبيرا وتجسيدا لرباط الحب الدائم الذي لا ينفصم. إنه يمثل أسمى تسليم كامل من شخص الى شخص آخر، لأنه يشتمل على الكشف المتبادل لأكثر الأسرار عزة وحرمة من جانب كل شريك. أما الانخراط بأي نشاط جنسي مهما كان نوعه بدون الاتحاد برباط الزواج فيعتبر تدنيسا ونجاسة وانتهاكا لتلك الحرمة. والممارسة الشائعة الخاصة "بالتجربة الجنسية" قبل الزواج، حتى مع شريك قد عزم الشخص الزواج منه، ليست أقل هولا وفظاعة، وبإمكانها تدمير الزواج المستقبلي بشدة. فلا يحقّ إزالة برقع الحرمة بين أي رجل وامرأة بدون بركة الله والكنيسة في إطار الزواج:

لِيَكُنِ الزَّواجُ مُكَرَّمًا عِندَ جميعِ النّاسِ، ولْيَكُنْ فِراشُ الزَّوجِيَّةِ طاهِرًا، لأنَّ اللهَ سَيَدينُ الفاجِرينَ والزُّناةَ. (عبرانيين 13: 4).

ولكن حتى ضمن إطار الزواج، فإنه ينبغي وضع موضوع الحرمة الجنسية كله تحت سلطان السيد المسيح، إذا أريد له أن يثمر ثمارا طيبة. ثم إن التناقض بين الزواج الذي مركزه المسيح، والزواج الذي يكون الجسد بؤرة تركيزه، موصوفا على أفضل وجه من قبل القديس بولس الرسول في رسالته الى أهل غلاطية، يقول:

وأمَّا أعمالُ الجَسَدِ فهِيَ ظاهِرَةٌ: الزِّنى والدَّعارَةُ والفجورُ وعِبادَةُ الأوثانِ والسِّحرُ والعَداوَةُ والشِّقاقُ والغَيرَةُ والغَضَبُ والدَّسُّ والخِصامُ

والتَّحزُّبُ والحسَدُ والسِّكرُ والعَربدةُ وما أشبَهُ. وأُنبِّهُكمُ الآنَ، كما نَبَّهْتُكمُ مِنْ قَبلُ، أنَّ الّذينَ يَعمَلونَ هذِهِ الأعمالَ لا يَرِثونَ مَلكوتَ اللهِ. أمَّا ثمَرُ الرُّوحِ فهوَ المَحبَّةُ والفَرَحُ والسَّلامُ والصَّبرُ واللُّطفُ والصَّلاحُ والأمانَةُ، والوَداعَةُ والعَفافُ. وما مِنْ شَريعَةٍ تنهى عَنْ هذِهِ الأشياءِ. والّذينَ هُم لِلمَسيحِ يَسوعَ صلَبوا جَسَدَهُم بِكُلِّ ما فيهِ مِنْ أهواءٍ وشَهواتٍ. (غلاطية 5: 19-24).

إن الذين ينظرون الى الشهوة الجنسية كنظرتهم الى النهم والشراهة في مجال الأكل، لا يفهمون الأهمية المتميزة الكامنة في المجال الجنسي. فعندما نستسلم لإغراءات الشهوة والنجاسة الجنسية، فأننا نتنجس بطريقة تختلف تماماً عما تسببه شراهة البطن، بالرغم من أن هذه الشراهة قد أدانها الرسول بولس أيضا. فالشهوة والنجاسة الجنسية تجرحاننا في صميم القلب والكيان. إنهما تهاجمان القلب في اللب والصميم. فكلما سقطنا في نجاسة جنسية، وقعنا فريسة للشر الشيطاني وفسد كياننا كله. ولا يمكننا أن نتحرر عندئذ إلا بتوبة نصوحة واهتداء.

عكس النجاسة هو ليس التزمّت

أن نقيض النجاسة الجنسية والشهوانية الجنسية هو ليس تكلُّف الحشمة والاستعفاف المفرط أو التزمُّت الخلقي أو التقوى الكاذبة. فما أشد تحذير الرب يسوع لنا من هذه الأمور!

الويلُ لكُم يا مُعَلِّمي الشَّريعةِ والفَرّيسيّونَ المُراؤونَ تُطَهِّرونَ ظاهِرَ الكأسِ والصَّحنِ، وباطنُهُما مُمتلِئٌ بِما حصَلتُم علَيهِ بالنَّهبِ والطَمَعِ. أيُّها الفَرّيسيُّ الأعمى طَهِّرْ أوَّلاً باطنَ الوِعاءِ، فيَصيرَ الظَّاهِرُ مِثلَهُ طاهرًا. الويلُ لكُم يا مُعَلِّمي الشَّريعةِ والفَرّيسيّونَ المُراؤونَ أنتُم كالقُبورِ المبيَضَّةِ، ظاهرُها جميلٌ وباطِنُها مُمتَلئٌ بعِظامِ الموتى وبكُلِّ فسادٍ. وأنتُم كذلِكَ، تَظهَرونَ لِلنّاسِ صالحينَ وباطِنُكُم كُلُّهُ رِياءٌ وشَرٌّ. (متى 23: 25-28)

من الضروري أن يكون فرحنا بما تتلذذ به أحاسيسنا صادقا وحرّا. ويقول عالم الفيزياء والرياضيات والفيلسوف الفرنسي باسكال Pascal: "إن مشاعر العشق نجدها أقوى عند من يريد التّنكُّر لها". فعندما تُكبح الشهوانية الجنسية بالإكراه الخلقي وليس بالتأديب النابع من فيض القلب، فما لها إلا أن تجد سُبلا جديدة من الكذب والتقنُّع والانحراف، كما يبين لنا ذلك الإنجيل:

"لا تَلمَسْ، لا تَذُقْ هذا، لا تُمسِكْ ذاكَ"، وهِيَ كُلُّها أشياءُ تَزولُ بالاستِعمالِ؟ نعَمْ، هِيَ أحكامٌ وتَعاليمُ بشَرِيَّةٌ، لها ظَواهِرُ الحِكمَةِ لِما فيها مِنْ عِبادَةٍ خاصَّةٍ وتَواضُعٍ وقَهرٍ لِلجَسَدِ، ولكِنْ لا قِيمَةَ لها في ضَبطِ أهواءِ الجَسَدِ (كولوسي 2: 21-23).

في زماننا الفاسد الذي لا يعرف العيب، تزداد صعوبة تنشئة الأولاد على توقير بالغ الحس لله سبحانه تعالى ولكل ما خلقه. لذلك، يتحتم علينا أن نبذل ما في وسعنا أكثر من ذي قبل لتنشئة أولادنا بالطريقة التي تجعلهم ينمون ليصيروا رجالا ونساء ملتزمين بحياة الطهر والنقاء - سواء تزوجوا كبالغين أو لم يتزوجوا.

ويجب أن نحرص على أن لا يتحدث أولادنا بدون وقار أو احترام عن الأمور الجنسية. لكننا في الوقت نفسه لا يمكننا تجنب الموضوع. ونحتاج بالأحرى إلى تنمية روح الوقار والاحترام لدى أولادنا. فينبغي علينا تعليمهم على فهم مغزى وقداسة الجنس وفقا للترتيب الإلهي، ونركز بشدة على أهمية حفظ أجسادهم طاهرة وغير دنسة، من أجل هدف وحيد وهو الزواج. فيجب أن يتعلموا الإحساس - مثل ما نتعلمه نحن الآباء - بأن الجنس لا تتحقق جميع أبعاده إلا في زواج طاهر ومقدس بحسب الترتيب الإلهي، وعندئذ يعطي أعظم متعة.

يفرح الله عندما يختبر أي زوجين شابّين اتحادا كاملا: أولا، اتحاد الروح ثم القلب ثم النفس ثم الجسد. وعندما يرفع الرجل والمرأة النقاب عن الجنس في وقار أمام الله تعالى، وفي علاقة معه، وفي ظل الوحدة

الموهوبة منه، فإن اتحادهما يمجد الله. ويتعين على كل زوجين أن يسعيا إلى هذا الوقار لأنه "هنيئًا لأنقياءِ القُلوبِ، لأَنَّهُم يُشاهِدونَ اللهَ" (متى 5: 8).

الفصل السابع

أنقياء القلب

هنيئًا لأنقياءِ القُلوبِ، لأنَّهُم يُشاهِدونَ اللهَ.... هذِهِ الوُعودُ وهَبَها اللهُ لنا، أيُّها الإخوةُ، فلنُطَهِّرْ أنفُسَنا مِنْ كُلِّ ما يُدنِّسُ الجَسَدَ والرُّوحَ، ساعينَ إلى القَداسَةِ الكامِلَةِ في مَخافَةِ اللهِ

متى 5: 8 وَ 2 كورنثوس 7: 1

يقول سورين كيركغارد Søren Kierkegaard (فيلسوف ولاهوتي دنماركي كبير) أن نقاء القلب يعني أن يشاء الشخص أمرا واحدا. وهذا الأمر الوحيد هو الله سبحانه تعالى وإرادته. أما العيش بعيدا عن الله، فتظل قلوبنا منقسمة ولا أمل لها في الالتئام. فما هي النجاسة الجنسية إذن؟ إنها الانفصال عن الله. وفي المجال الجنسي فهي إساءة استخدام الجنس، الأمر الذي يحدث عندما يستخدم بأية طريقة يحرمها الله.

إن النجاسة الجنسية لا تنجسنا أبدا من الخارج. ولا يسعنا مسحها وإزالتها سطحيا وقتما نشاء. فتأصلها يكون في مخيلتنا، فهي تنطلق من داخلنا مثل القرحة، كما قال يسوع المسيح:

فأجابَ: "أأنتُم حتى الآنَ لا تَفْهَمونَ؟ ألا تَعرِفونَ أنَّ ما يَدخُلُ فمَ الإنسانِ يَنْزِلُ إلى الجوفِ، ومِنهُ إلى خارِجِ الجسَدِ؟ وأمّا ما يَخرُجُ مِنَ

الفَمِ، فمِنَ القلبِ يَخرُجُ، وهوَ يُنجِّسُ الإنسانَ. لأنَّ مِنَ القَلبِ تَخرُجُ الأفكارُ الشِّرّيرةُ: القَتلُ والزِّنى والفِسقُ والسَّرقَةُ وشَهادَةُ الزُّورِ والنَّميمةُ، وهيَ التي تُنَجِّسُ الإنسانَ. أمّا الأكلُ بأيدٍ غيرِ مَغسولةٍ، فلا يُنجِّسُ الإنسانَ." (متى 15: 16-20).

إن النفس غير الطاهرة وغير العفيفة لا تشبع أبدا ولا تشفى أبدا: فهي دائما تريد سرقة شيء ما لنفسها، وحتى بعد ذلك تظل تشتهي المزيد. والنجاسة تلطخ النفس وتفسد الضمير، وتحطم تماسك الحياة، وأخيرا تقود الى الموت الروحي.

القلب غير العفيف لا يشبع ولا يتحرر

كلما سمحنا للجنس الدنس أن يمس نفوسنا، فتحنا الباب لقوى شيطانية لها القدرة على بسط سيطرتها على جميع المجالات في حياتنا، وليس على المجال الجنسي فقط. فيمكن للنجاسة اتخاذ أشكالا مختلفة؛ مثل تفاقم الهيام في أنواع مختلفة من الرياضة المحترفة وجعلها كإله؛ وقد تكون بهيئة الحمى الملتهبة المتطلعة إلى الحصول على هيبة أو تسلط على الناس الآخرين. فلو سيطر علينا وسيّرنا أي شيء آخر عدا السيد المسيح لعشنا في نجاسة جنسية.

إن النجاسة في المجال الجنسي تتضمن استخدام شخص آخر لمجرد إشباع الغريزة. فنراها حيثما يدخل الناس في مواقف الحرمة الجنسية دون أية نية لتكوين رباط دائم.

ومن أبشع أشكال النجاسة هي عندما يتورط شخص في جماع جنسي (أو أي عمل جنسي آخر) من أجل الحصول على المال. فإن شخصا كهذا "يصير واحدا مع العاهر أو العاهرة"، كما يصفها القديس بولس الرسول:

أمْ إنَّكُم لا تَعرِفونَ أنَّ مَنِ اتَّحدَ بامرأةٍ زانيةٍ صارَ وإيَّاها جسَدًا واحِدًا فالكِتابُ يَقولُ يَصيرُ الاثنانِ جسَدًا واحِدًا. (1 كورنثوس 6: 16).

والسبب هو لأنه يستخدم جسد كائن بشري آخر، على إنه مجرد شيء، ومجرد وسيلة لإرضاء الذات. وبفعلته هذه فإنه يقترف جريمة بحقّ الشخص الآخر، بل بحقّ نفسه أيضا، كما يقول الإنجيل، "ولكِن الزّاني يُذنِبُ إلى جَسَدِهِ":

أما تَعرِفونَ أنَّ أجسادَكُم هيَ أعضاءُ المَسيحِ فهَلْ آخُذُ أعضاءَ المَسيحِ وأجعَلُ مِنها أعضاءَ امرأةٍ زانِيَةٍ لا، أبدًا أمْ إنَّكُم لا تَعرِفونَ أنَّ مَنِ اتَّحدَ بامرأةٍ زانيةٍ صارَ وإيَّاها جسَدًا واحِدًا فالكِتابُ يَقولُ يَصيرُ الاثنانِ جسَدًا واحِدًا. ولكِنْ مَنِ اتَّحَدَ بالرَّبِّ صارَ وإيَّاهُ رُوحًا واحِدًا. اهرُبوا مِنَ الزِّنى، فكُلُّ خَطيئَةٍ غَيرُ هذِهِ يَرتكِبُها الإنسانُ هيَ خارِجَةٌ عَنْ جَسَدِهِ. ولكِن الزّاني يُذنِبُ إلى جَسَدِهِ. ألا تَعرِفونَ أنَّ أجسادَكُم هِيَ هَيكَلُ الرُّوحِ القُدُسِ الذي فيكُم هِبَةً مِنَ اللهِ فَما أنتُم لأنفُسِكُم، بَلْ للهِ. هوَ اشتَراكُم ودَفَعَ الثَّمنَ. فمَجِّدوا اللهَ إذًا في أجسادِكم. (1كورنثوس 6: 15-20).

وحتى في الزواج، يكون الجنس المستهدف لذاته هو جنس منفصل عن الله. وكما كتبت أستاذة الفلسفة الجامعية الكاثوليكية فون هيلدابراند von Hildebrand أن الجنس في هذه الحالة يكون حلاوة سامة تؤدي الى الشلل والهلاك.

لكن من ناحية أخرى، سنرتكب خطأ فادحا لو تصورنا بأن مضاد الفحشاء هو غياب المشاعر الجنسية. وفي الحقيقة والواقع، فإن انعدام وعينا الجنسي لا يكون بالضرورة أرضا خصبة للعفة والنقاوة. فمن يفتقر الى الشعور المرهف للجنس هو في الحقيقة ليس إنسانا كاملا: فهو ينقصه (أو ينقصها) شيئا ليس في التصرفات الطبيعية وتركيبته الداخلية فحسب بل أيضا في ما يعطيه لونا وشكلا متميزا للكيان الكلي للشخص.

إن الذين يسعون الى العِفّة والنقاوة لا يحتقرون الجنس. إنهم، وبكل بساطة، متحررين من الخوف من الاستعفاف المفرط ومن مظاهر الرياء المقززة. غير إنهم لا يفقدون أبدا الوقار لسرّ الجنس، ويحافظون على

مسافة منه ولا يَطَؤُونَه برجلهم إلى أن يدعوهم الرب للدخول الى أرضه بواسطة الزواج.

وللمسيحيين غير المتزوجين، فالحلّ هو ليس كبت المشاعر الجنسية؛ فهم لن يحصلوا على الطهارة إلا إذا سلّموا أنفسهم كليا للسيد المسيح. ففي الزواج يأتمن أحد الشريكين الآخر على القدسية الثمينة لموضوع الجنس. غير أن هذه النعمة، بمعناها العميق، ليست نعمة جاءت من فضلهما هما يوهبها أحدهما إلى الآخر بل نعمة الله سبحانه تعالى الذي خلقنا ككائنات جنسية. ومع ذلك، فكلما استسلمنا للتجربة والإغواء - حتى وإن كانت مجرد في أفكارنا – أخطأنا بحقّ الله، الذي خلق الجنس لدينا لتحقيق مقصده الا وهو قدسية الزواج.

يشاء الله أن ينعم على قلب كل إنسان انسجاما روحيا ووضوحا قاطعا. فهناك تكمن الطهارة، كما يوصينا الإنجيل:

> اقتَرِبوا مِنَ اللهِ ليَقتَرِبَ مِنكُم. اغسِلوا أيدِيَكُم، أيُّها الخاطِئونَ، وطَهِّر قَلبَكَ يا كُلَّ مُنقَسِمِ الرَّأْيِ. (يعقوب 4: 8).

وكما يكتب ايبرهارد آرنولد Eberhard Arnold (وهو علامة لاهوتي ومؤسس حركة برودرهوف المسيحية Bruderhof للحياة المسيحية المشتركة)، فيقول:

> إذا كان القلب غير واضح في طريقه وملتبس عليه الأمر وأيضا منقسم – وغير "بسيط" كما يوصفه الرب يسوع - فسيكون ضعيفا ومترهلا، وكسولا وعاجزا عن قبول إرادة الله تعالى، أو اتخاذ قرارات مهمة، أو القيام بعمل قدير. فلهذا السبب علق يسوع الأهمية العظمى على كل من وحدانية القلب والبساطة والوئام والتعاضد والحسم. إن نقاء القلب ما هو إلا نزاهة مطلقة، والتي تتغلب على الشهوات التي تضعف وتقسم. فإن ما يحتاجه القلب هو عزيمة قوية أحادية الاتجاه، ليكون متفتحا، صادقا ومستقيما، واثقا وشجاعا، ثابتا وقويا.[12]

مفتاح العفاف هو التواضع

بارك يسوع المسيح في التطويبات (التهاني)، في الموعظة على الجبل، الأنقياء والودعاء؛ وقال أنهم سوف يرثون الأرض ويشاهدون الله. إن النقاء والوداعة تنتمي إحداهما إلى الأخرى، لأن كلتاهما حصيلة تسليم الإنسان نفسه كليا لله. إنهما في الحقيقة يتوقفان عليه. لكننا لا نحصل على فضيلة النقاء والوداعة بالولادة؛ بل يجب علينا أن نصارع صراعا روحيا مريرا من أجلهما باستمرار. فليس هناك سوى فضائل قليلة أروع من النقاء والوداعة من التي يجب على المسيحي السعي من أجلها.

إن الصراع الروحي الذي يخوضه الإنسان ضد النجاسة الجنسية والمغريات والزنى ليس مقتصرا على الشباب. فهو لدى الكثيرين لا يتناقص مع جريان العمر أو ازدياد النضوج بل يبقى صراعا شديدا لمدى العمر. بالتأكيد أن الاشتياق القلبي إلى الحياة الشريفة أمر حسن وضروري، ولكن أن "يجزم" الفرد بعدم استسلامه للإغراءات مرة ثانية يبقى أمرا مستحيلا. فلذلك لا توهب نعمة الحياة الشريفة إلا عندما يعيش الإنسان نعمة الغفران. لكن معركتنا مع هذه الإغراءات ستستمر حتى بعد حصولنا على هذه النعمة. ولكن الفرق هو أننا سنستمد العزيمة والشجاعة من عند الله. ولا يهم عدد المرات التي أغوانا فيها الشيطان، أو مدى بشاعة التجارب التي وقعنا فيها؛ لأن الرب يسوع سوف يتشفع لنا إلى الله بالنيابة عنا إذا طلبنا منه ذلك. وبيسوع سننال النصرة على كل تجربة:

> ما أصابَتكُم تَجرِبَةٌ فوقَ طاقةِ الإنسانِ، لأنَّ اللهَ صادِقٌ فلا يُكَلِّفُكُم مِنَ التَّجارِبِ غَيرَ ما تَقدِرونَ علَيهِ، بَلْ يهَبُكُم معَ التَّجرِبَةِ وَسيلَةَ النَّجاةِ مِنها والقُدرَةَ على احتِمالِها (1 كورنثوس 10: 13).

لكن الإنسان المتواضع هو وحده القادر على اختبار طيبة الله الواسعة واللامحدودة. أما المتكبر فلا يمكنه ذلك أبدا. فالمتكبرين يفتحون قلوبهم لجميع أنواع الشرور: زنى، وكذب، وسرقة، وروح القتل. وحينما توجد واحدة من هذه الخطايا فستكون الأخريات على مقربة منها. والذين

يحاولون السعي إلى الحياة الشريفة بقوتهم البشرية المحدودة سيتعثرون دائما.

يواجه كل شخص فينا إغواء وتجارب جنسية، وأملنا الوحيد في التغلب على هذه التجارب يكمن في رغبتنا في الاعتراف بصراعنا في هذا المجال لشخص نثق فيه. وعندما نفعل ذلك نجد اننا لسنا الوحيدين في هذا الصراع.

أخبرني شاب يدعى فرانك Frank عن صراعه الروحي من أجل حياة الطهر والنقاوة فكتب إليّ يقول:

لقد كنت اعتبر نفسي، ومنذ طفولتي، شخصا متميزا وشخصا "روحيا" متدينا. وبمجرد ترسّخ هذه الشخصية في داخلي، بدأت أستصعب إخبار ومصارحة والديّ أو أي شخص آخر بمشاكلي. وبينما كنت أكبر استنفذت طاقتي كلها في محاولتي لأن أكون ولدا "فاضلا". كان يعجبني مراقبة الناس الذين يبدون في نظري ذوي شخصية قوية ومسيطرة ومن ثم محاولة تقليدهم. وقد استمر لديّ هذا الهوس بالذات طوال سنوات دراستي في المعهد. وقد اخترت أن أتبع الجمهور وأنجرف الى حيث تأخذني حياة المعهد.

وحين كبرت، رأيت نظرائي يصبحون شبابا بالغين، بكل ما تعنيه الكلمة، أي رجال حقيقيين. وحيث فزعت من تخلفي عن الركب، قمت بتهذيب جهودي لأخفي إحساسي العميق بعدم الثقة بالنفس، الأمر الذي تطور حينها الى اضطراب ذهني. وبدلا من البحث عن من هو حسن الخُلق، توجهت نحو أولئك الذين كانوا في نظري موهوبين روحيا، وحاولت تقليدهم.

وبمرور السنين، ازداد خوفي من وجود خطأ مزمن في حياتي. وبسبب كبريائي، عذبني الألم وابتليت بسوء الظن والشكوك والكراهية. وفي الوقت نفسه كان لدي علاقة غير شريفة سرّا. لكني أخفيت كل هذا وعشت في خوف مستمر من أن ينكشف أمري.

لقد لاحظت في كثير من الأحيان على الذين كان يمكن مساعدتهم بمرحلة مبكرة كيف يفقدون الأمل بالشفاء ومن ثم يغرقون أكثر فأكثر في الخطيئة الجنسية، أي الزنى. لأن مشاكلهم تتراكم كجبل من الثلج الذي ينهار لاحقا. ووصل البعض منهم حتى الى درجة السقوط في حياة الجريمة والمخدرات والإدمان على المسكرات، لمجرد أنهم لا يرون أي مخرج من فخ الجنس الدنس. وغالبا فإن كل ما يحتاج إليه شخص مثل هذا هو صديق أو قسيس يرشده الى الله ويشجعه للعمل من أجل حياة الطهر والنقاوة التي يتشوق إليها حقا. (فاتني القول أن فرانك في القصة السابقة تواجه أخيرا مع حالته الشخصية المزرية وطلب المساعدة). إن الانهماك الشديد بالذات، والتي هي على الأغلب كبرياء متسترة، تحجب عنه الوعد العظيم من أن كل إغراء يمكن له أن يندحر وأية تجربة جنسية دنسة يمكن أن تنتهي - لو انه مجرد كان راغبا في الاعتراف بسقطاته والكف عن الانشغال بالذات.

أما المتواضعون فيستلهمون قوتهم من الله. فربما يسقطون، لكن يمد الله يده إليهم دائما ليرفعهم وينجيهم من الدوامة المنحدرة.

ولابد من وضع كل شيء في حياتنا تحت لواء الرب يسوع وليس صراعاتنا الروحية فقط. فالرب يسوع قادر على التغلب على الشهوات التي تمزقنا وتبدد قوانا. فكلما تملّك روحه القدوس علينا، اكتشفنا شخصيتنا على حقيقتها.

من هم أنـقياء القلب؟

نرى في الموعظة على الجبل، كيف يتناول يسوع بحزم المحاربة اليومية من أجل العفاف والنقاء. ويقول: "مَنْ نظَرَ إلى اَمرأةٍ لِيَشتَهِيَها، زَنى بِها في قلبِهِ" وهذه الآية مأخوذة من هذا المقطع الإنجيلي:

وسمِعتُمْ أنَّهُ قيلَ: لا تَزنِ. أمَّا أنا فأقولُ لكُم: مَنْ نظَرَ إلى اَمرأةٍ لِيَشتَهِيَها، زَنى بِها في قلبِهِ. فإذا جَعَلَتْكَ عَينُك اليُمنَى تَخْطَأ، فاَقلَعْها

وألْقِها عَنكَ، لأنَّهُ خَيرٌ لكَ أنْ تَفقِدَ عُضوًا مِنْ أعضائِكَ ولا يُلقَى جَسدُكَ كُلُّهُ في جَهَنَّمَ. وإذا جَعَلَتْكَ يدُكَ اليُمنَى تَخطأُ، فاَقطَعْها وألْقِها عنكَ، لأنَّهُ خَيرٌ لكَ أنْ تَفقِدَ عُضوًا مِنْ أعضائِكَ ولا يذهَبُ جسَدُكَ كُلُّه إلى جَهَنَّمَ. (متى 5: 27-30).

وبمجرد حديث الرب يسوع عن الأفكار الشهوانية – دع عنك الأفعال الشهوانية – فإن ذلك وحده يرينا مدى أهمية الموقف الحازم للقلب في هذه المعركة.

يكتب بونهوفر Bonhoeffer (وهو القسيس الألماني المعروف الذي سجنه هتلر في الثلاثينيات من القرن الماضي) فيقول: "من هم أنقياء القلب؟...لا يوجد أنقياء قلوب سوى الذين قد سلموا قلوبهم كليا للرب يسوع لكي يظل وحده القدوس الساكن في قلوبهم؛ وسوى الذين لم تتنجس قلوبهم لا بشرورهم - ولا حتى بفضائلهم البشرية العاجزة".[13]

إن الأنقياء القلوب من رجال ونساء يكون بمقدورهم التمييز بين كل ما هو خيّر وكل ما هو شرير وباطل في المجال الجنسي. وهم متنبهين إلى مزاياه الحقيقية، وعلى وعي تام بخيره وجماله كنعمة إلهية. ولكنهم على وعي أيضا بأن أدنى انتهاك لهذه النعمة سيفتح الباب للأرواح الشريرة بالدخول إلى قلوبهم، وهم يعلمون بعجزهم عن تحرير أنفسهم من هذه الارواح بقوتهم الذاتية البشرية. فلهذا السبب، يتجنبون أي وضع يدنس النفس، ويمقتون فكرة جرّ الآخرين الى الخطيئة.

من الضروري جدا في معركتنا في سبيل العِفّة والنقاوة أن نرفض أي شيء ينتمي الى ميدان الفحشاء، بما في ذلك الجشع والتباهي وكافة أشكال الشراهة. ولا يجوز لموقفنا من هذه الأمور أن يشوبه أي سرور بالشهوة الدنسة حتى لو كان قليلا، بل أن نرفضها رفضا تاما. فإن كانت قلوبنا نقية وعفيفة، فسنقاوم تلقائيا أي شيء يهدد صفاء موقفنا هذا.

وهنا تقع مسؤولية عظمى على كاهل مجتمع الكنيسة في المحاربة اليومية من أجل أن تسود أجواء نقية عفيفة بين جميع أعضائها، مثلما أوصت الكنيسة المقدسة الرسولية الأولية:

أمَّا الزِّنى والفِسْقُ والفجورُ على أنواعِها فلا يَليقُ بالقِدِّيسينَ حتّى ذِكرُ أسمائِها. لا سَفاهَةَ ولا سَخافَةَ ولا هَزلَ، فهذا لا يَليقُ بِكُم، بَلِ التَّسبيحُ بِحَمدِ اللهِ. (أفسس 5: 3-4).

فالجهاد من أجل حياة النقاوة والعفاف يجب أن يسير جنبا الى جنب مع الجهاد من أجل العدل ومن أجل مجتمع متضامن، لأنه لا يوجد أي نقاء حقيقي للقلب من دون أي مشاعر اشتياق للعدل،

ومَنْ ظَنَّ أنَّهُ مُتَدَيِّنٌ وهوَ لا يَحفَظُ لِسانَهُ، خدَعَ نَفسَهُ وكانَت دِيَانتُهُ باطِلَةَ. فالدِّيانَةُ الطّاهِرَةُ النَّقيَّةُ عِندَ اللهِ أبينا هِيَ أنْ يَعتَنِيَ الإنسانُ بِالأيتامِ والأرامِلِ في ضِيقَتِهِم، وأنْ يَصونَ نَفسَهُ مِنْ دَنَسِ العالَمِ" (يعقوب 1: 26-27).

إن فضيلة العفاف والحياة الشريفة لا ترتبط بالمجال الجنسي فقط، فإذا عرفت أن جارك جائع، ومن ثم نمت دون إعطائه طعام، فهذا أمر ينجس القلب. فلهذا السبب وضع المسيحيون الأوائل كل ما كان يملكونه في صندوق مشترك – مأكلهم ومشربهم، وحاجياتهم، وطاقاتهم وحتى نشاطاتهم الفكرية والإبداعية - وتخلوا عن كل هذه الأشياء وقدموها لله. ولأنهم كانوا قلبا واحدا وروحا واحدة وجعلوا كل شيء عندهم مشتركا، تمكنوا عندئذ كجماعة واحدة من خوض المعركة مع كل هذه الأمور حتى النصر.

الزواج لا يضمن حياة العفاف

من الوهم أن نظن أن الصراع من أجل النقاء والعفاف سينتهي حالما يتزوج المرء. ذلك أن الزواج نفسه ممكن أن يكون فخا. ويظن الكثير من الشباب أن جميع مشاكلهم سوف تنحلّ بمجرد أن يتزوجوا، لكن في الحقيقة أن الكثير من مشاكلهم لا تبدأ إلا بعد الزواج.

مما لاشك فيه أن الاتحاد الزوجي بين الزوج والزوجة هو نعمة عظيمة. فله أن يعطي تأثيرا شافيا، خصوصا فيما يتعلق بالتخفيف من حدة الـ "أنا" أي تخفيف التمركز حول الذات. لكن تأثير الزواج الشافي بحد ذاته لا يشفي شفاء كاملا أبدا. فلا يمكن أبدا لأي بشر أن يحلّ مشكلة عذاب ضمير شريكه المثقل بالآثام. إن الشفاء الكامل لا يمكن الحصول عليه إلا بالرب يسوع.

لذلك فإن وثيقة الزواج ليست ضمانا لحياة العفاف والنقاء. فكلما فُقِدَتْ العلاقة الحقيقية مع الله، فَقَدَ الجنس بسرعة سموه الحقيقي وكرامته وأصبح هدفا وغاية في حد ذاته. لأنه حتى في الزواج، فإن السطحية في المجال الجنسي تعني الدمار لأنها تخرّب السر العجيب للرباط بين الرجل والمرأة.

نرى في يومنا هذا مأساة حقيقية حيث أن الكثيرين، حتى من بين المسيحيين، يستخدمون وثيقة الزواج كرخصة لإشباع كل شهوة. لقد حكى لي زوجين متوسطي العمر قابلتهما مرة، كيف يشاهدان من وقت لآخر في حجرتهما الخاصة أفلام فيديو خليعة لتساعدهما على "إبقاء علاقة حبهما حية" كما يزعمان. ولم يريا أي شيء خطأ في ذلك. وكان تبريرهما: "ألا يريد الله للزوجين أن يمتّع أحدهما الآخر؟". لم يتمكنا من أن يريا كيف انحرفت علاقة حبهما وصارت رخيصة. ومحاولتهما استبدال حياتهما بحياة الآخرين، لم تؤدِّ إلا الى اشتعال عدم قناعتهما أحدهما بالآخر.

لا شيء في الدنيا يحتاج إلى معونة وبركة الله أكثر من العلاقة الزوجية. لذلك عندما يقترن رجل بامرأة، يجب أن يكون لهما الموقف نفسه الذي كان لموسى عندما جاء الى العليقة التي كانت تتوقد بالنار وهي لا تحترق، فقد قال له الله سبحانه تعالى: "اخْلَعْ حِذَاءَكَ مِنْ رِجْلَيْكَ لأَنَّ الْمَوْضِعَ الَّذِي أَنْتَ وَاقِفٌ عَلَيْهِ أَرْضٌ مُقَدَّسَةٌ!" (خروج 3: 5). ويجب أن يكون دائما موقفهما موقف التبجيل والتوقير لخالقهما، ولسر الزواج.

لو كان اقتران الزوجين موضوعا تحت أمر الله، لتمكن الجنس من تحقيق وظيفته المرتبة من الله تحقيقا وافيا: فهو مليء رقة وسلام وسرّ

عجيب. وحاشا له أن يشابه تصرفا حيوانيا كالتعدّ (ساديّة) والشهوانية، لكنه يخلق ويعبر عن رابطة فريدة من الحب القلبي والباذل للذات.

عندما يعيش الزوجان الأمور الجنسية بهذه الطريقة، فسوف يشعران بأن اقترانهما لا يمكن أن يكون المقصود منه التناسل فقط. ولكن في الوقت نفسه عليهما أن يتذكرا أنه بفضل اقترانهما فربما تولد نفس جديدة إلى هذا العالم. وإن كانا ورعين حقا ويخافان الله، فسوف يكنان العجب لقدسية هذه الحقيقة بحيث يصبح اقترانهما بمثابة صلاة لله.

فمن دون السيد المسيح لا يستطيع أي رجل أو امرأة عاشا في نجاسة جنسية وزنى أن يستوعبا المعنى السامي والعجيب للمجال الجنسي. لكن مع المسيح يمكن لهما أن يحصلا على شفاء كامل.

نَحنُ نَعرِفُ أنَّ المَسيحَ متى ظهَرَ نكونُ مِثلَهُ لأنَّنا سنَراهُ كما هوَ. ومَنْ كانَ لَه هذا الرَّجاءُ في المَسيحِ طهَّرَ نَفسَهُ كما أنَّ المَسيحَ طاهِرٌ (1 يوحنا 3: 2-3).

الجزء الثاني:

ما جَمَعَهُ اللهُ

الفصل الثامن

الزواج في الروح القدس

فأطلُبُ إلَيكُم، أنا السَّجينَ في الرَّبِّ، أنْ تَعيشوا عِيشَةً تَليقُ بِالدَّعوَةِ الّتي دَعاكُمُ اللهُ إلَيها، وأنْ تكونوا مُتواضِعينَ ولُطَفاءَ وصَبورِينَ. فاحتَمِلوا بَعضُكُم بَعضًا بِمَحبَّةٍ، واجتَهِدوا في المُحافَظَةِ على وَحدَةِ الرُّوحِ بِرِباطِ السَّلامِ.

أفسس 4: 1 - 3

يوجد زواج لا يمر بامتحانات وأزمات، غير أن كل هذه الأمور يمكن لها أن تمهد السبيل لمزيد من الحب، والمتزوجون الشباب عليهم أن لا ينسوا هذا. لأن الحب الحقيقي يزودنا بالقوة اللازمة لمواجهة أي امتحان. وهو يعني أعمال صالحة، أي أعمال معاونة أحدهما للآخر بتواضع وبخضوع متبادل. إن الحب الحقيقي يولد من الروح القدس.

كثيرا ما نتغاضى عن سمو هذه الحقيقة. ونميل أحيانا الى صرف النظر عن الحب الحقيقي لأننا نعتقد انه مجرد خرافة واهية وأحيانا أخرى نبذل جهودا طائلة لاستكشافه بحيث يفوتنا كليا. على إن الحب الحقيقي المنبثق من الروح القدس لا يمكن الحصول عليه بمجهود بشري. وسيلاحظ الزوجان اللذان يختبران بركاته، بأن حبهما يتزايد على مر الأيام والسنين، بالرغم من التجارب التي يواجهانها. وبهجتهما في إسعاد الآخر تبقى حيّة حتى حينما تمرّ عقود من السنين على زواجهما. هذا ما عبرت عنه هايدي Heidi ابنة عمي التي تزوجت منذ أربعين عاما، فهي تقول أن

تعبيرات الحب لا تتطلب الكثير من البهرجة والتطبيل. وغالبا ما تعبر إيماءة واحدة بسيطة عن كل شيء. وتردف قائلة:

أنا وزوجي كلاوس Klaus قد مررنا بكثير من الصراعات الروحية والمجاهدات في علاقتنا الزوجية، وفي علاقتنا مع أبنائنا. ومع ذلك، وبالرغم من كل هذه الأمور، فقد نما حبنا وصار أقوى. وكنا نتعجب في مرات كثيرة من روعة عطية الله في كل منا. وأنا أعتقد بأنه لولا الرومانسية العاطفية لما استمرت علاقتنا - فالمفاجئات والأفراح الصغيرة التي يعملها الواحد للآخر هي التي ساهمت في تثبيت وتجديد حبنا في العديد من المرات. وكانت تصيبني الدهشة دائما عندما يكتب لي كلاوس قصيدة جديدة أو يرسم لي رسما صغيرا على قطعة من الحجر وجدها في الطبيعة. وكم كان يفرح هو عندما كنت أضع برعما من الزهر أو باقة ورود نظِرة بجانب سريره أو تحضير قدح شاي له عند مجيئه الى البيت بعد العمل!

لقد اكتشفنا إنه لا شيء أكثر إنعاشا للحب غير الضحك على ما نصادفه يوميا من اختبارات بيننا، أو عندما يمازحني بحيلهِ الشقيّة... فبالرغم من أن الزواج التزام حياتي جاد، غير أني أعتقد أنه بإمكاننا أن نكون كالأطفال نحوه ونتوكل على الله وإرشاده، متقدمين خطوة خطوة. فنتعثر أحيانا في الطريق؛ ونقترف الأخطاء؛ ونختلف ونتشاجر، لكن بعد هذا كله، يحب أحدنا الآخر أكثر من ذي قبل.

يكشف الروح القدس عن مستوى مختلف تماما من الاختبار

عندما يسعى أي رجل وامرأة الى إقامة علاقة بينهما، فإنهما يفعلان ذلك عادة بلغة المشاعر المتبادلة والقيم المشتركة ومقاسمة الأفكار والأماني الطيبة أحدهما نحو الآخر. لكن وبدون التقليل من هذه الأمور فيجب أن

ندرك أن الروح القدس يكشف عن مستوى مختلف تماما من الاختبار بين الزوج وزوجته.

مما لاشك فيه، أن الحب الزوجي القائم على أساس الاندفاع العاطفي يكون رائعا، لكنه أيضا يمكن أن يصبح يائسا وتعيسا بسرعة جدا. وهو أساس متزعزع على المدى البعيد. فالحب لا يحصل على اليقين والثبات إلا عندما يسيّر بالروح القدس.

إذا سعينا إلى الوحدة والحب اللذين يمكن تحقيقهما على المستوى البشري فقط، فإننا نظل مثل السحب نندفع ثم نتوقف وتلعب بنا الرياح كما تشاء. أما إذا سعينا إلى الوحدة في الروح القدس، فإن الله يستطيع أن يوقد فينا حبا وفيا بوسعه أن يدوم الى النهاية. فسيحرق الروح القدس ويبدد كل شيء فينا لا يسعه الصمود. إنه ينقي حبنا. فالحب الأصيل لا تولده أنفسنا بل يوهب إلينا.

إن الزواج بالروح القدس يعني الوفاء. فحيث لا يوجد ولاء لا يوجد حب حقيقي. وفي المجتمع الحالي لبلادنا نرى أن الزيجات تتعرض لامتحانات شديدة وتمر بمحن عصيبة، غير أن هذه ما علمها إلا أن تصقل وتزيد من وفاء الواحد للآخر. إن الوفاء ينبع من يقيننا الداخلي لدعوة الله لنا. وتأتي نتيجة الخضوع والتسليم للنظام الذي وضعه الله.

يصف خادم الكلمة بيتر ريدَمان Peter Riedemann (وهو من المنادين بمعمودية المؤمنين البالغين Anabaptist) في كتابه "شهادة الإيمان المسيحي Confession of faith" - 1540م - أن النظام الذي وضعه الله للزواج يشمل ثلاثة مستويات: الأول هو زواج الله مع شعبه والمسيح مع كنيسته والروح القدس مع أرواحنا، "ولكِنْ مَنِ اتَّحَدَ بالرَّبِّ صارَ وإيَّاهُ رُوحًا واحِدًا" (1 كورنثوس 6: 17). والمستوى الثاني هو المجتمع المتآخي لشعب الله حيث العدل – وعلاقتهم المشتركة في الروح والنفس. والمستوى الثالث هو الوحدة بين رجل واحد وامرأة واحدة، بحيث تكون "مرئية ومفهومة من قبل الجميع"، "ولذلِكَ يَتْرُكُ الرَّجُلُ أباهُ وأُمَّهُ ويتَّحِدُ بامرَأتِهِ فيَصيرُ الاثنانِ جَسَدًا واحدًا" (أفسس 5: 31).[14]

وحدة الايمان هي أضمن اساس للزواج

ويرسم الرسول بولس صورة متوازية بين الزواج والوحدة الروحية عندما يطلب من الأزواج أن يحبوا زوجاتهم:

مِثلَما أحَبَّ المَسيحُ الكنيسَةَ وضَحَّى بِنَفسِهِ مِنْ أجلِها. (أفسس 5: 25).

فالزواج في نظر المسيحيين يعد انعكاسا لوحدة سامية هي وحدة الله مع كنيسته المقدسة. لذلك فإن أهم شيء في الزواج المسيحي هو وحدة ملكوت الله في المسيح وفي الروح القدس. وفي النهاية فالوحدة هي الأساس الوحيد المضمون الذي يمكن أن يبنى عليه الزواج.

فاَطلبوا أوَّلاً مَلكوتَ اللهِ ومشيئَتَهُ، فيزيدَكُمُ اللهُ هذا كُلَّه. (متى 6: 33).

ينبغي دائما على الزواج أن يقرّب بين الزوجين المؤمنين والرب يسوع وملكوته. فلا يكفي للزوجين أن يتزوجا في كنيسة أو على يد قسيس. ولكن لكي يتقربا أكثر الى المسيح فيجب عليهما أولا أن يكرسا نفسيهما كليا كأفراد لروح ملكوت الله ولمجتمع الكنيسة الذي يخدم الروح القدس ويضعان نفسيهما رهن إرشاده وتوجيهه. فيجب أن يكون هناك أولا وحدة خالصة في الإيمان والروح وسنحصل بعدئذ على وحدة حقيقية للنفس والجسد أيضاً.

ولهذا السبب ترفض الكثير من الكنائس (ولاسيما في السنين الماضية) أن تزوّج أحد أفرادها من شخص ليس له إيمان مسيحي، كما يوصي الإنجيل:

لا تَقتَرِنوا بِغَيرِ المُؤمنينَ في نِيرٍ واحدٍ. أيُّ صِلَةٍ بَينَ الخَيرِ والشَّرِّ؟ وأيُّ علاقَةٍ لِلنُّورِ بِالظَّلامِ؟" (2 كورنثوس 6: 14).

(وفي سفر عزرا إصحاح 9 و 10 نقرأ كيف أن النبي كان عليه أن يأتي أمام الله ويتوب توبة نصوحة بالنيابة عن جميع رجال شعب إسرائيل الذين

أخذوا يتزوجون نساء من أمم وثنية). فمن جهة، تؤمن الكنائس بأن كل من ينجذب حقا بروح المحبة والعدل لن يبقى "غريبا"؛ ولكن من جهة أخرى، ترى أيضا أن الزواج بين أحد أفرادها وشخص لم ينجذب الى حياة مجتمع الكنيسة ولا إلى فرائض معتقداتها الأساسية سيحرم كلا الشريكين من الحصول على الوحدة الروحية التي هي أعلى مستوى للزواج.

أما من رغب في الانضمام إلى مجتمع الكنيسة وكان متزوجا من شخص له اعتقادات مغايرة، فيجب علينا أن نفعل المستحيل للحفاظ على زواجهما، طالما لم يتعثر إيمان هذا العضو الجديد بالشريك غير المؤمن.

عندما يكون الحب بين شريكين يرغبان في الزواج مكرّسا للروح القدس وموضوع تحت سيادته وإرشاده - وعندما يخدم هذا الحب وحدة وعدالة ملكوت الله - فلا يوجد أي سبب يمنع هذين الشريكين من اقتران أحدهما بالآخر. لكن إن كان الشريكان تنقصهما الوحدة الروحية، فإن الاقتران في كنيسة أمر في غير محله. لأنه لو كانت الكنيسة هي حقا جسد المسيح، لوجب على الوحدة المباركة بين أعضائها أن تأتي قبل كل شيء آخر وتكون في المرتبة الأولى والمقام الأول في حياة كل فرد فيها.

هنا، لابد من القول أنه لا يمكن أبدا للحلول البشرية أن توفي متطلبات الزواج الصحيح في الروح القدس، ولا يمكن حلها بواسطة مبادئ وأحكام وقواعد. وليس بالإمكان فهم واستيعاب هذه المتطلبات سوى في ضوء الوحدة، أي بمعنى من كان قد اختبر روح الوحدة وآمن به وقبله شخصيا، وابتدأ يعيش وفقا له سلفا.

(وإذا وضعنا الموضوع بمنطق الأولويات فيمكننا القول أن الإيمان يأتي أولا واختبار الروح القدس ثانيا ثم يأتي اختبار الوحدة في الجماعة المسيحية في ظل الروح القدس وبركته ومن بعدها يأتي الزواج.)

إن أهم ما في مشيئة الله هو الوحدة، فلنقرأ صلاة السيد المسيح في الإنجيل:

لا أُصلِّي لأجلِهِم وحدَهُم، بل أُصلِّي أيضًا لأجلِ مَنْ قَبِلوا كلامَهُم فآمنوا بي. إجعَلْهُم كُلَّهُم واحدًا ليَكونوا واحدًا فينا، أيُّها الآبُ مِثلَما أنتَ فيَّ وأنا فيكَ، فيُؤمِنَ العالَمُ أنَّكَ أرسَلْتَني. وأنا أعطَيتُهُمُ المَجدَ الّذي أعطَيتَني ليكونوا واحدًا مِثلَما أنتَ وأنا واحدٌ: أنا فيهِم وأنتَ فيَّ لتكونَ وِحدَتُهُم كامِلَةً ويَعرِفَ العالَمُ أنَّكَ أرسَلْتَني وأنَّكَ تُحبُّهُم مِثلَما تُحبُّني. (يوحنا 17: 20-23).

إن مشيئة الله لزرع الوحدة في صفوف الناس هي التي صنعت يوم الخمسين وجاءت به الى العالم (وهو يوم حلول الروح القدس على التلاميذ في أورشليم). ذلك أنه بحلول الروح القدس توجعت قلوب الناس فتابوا وتعمدوا. ولم تقتصر ثمار وحدتهم على الجانب الروحي فقط. فقد تأثرت أيضا المظاهر المادية والعملية لحياتهم، بل حدثت فيها ثورة. فصارت الحاجيات تجمع وتباع ويؤتى بأثمانها وتوضع عند أقدام الرسل. لقد أراد كل واحد فيهم أن يعطي كل ما لديه بدافع المحبة. ومع ذلك لم يتعرض أي واحد فيهم للحاجة أو العوز، بل تلقى كل منهم ما كان يحتاجه أو تحتاجه. ولم يقتطع أحد أي شيء لنفسه. ولم تكن هناك قوانين أو مبادئ تحكم هذه الثورة. حتى أن يسوع نفسه لم يقل لنا كيف يجب علينا تأديتها بالضبط، ولكنه قال فقط... "بِعْ ما تملِكُهُ ووَزِّعْ ثمَنَهُ على الفُقراءِ" (متى 19: 21). وقد حصلت هذه الثورة فعلا في يوم الخمسين: فقد حلّ الروح القدس على الناس ووحد قلوب الذين آمنوا، وفيما يلي نرى كيف يشهد لنا الإنجيل عن هذه الثورة:

وكانوا يُداوِمونَ على الاستِماعِ إلى تَعليمِ الرُّسُلِ وعلى الحياةِ المُشتَرَكَةِ وكَسْرِ الخُبزِ والصَّلاةِ. وتَمَّت عجائِبُ وآياتٌ كثيرةٌ على أيدي الرُّسُلِ، فاَستَولى الخَوفُ على جميعِ النُّفوسِ. وكانَ المُؤمِنون كُلُّهُم مُتَّحِدينَ، يَجعَلونَ كُلَّ ما عِندَهُم مُشتَرَكًا بَينَهُم، يَبيعونَ أملاكَهُم وخَيراتِهِم ويَتقاسَمونَ ثَمَنها على قَدرِ حاجَةِ كُلِّ واحدٍ مِنهُم. وكانوا يَلتَقونَ كُلَّ يومٍ في الهَيكَلِ بِقَلبٍ واحدٍ، ويكسِرونَ الخُبزَ في البُيوتِ، ويَتَناولونَ الطَّعامَ

بِفرَحٍ وبَساطةِ قَلبٍ، ويُسبِّحونَ اللهِ، وينالونَ رِضى النّاسِ كُلِّهِم. وكانَ الرَّبُّ كُلَ يومٍ يَزيدُ عَددَ الّذينَ أنعمَ علَيهِم بالخلاصِ. (أعمال 2: 42-47).

الروح القدس يحررنا من التفاهة
وينعم علينا بتوحيد القلوب

إن الوحدة الحقيقية، مثلها مثل الفرح أو المحبة، لا تأتي بالإكراه أو بخلقها بصورة مصطنعة. ثم إن الروح القدس وحده القادر على أن يخلق الوحدة. فلا يقدر على تحريرنا من تفاهاتنا ومن قوى الإثم والمعصية التي تفصلنا عن الله وبعضنا عن بعض سوى الروح القدس. لاشك أنه يمكننا أن نحاول بإرادتنا الذاتية أن نحرر أنفسنا من هذه القوى الشريرة، وقد نتغلب عليها بدرجة معينة ولفترة معينة من الزمن. لكن علينا أن نتذكر أنه في النهاية ليس سوى الروح القدس، روح المحبة، هو وحده القادر أن ينتصر على الجسد.

مرة أخرى علينا أن لا ننسى أبدا اعتمادنا على إرشاد الروح القدس،

فإذا كُنّا نَحيا بالرُّوحِ، فعلَينا أنْ نَسلُكَ طريقَ الرُّوحِ. (غلاطية 5: 25).

فإن كانت وحدتنا - حتى في الزواج - قد بنيت مجرد على المشاعر المتبادلة أو على القيم المشتركة وليس على الروح القدس، فإنها تكون عرضة لأن يبتلعها الجنس والعواطف البحتة. فنحن البشر لا نقدر من ذاتنا على صنع وحدة الروح القدس الحقيقية والتي تجعل من قلبين قلبا واحدا. فلا نحصل على الوحدة الحقيقية إلا بعدما نسمح لشيء أعظم منا أن يجتاح أنفسنا ويغيرها كليا.

حين يترسخ الزواج على الروح القدس، سيعلم كل من الطرفين أن حبهما ليس ملكا خاصا بهما بل هي ثمرة وعطية محبة الله الموحِّدة. وربما يستمر صراعهما الروحي بوجه الأنانية والشقاق والسطحية أو بوجه أي

اضطراب آخر، لكن لو أبقيا قلبيهما مفتوحين، لتمكن الروح القدس من رفع أعينهما الى الله والى معونته دائما.

يجب أن يزور الروح القدس كل فرد فينا باستمرار، سواء كنا متزوجين أو غير متزوجين. لأنه يريد أن يبدل كل شيء في قلوبنا ويهبنا القوة لنحب. ويقول بولس الرسول في رسالته الأولى الى كورنثوس عن المحبة:

المَحبَّةُ تَصفَحُ عَنْ كُلِّ شيءٍ، وتُصَدِّقُ كُلَّ شيءٍ، وتَرجو كُلَّ شيءٍ، وتَصبِرُ على كُلِّ شيءٍ. المَحبَّةُ لا تَزولُ أبَدًا. (1 كورنثوس 13: 7-8).

والمحبة تولد من الروح القدس، ولا يمكن للزواج الحقيقي أن يثمر ويدوم إلا بفضل الروح القدس.

الفصل التاسع

سِرّ الزواج العجيب

أيُّها الرِّجالُ، أحِبُّوا نِساءَكُم مِثلَما أحَبَّ المَسيحُ الكنيسَةَ وضَحَّى بِنَفسِهِ مِنْ أجلِها، ليُقَدِّسَها ويُطَهِّرَها بِماءِ الاغتِسالِ وبِالكَلِمةِ، حتّى يَزُفَّها إلى نَفسِهِ كنيسَةً مَجيدَةً لا عَيبَ فيها ولا تَجَعُّدَ ولا ما أشبَهَ ذلِكَ، بَلْ مُقَدَّسَةً لا عَيبَ فيها. وكذلِكَ يَجبُ على الرِّجالِ أنْ يُحِبُّوا نِساءَهُم مِثلَما يُحبُّونَ أجسادَهُم. مَنْ أحَبَّ امرأتَهُ أحَبَّ نَفسَهُ. فما مِنْ أحدٍ يُبغِضُ جَسَدَهُ، بَلْ يُغذّيهِ ويَعتَني بِه اعتِناءَ المَسيحِ بالكنيسَةِ. ونَحنُ أعضاءُ جَسَدِ المَسيحِ. "ولذلِكَ يَتْرُكُ الرَّجُلُ أباهُ وأُمَّهُ ويتَّحِدُ بامرأتِهِ فيَصيرُ الاثنانِ جَسَدًا واحدًا". هذا السِّرُّ عَظيمٌ، وأعني بِه سِرَّ المَسيحِ والكنيسَةِ.

أفسس 5: 25 - 32

وفقًا لترتيب الله تعالى، يتأصل الزواج والأسرة في الكنيسة. فالكنيسة هي تعبير الله الأساسي عن محبته وعدالته في العالم. وفي الكنيسة يمكن للزواج أن يكتمل بكامل أبعاده ويهبه الله قيمته الحقيقية. أما بدون الكنيسة فمحكوم عليه أن تقهره قوى المجتمع المهيمنة والمخربة.

الزواج هو أكثر من
مجرد رباط بين زوج وزوجة

ليس سوى القلّة في أيامنا هذه من الذين يدركون أن الزواج يتضمن بالحقيقة سرّا أسمى بكثير من مجرد الرباط بين زوج وزوجة، وذلك السر هو الوحدة الأبدية للسيد المسيح مع كنيسته المقدسة. ففي الزواج الحقيقي تكون الوحدة بين الزوج والزوجة انعكاسا لهذه الوحدة الأسمى (بين المسيح والكنيسة). فالوحدة هي ليست مجرد رباط بين رجل واحد وامرأة واحدة، لكونها مختومة برباط أعظم منها ألا وهو رباط الوحدة مع الله ومع شعبه. فينبغي علينا أن نضع هذا الرباط في الطليعة دائما. فهو الرباط الذي قطعنا عهدا على أنفسنا في المعمودية للالتزام به، والذي يجري التأكيد عليه في كل مرة نحتفل بالعشاء الرباني، وهو الذي يجب تذكير أنفسنا به في كل عرس يحصل. وبدون هذا الرباط لا يمكن حتى لأسعد زواج أن يحمل ثمارا دائمة.

ما أشد تفاهة رباط الزواج، لو لم يكن سوى وعد أو عقد بين اثنين من الناس! ويا للتحسُّن الذي يمكن له أن يطرأ على العائلات المعاصرة لو أن المسيحيين وفي كل مكان كانوا على استعداد لوضع الولاء للمسيح ولمجتمع كنيسته فوق زيجاتهم.

أما بالنسبة إلى المؤمنين، فالمسيح - ذاك الذي يوحِّد الناس بوحدة حقيقية غير زائفة - يكون دائما حاضرا بين المحب والمحبوب. لأن روحه القدوس هو الذي يهبهما انفتاحا كاملا ليتعرف أحدهما على الآخر. لذلك فإذا حدث أن تسللت الخطيئة الى علاقة زوجية معينة، ولوَّثَت المعنى الحقيقي للمحبة، فإن التلميذ الأمين سوف يتبع يسوع في الكنيسة، ولن يتبع شريكه أو شريكها المتمرد وغير الأمين.

وسوف يعترض على هذا الفكر الحب العاطفي، لأنه لديه نزعة للتغاضي عن الحقّ. بل إنه قد يحاول حتى إعاقة النور الصافي الذي يأتي من الله. فهو غير قادر وغير راغب في إنهاء علاقة ما حتى عندما تصبح

زائفة وغير صادقة. لكن لا يتبع الحب الحقيقي الشر أبدا: إنه يفرح بالحق،

المَحبَّةُ لا تَفرَحُ بِالظُّلمِ، بَلْ تَفرَحُ بالحَقِّ. (1 كورنثوس 13: 6).

فيتعين على كل من الشريكين أن يدركا أن وحدة الإيمان أكثر أهمية من الرباط العاطفي. ويجب علينا نحن المدعين أننا تلاميذ الرب يسوع أن نسأل أنفسنا هذا السؤال: "إن لم يكن ولائي الأول للمسيح وللكنيسة، فلمن يكون إذن؟" لنرى ماذا يقول يسوع المسيح في الإنجيل:

وبَينَما هُم سائِرونَ، قالَ لَه رَجُلٌ في الطَّرِيقِ: "يا سيِّدُ، أتبَعُكَ أينَما تَذهَبُ". فأجابَهُ يَسوعُ: "لِلثَّعالِبِ أوجِرَةٌ، ولِطُيورِ السَّماءِ أعشاشٌ، وأمَّا اَبنُ الإنسانِ فما لَهُ مَوضِعٌ يُسنِدُ إليهِ رأسَهُ". وقالَ يَسوعُ لِرَجُلٍ آخَرَ: "إتبَعْني!" فأجابَهُ الرَّجُلُ: "يا سيِّدُ دَعْني أذهَبُ أوَّلاً وأدفِنُ أبي". فقالَ لَه يَسوعُ: "أُترُكِ المَوتى يَدفُنونَ مَوتاهُم. وأمَّا أنتَ، فاَذهَبْ وبَشِّرْ بِمَلكوتِ اللهِ" (لوقا 9: 57-60).

عندما توضع الوحدة الزوجية الصغيرة لشريكين متزوجين تحت سلطان الوحدة الأعظم للكنيسة، فإن زواجهما يصبح راسخا وآمنا على مستوى جديد أكثر سموا لأنه سيكون موضوعا ضمن وحدة جميع المؤمنين. ومن المستغرب جدا أن هذه الفكرة ليست معروفة لدى معظم الناس، مع إنها تتضمن حقيقة شهدتها مرات عديدة في حياتي. ولنأخذ على سبيل المثال قصة هاري وبَتي Harry & Betty وهما زوجان تعرفت عليهما جيدا في سنواتهما الأخيرة معا. تكتب بَتي فتقول:

تزوجنا أنا وهاري في حزيران 1937م في إنكلترا. وعلى الرغم من أننا كنا نعتقد في البداية بأن زواجنا كان أساسه الإيمان بالله، لكن لم يمضِ وقت طويل حتى بدأت صراعاتنا. وصار زوجي هاري الذي كان يصارع طوال حياته ضد ميول الشذوذ الجنسي غير وفي لي وهجرني وهجر

مجتمع الكنيسة. ورغم أنه حاول عدة مرات أن يصحح مساره ويسير باستقامة، إلا أنه بدا دائما غير قادر على ترك الخطيئة التي كانت قد كبلته وقيدته. وفي سنوات انفصالنا الطوال، وقف الى جانب كل منا الكثير من الأصدقاء المقربين، وشكّل ذلك دعما كبيرا لنا.

وعندما كانت ترد لي رسائل مُكدِّرة من زوجي هاري كانت تخور عزيمتي، وأحيانا أكف عن الصلاة من أجله، لكني كنت دائما أعود إلى الصلاة لأنها كانت السبيل الوحيد لدي لأساعده. كنت أعلم بأن كل شيء مستطاع لدى الله، وإنه قد يعود يوما الى المسيح وإلى الكنيسة...

والآن ما زلت أتعجب للمعجزة التي حدثت بعودة زوجي هاري اليّ في عمره المتقدم. فلم نكن تحت سقف واحد لأكثر من 40 سنة. وفي السنوات الأخيرة تحدثنا كثيرا، وأحببت عِشرته، فقد كان مختلفا تماما. كان متواضعا وصريحا وله روح طفولية بريئة. فأخذ يحب كثيرا أصدقائي في الكنيسة وجيراني وأحبوه هم كذلك. وكنا، أنا وهاري، نقرأ الكتاب المقدس ونرنم ترانيمه المفضلة معا. وقد كان قريبا جدا من الرب يسوع في شهوره الأخيرة.

ولا يمر يوم دون أن أذكره، وسأثمن الوقت الذي كنا فيه معا طوال عمري. وأعتقد أنه كان قريبا من الملكوت أكثر مني. فأنا أفشل في أعمال المحبة والخدمة باستمرار وبطيئة القلب وتنقصني حرارة المحبة، وأرى بعد فوات الأوان أمورا قصَّرت فيها وكان يجب علي تأديتها. لكن الله أمين ويحفظ مواعيده. ففي هذا يطمئن إيماني، ومنه أحصل على السلام.

ونرى هنا تواضع الزوجة بتي واعترافها بضعفها. لكن بالحقيقة لولا صلاتها المستمرة وأمانتها ليسوع ما كان يمكن لزوجها هاري أن يجد طريق العودة الى الله والكنيسة، وإليها. إن السنتين الأخيرتين التي قضياها معا كانت شهادة عن الإيمان وعن القدرة الشافية للحب الخالي من المساومات. ولكن يا له من تناقض مع حضارة اليوم، حيث يظن الكثيرون أنه كلما أزداد بناء الزواج على الاستقلالية، كان أكثر ثباتا ومتانة. بل أن البعض يذهب

الى الاعتقاد بأنه كلما كان الشريكان متحررين من "قيود" الالتزام أحدهما نحو الآخر، أصبحا أكثر سعادة. لكنه افتراض زائف تماما. لأنه لا يدوم الزواج إلا إذا كان مؤسسا على الترتيب الإلهي، وعلى أساس محبته. فما لم يكن الزواج مبنيا على صخرة الإيمان فسوف يكون مبنيا على الرمل.

للرجل والمرأة مهام مختلفة
ويجب أن يكمل أحدهما الآخر

إن الإيمان بوجوب إعطاء الأولوية لمحبة المسيح ومحبة كنيسته وجعلهما فوق كل شيء آخر هو مهم أيضا في فهم أوجه الاختلاف بين المرأة والرجل. فمن الواضح أن الله قد وهب كل منهما طبيعة مختلفة ومهاما مختلفة، وعندما يجري العمل بهذه الأمور بطريقة سليمة في زواج داخل نطاق الكنيسة، فسيزهر الحب والانسجام. يكتب والدي ج. هاينريش آرنولد .J Heinrich Arnold (وكان من أحد خدام الكلمة في كنيستنا)، فيقول:

> غني عن البيان، هناك فروق في البنية البيولوجية الجسمية بين الذكر والأنثى. لكن لو كنا نظن أن الفرق بين الرجل والمرأة هو مجرد فرق بيولوجي لكان هذا التفكير مادي بحت. فالمرأة تشتاق لأن تمتلك محبوبها في داخل نفسها. وطبيعتها مصممة لتتلقى ولتصبر؛ ولتحبل وتلد، ولترضع، ولتحمي. أما الرجل فيرغب في الدخول الى محبوبته وفي أن يصبح واحدا معها؛ فهو مخلوق ليبادر ويتخلل بدلا من التلقي.[15]

لقد قيل أن الجسد يتشكل بواسطة النفس، وهذه فكر ة بليغة. فالنفس التي هي نفخة من الله، والجوهر الداخلي لكل كائن حيّ، تشكل جسدا مختلفا لكل من الرجل والمرأة. والمسألة هي ليست: من هو أسمى درجة من الآخر؟ لا، أبدا. إن كل من الرجل والمرأة مخلوق على صورة الله، فهل هناك أعظم من ذلك؟ لكن مع هذا هناك اختلاف: فالرسول بولس يشبّه الرجل بالسيد المسيح ويشبّه المرأة بالكنيسة المقدسة، كما يلي:

أَيَّتُها النِّساءُ، اخضَعنَ لأزواجِكُنَّ كما تَخضَعْنَ لِلرَّبِّ، لأنَّ الرَّجُلَ رأْسُ المرأةِ كما أنَّ المَسيحَ رأْسُ الكنيسَةِ، وهوَ مُخلِّصُ الكنيسَةِ وهِيَ جَسَدُهُ. وكما تَخضَعُ الكنيسَةُ لِلمَسيحِ، فلْتَخضَعِ النِّساءُ لأزواجِهِنَّ في كُلِّ شيءٍ (أفسس 5: 22-24).

يمثل الرجل- كرأس - الخدمة التي يقدمها المسيح. وتمثل المرأة – كجسد – التفاني الذي تقوم به الكنيسة. لذلك هناك اختلاف في الدعوة، لكن ليس هناك اختلاف في القيمة.

والسيدة مريم العذراء القديسة هي رمز للكنيسة. ويمكننا أن نتعلم منها الطبيعة الحقيقية للمرأة وللأمومة. فالمرأة هي مثل الكنيسة لأنها تتلقى وتحمل الكلمة الإلهية في داخلها،

فقالَت مَريَمُ: 'أنا خادِمَةُ الرَّبِّ: فَلْيكُنْ لي كَما تَقولُ'. ومَضى مِنْ عِندِها المَلاكُ. (لوقا 1: 38).

ثم إن المرأة تجلب أيضا حياة الى العالم تماشيا مع إرادة الله عندما تضع مولودا جديدا. وهذا أسمى ما قد قيل عن الإنسان.

وتختلف المحبة لدى المرأة عن المحبة لدى الرجل. فمحبتها أكثر استقرارا وتتماشى أكثر مع طبيعتها الوفية والمخلصة. وهي محبة متفانية لحماية وإرشاد جميع الذين في رعايتها. أما محبة الرجل فهي تسعى جاهدة إلى اكتشاف الآخرين ومعاتبتهم على تصرفاتهم وأيضا مناشدة ضمائرهم. إنها المحبة الرائدة للرسول، ممثل المسيح:

اَذهبوا وتَلْمِذوا جميعَ الأُمَمِ، وعَمِّدوهُم بِاَسمِ الآبِ والابنِ والرُّوحِ القُدُسِ، وعلِّموهُم أن يَعمَلوا بِكُلِّ ما أوصَيْتُكُم بِه، وها أنا مَعكُم طَوالَ الأيّامِ، إلى اَنقِضاءِ الدَّهرِ. (متى 28: 19-20).

لكن مهمة الرجل مثل مهمة المرأة، فهي مرتبطة دائما بمهمة الكنيسة.

يشير كل من الرسول بولس والرسول بطرس الى أن الرجل هو رأس المرأة، ليس بذاته بل بالمسيح:

لكِنِّي أُريدُ أنْ تَعرِفوا أنَّ المَسيحَ رأْسُ الرَّجُلِ، والرَّجُلَ رأْسُ المرأةِ، والله رأْسُ المَسيحِ. (1 كورنثوس 11: 3).

هذا لا يعني أن الرجل "أرقى درجة" من المرأة؛ فعلى ضوء حقيقة أن المرأة مأخوذة من الرجل، والرجل مولود من المرأة يتبين لنا أن كليهما معتمد على الآخر في كل جوانب الحياة:

ففي الرَّبِّ لا تكون المرأةُ مِنْ دونِ الرَّجُلِ، ولا الرَّجُلُ مِنْ دون المرأةِ. لأنَّهُ إذا كانَتِ المرأةُ مِنَ الرَّجُلِ، فالرَّجُلُ تَلِدُهُ المرأةُ، وكُلُّ شيءٍ مِنَ اللهِ. (1 كورنثوس 11: 11-12).

وهنا نؤكد أيضا مرة ثانية على أن مواهب ومسؤوليات كل طرف ليست أكثر قيمة مما لدى الطرف الآخر؛ فهما مجرد مختلفين لا غير. وفي الترتيب الصحيح للزواج، سيحصل كل من الزوج والزوجة على مكانهما الصحيحين، لكن لن يحكم أحدهما على الآخر. وإنما سوف تحكم المحبة والتواضع.

إنّ تنصُّل الرجال والنساء من المسؤوليات التي ألقاها الله على عاتقهم هو من سمات زماننا الشرير. فالنساء يتمردن على ازعاج الحمل وآلام الولادة، ويتمرد الرجال على عبء الالتزام بشؤون أولادهم وعبء الالتزام بالمرأة التي تلدهم. إن مثل هذا التمرد يعتبر لعنة على عصرنا الحاضر. وسوف يؤدي بالتأكيد الى انحراف أجيال المستقبل عن الطريق السوي. فقد خلق الله المرأة لتنجب الأطفال، ولهذا السبب فإن الرجل الحقيقي سيحترم زوجته وسيحبها أكثر من قبل. ويحذرنا الرسول بطرس قائلا:

وأنتُم، أيُّها الرِّجالُ، عيشوا معَ نِسائِكُم عارِفينَ أنَّ المَرأةَ مَخلوقٌ أضعَفُ مِنكُم، وأكرِموهُنَّ لأنَّهُنَّ شَريكاتٌ لكُم في ميراثِ نِعمَةِ الحَياةِ، فَلا يُعيقَ صَلَواتِكُم شيءٌ. (1 بطرس 3: 7).

ومن الأمور الواضحة أن الاختلاف بين الرجل والمرأة ليس اختلافا مطلقا. ففي المرأة الحقيقية توجد رجولة شجاعة، وفي الرجل الحقيقي يوجد خضوع وتواضع القديسة مريم العذراء. لكن مع ذلك، ولأن الزوج هو الرأس ورب الأسرة، فلذلك تكون له قيادة الأسرة في الزواج الحقيقي حتى لو كان ضعيف البنية. ويجب أن لا يؤخذ هذا كما لو أن الرجل هو السيد المتسلط والمرأة هي الخادمة. فلو لم يتولَّ الرجل زمام أمور الأسرة بمحبة وتواضع – ولو لم يتحلّى دوره بروحية يسوع - لأصبحت قيادته استبدادا. فالرأس له مكانه في الجسد، ولكنه لا يهيمن على الجسد.

في كافة الأعراس التي تقام في مجتمعات كنيستنا – مجتمعات برودرهوف المسيحية Bruderhof - نعتاد أن نسأل العريس: "هل تريد أن تكون مثالا صالحا لزوجتك في كل ما هو خيّر؟" وهذا يعني ببساطة: تقريبها الى يسوع المسيح لتتعمّق حياتها فيه وتسمو. وعلى المنوال نفسه نسأل العروس: "أترضين بإتباع زوجك في كل ما هو صالح؟". وعليه فالموضوع يدور بالأحرى حول المضيّ في طريق يسوع، معا.

القيادة الحقيقية لرب الأسرة تعني الخدمة بمحبة

يشير الرسول بولس في رسالته الى أهل أفسس الى المحبة الباذلة المضحية التي تنطوي عليها القيادة الحقيقية، فيقول:

أيُّها الرِّجالُ، أحِبُّوا نِساءَكُم مِثلَما أحَبَّ المَسيحُ الكنيسَةَ وضَحَّى بِنَفسِهِ مِنْ أجلِها. (أفسس 5: 25).

فهذه المهمة، أي بمعنى مهمة المحبة وبذل الذات، هي في الواقع مهمة كل رجل وكل امرأة سواء كانوا متزوجين أو عزابا.

عندما نفتح قلوبنا لكلام الرسول بولس المبين أعلاه، فسوف نرى توحيد روحي حقيقي في العلاقة التي تسيّرها المحبة – تلك الوحدة التي هي كلام القلب الروحي لله من الشريكين معا. ففي هذه الحالة فقط تحلّ بركة الله على علاقاتنا الزوجية. وسنسعى دائما إلى محبوبنا من جديد، وسنبحث باستمرار عن طرق لخدمة شريك حياتنا بكامل المحبة. والأحلى من كل هذا كله هو أننا سنحصل على بهجة دائمة. كما كتب ترتليان Tertullian (حوالي 160 إلى 220 م) وهو من أحد آباء الكنيسة الأولية:

من يمكنه أن يصف سعادة زواج عُقد في حضرة الكنيسة وخُتم ببركتها؟ فيا له من نِيرٍ هَيّن وجميل يوضع على عنق شخصين مؤمنين يربط بينهما برجاء واحد، وبأسلوب واحد للحياة، وبمعاهدة واحدة على الولاء، وبخدمة واحدة لله! فهما أخ وأخت في كنيسة المسيح، وكلاهما منهمكان بالخدمة نفسها، وبدون أي انفصال بين الروح والجسد، بل مثل كائنين في جسد واحد. وحيث يوجد جسد واحد فهناك روح واحدة. إنهما يُصلّيان معا، ويركعان معا: ويعلّم أحدهما الآخر، ويتحمل أحدهما الآخر. وقد اقترنا معا في كنيسة الله، ويشتركان في مائدة الرب، ويتقاسمان الصراعات الروحية والاضطهاد مثلما يتقاسمان الفرح بعد الشدائد. بالإضافة إلى أنهما يتنافسان في خدمة ربهما. ثم إن المسيح يرى ويسمع، ويسعده أن يهب سلامه إليهما، لأنه حيثما اجتمع اثنان باسمه فهناك يكون هو في وسطهما.[16]

الفصل العاشر

قدسية الجنس

لِيَكُنِ الزَّوَاجُ مُكَرَّمًا عِندَ جميعِ النّاسِ، ولِيَكُنْ فِراشُ الزَّوجِيَّةِ طاهِرًا، لأنَّ اللهَ سَيَدينُ الفاجِرينَ والزُّناةَ.

عبرانيين 13: 4

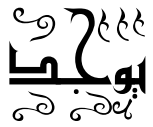

نوعان من الخطر في الجنس: الأول هو التّخوُّف من تسليم الذات للآخر أو التقرّب الشديد الذي تستلزمه العلاقة الجسدية، والتّخوُّف من أن الجنس أمر قذر ومُعيب؛ أما الخطر الثاني فيتمثل في اطلاق العنان للشهوة الجنسية بشكل جامح وأيضا في اقتراف الخطيئة. ومن الواضح أن المجال الجنسي قابل للفساد. ويمكن حتى في الزواج أن تتحول بركاته المأمولة الى أخطار إذا دخله الزوجان بمعزل عن الله الذي خلق الجنس. فتحلّ محل عواطف الحب شهوة مجردة، ومحل الرقة والحنان اعتداء بل حتى وحشية، ومحل بذل الذات المتبادل شهوة جامحة لا يمكن السيطرة عليها.

ومن الواجب على الكنيسة أن لا تسكت عن هذه الأمور، مثلما كانت الكنيسة الرسولية تفضح بجرأة الخطايا المختبئة (راجع 1 كورنثوس 5: 1 - 5). لأن روح الفحشاء وشياطينها واقفة لنا بالمرصاد طوال الوقت لإغوائنا، وسوف تدخل خِلسة الى مَقْدِس الزواج فور فتحنا الباب لها. وبمجرد دخول روح النجاسة لأية علاقة زوجية، تزداد تدريجيا صعوبة

التركيز على محبة الله، وتزداد تدريجيا سهولة تغافُل الشريكين أحدهما عن الآخر والاستسلام لتجارب إبليس الشريرة.

ويجب عدم الاستخفاف أبدا بقوة الأرواح النجسة التي تسوق الناس لفعل الشر، حتى في الزواج. وبمجرد أن يصير الناس تحت سيطرتهم، يفقد الجنس سماته النبيلة ويتدهور ويتحول الى سلعة رخيصة ومبتذلة. وتصبح النعمة الرائعة التي خلقها الله تجربة شريرة غادرة ومدمرة للحياة. غير أن التوبة وحدها كفيلة بالشفاء وقادرة على استعادة كرامة الجنس وشرفه.

يحصل في الزواج اتحاد فريد لا نظير له

سيتسنى لنا استيعاب الطبيعة الحقيقية للجنس بأقصى وضوحها حينما نرى قدسية الجنس كإتمام للحب العذري المكلل بالزواج والمقدس من قبل الله سبحانه تعالى. وينطبق موضوع التقديس أيضا على ممارسة الجماع الجنسي نفسه، في اللحظة التي يصل فيها الحب الزوجي الى أكمل تعبير جسدي له. ولما كان الجماع الجنسي تجربة قوية ومذهلة، فمن الضروري جدا ترسيخه في الله. فلو لم ينظر الى الجنس كنعمة إلهية ولو لم يتم إخضاعه لله، لصار هو إلها بحد ذاته. أما دخوله بوقار فسوف "يوقظ في داخل قلب الإنسان أعز وأقدس شيء وكذلك أكثر المواضيع الحسّاسة القابلة للتأثُّر والتجريح".[17]

إن ما يُسيّر الجنس في الزواج الحقيقي هو أكثر من مسألة الشهوة الجنسية لدى كل من الزوجين: إنه يُسيّر بواسطة الحب الذي يربطهما معا. فعندما يسلم كل شريك نفسه كليا للآخر، فسيحصل بينهما اتحاد لا نظير لعمقه. ولن يكون الأمر مجرد "حب جسدي" بل يكون تعبيرا وإتماما للحب الكامل، الذي هو عمل من العطاء غير المشروط والفرح الوجداني.

يُعتبر تقديم الإنسان جسده إلى شخص آخر تجربة مدهشة ورائعة. وإن هزة الجماع التي هي ذروة الاتحاد الجسدي هي تجربة قوية وتهز الكيان، ولها تأثير قوي على الروح. فنرى هنا أن اختبار الجسد قوي

لدرجة أنه يصعب تمييزه عن اختبار الروح. وفي وئام متناغم للقلب والجسد، يصل الشخصان الى ذروة بهجة الحب. وفي غمرة اتحادهما الكامل، يجري رفعهما من شخصيتهما وضمهما معا في أقرب وأعز علاقة وُجدت. وفي لحظة رعشة الجماع يُكتَسح الشخص من فرط النشوة، وينغمر كليا، بحيث ان الإحساس بأنه شخص مستقل يختفي للحظة.

يجب على الوحدة الجسدية أن تعبر دائما عن وحدة القلب والنفس

مهما حاولنا إكرام وتوقير الحياة الزوجية فلا نوفي حقها. فحتى إذا رفضنا ظاهرة التكلُّف في الحشمة فسوف يعمل شعور من التحفظ في داخلنا على جعلنا حذرين من التحدث عن الحقائق الزوجية مع الآخرين. أما الرجل والمرأة اللذين ضمهما الزواج فلابد أن يكونا طبعا قادرين على التحدث بصراحة فيما بينهما حتى عن أكثر الأمور حرمة في الزواج. غير إنهما لن يفعلا ذلك بدون الوقار النابع من حب أحدهما للآخر.

وهناك نقطة في غاية الأهمية وهي أن الزوجين يجب عليهما أن لا يناما في كل ليلة قبل أن يتوجها الى الرب يسوع بالصلاة. وليس من الضروري استخدام الكثير من العبارات؛ لأن يسوع يعرف دائما ماذا نعني وما نحتاج إليه. ويجب أن لا نشكره فحسب بل نسأل عن إرشاده أيضا - فإذا لم نقرع بابه فلا يمكنه إرشادنا. ويصح هذا الأمر، طبعا، حتى في استفتاح كل يوم.

لو كان الزواج مؤسسا على الرب يسوع وعلى محبته وعفته، لحصل الزوجان على العلاقة الصحيحة التي فيما بينهما وفي جميع المجالات. هنا علينا أن ننتبه لتحذير الرسول بولس:

> وإذا غَضِبتُم لا تُخطِئوا ولا تَغرِبِ الشَّمسُ على غَضَبِكُم. لا تُعطوا إبليسَ مكانًا. (أفسس 4: 26-27).

أن الصلاة أمر حاسم في تسوية الخلافات التي تنشأ في العلاقة الزوجية. أما اتحاد شخصين جسديا عندما لا يكون بينهما وحدة في الروح فيعتبر رياء. إنه انتهاك لرباط الحب.

يجب أن تعبر الوحدة الجسدية دائما عن الوحدة الكاملة للروح والنفس بين الزوجين؛ فلا يجوز أبدا أن تكون وسيلة لإشباع الجسد وحده. وإن كل ممارسة جسدية للحب – في إطار الزواج وتحت لواء السيد المسيح - هو بذل متبادل للذات، وعلامة على صدق تصميم الفرد للعيش من أجل الآخر. والوحدة الجسدية لا شأن لها بالتسلط وإبراز العضلات أو بالفكرة القائلة أن الجنس هو مثل عملية إخضاع الطرف الآخر أو قهره.

أن كل من يستعمل شريكه لمجرد إشباع نفسه يهين كرامته وكرامة شريكه. فتراه يستغل الجنس لأغراض أنانية. ولهذا السبب يدين الكتاب المقدس انسحاب الرجل عن زوجته قبل أن يبلغ الذروة الجنسية ويسمح للمني أن يسقط على الأرض ويعتبرها خطيئة، (راجع سفر التكوين 38: 9-10). طبعا، إذا حدث هذا على غير إرادته قبل الأوان أو في حلم لا يحتسب خطيئة. ولكن وللسبب نفسه، يعتبر أي اتصال للفم مع العضو التناسلي أمرا أثيما أيضا. لأن الشهوة الأنانية للإثارة الجنسية هي وحدها التي تدفعهم لمثل هذا العمل، فهذه الأشكال من الممارسات الجنسية هي بالحقيقة نوع من أنواع العادة السرية المتبادلة.

يكمن الإشباع الجنسي الحقيقي في الخضوع المتبادل

قد تكون الرغبة الجنسية عند زوجين حديثي الزواج ساكنة، لاسيما عندما يكونان قد حافظا على نفسيهما من التورط في علاقات جنسية قبل الزواج، أو الادمان على العادة السرية. وفي الواقع، فربما يلزم على العريس أن يوقِظ حتى الحافز للجماع الجنسي لدى عروسه. ولما كانت هذه العملية تحتاج أحيانا إلى وقت، فعليه أن يكون صبورا جدا ولا يبدأ بالاتحاد الجنسي إلا عندما تكون زوجته مستعدة لذلك. وقد يكون

الاتصال الأول مؤلما للعروس العذراء، وربما يسبب نزيفا بسيطا. وهذا أمر لا يدعو إلى القلق، لكن يجب على الزوج أن يكون على وعي بشعور عروسه بشيء من عدم الراحة والتضايق.

ومن الواجب على الزوج الحقيقي أن يحب زوجته إلى درجة بحيث يأخذ بنظر الاعتبار حالة الاستعداد لديها ولا يستعجل بالاتصال بسبب نفاد صبره. ولكونه ليس مهتما بإشباع نفسه فقط، فسيراعي أن المرأة تحتاج في معظم الأحيان الى وقت أطول مما يحتاجه الرجل للوصول الى الذروة، وكذلك، ومن بعد المعاشرة وعندما يكون الزوج قد وصل الذروة وانتهى في حين زوجته لم تصل بعد، فلا يحق للزوج أن ينام فرحا بينما ترقد زوجته مستيقظة بمشاعر كبيرة من الإحباط وخيبة الأمل.

تتوقف غالبا السعادة الجنسية لدى المرأة على الظروف المصاحبة للاتحاد الجنسي وبصورة أكثر حساسية من الرجل؛ فهي تتوقف على إحساسها بالوحدة التي بينها وبين زوجها، وعلى بعض اللمسات اللطيفة والكلمات الرقيقة. فالأمر عندها لا ينحصر فقط في الوصول إلى الذروة. فبمجرد أن تكون مع حبيبها فقد تحصل على أعمق إحساس بالسعادة.

يجب أن لا يخشى الزوجان من إعداد أحدهما للآخر للاتحاد الجنسي. فإن الإثارة المليئة محبة هي تأكيد قوي على الوحدة المتبادلة، بالإضافة الى أن هذا يزيد التهيئة والاستعداد، ويعزز الثقة بين الزوجين ويحيطهما بإحساس من الأمان والاطمئنان. وينبغي للزوجين أن يتعلما ما يعجب الشريك الآخر وما يثيره. وقد كتب الطبيب النفساني الألماني الكاثوليكي فون جاجرن von Gagern عما يثير المرأة فقال:

> توجد مناطق من الجسد سريعة الاستجابة بصفة خاصة للمداعبة - الفم والصدر وما تحت الذراعين وسلسلة الظهر - لكن الحب الفريد المتميز بين الزوجين سوف يرشدهما باستمرار الى ما هو جديد.[18]

من أمور ضبط النفس الامتناع عن المعاشرة، الذي يمكنه أن يعمّق حب الزوجين

إن الجماع الجنسي بحد ذاته ممكن أداءه في أي وقت، لكن يجب على الزوج أن يكون على استعداد للإمساك عنه لأجل صحة زوجته، لاسيما قبل الولادة وبعدها. وباعتباري قسيسا يقدم المشورة للمتزوجين، فأوصي دائما بالامتناع عن المعاشرة أثناء مدة الطمث، وأيضا لمدة ستة أسابيع قبل الولادة في الأقل. كما أوصي الزوجين بأن يمتنعا لأطول فترة ممكنة بعد الولادة لتتعافى الأم جسديا ونفسيا. ولما كان كل زوجين يختلفان عن غيرهما، فمن الصعب اقتراح إطار زمني محدد، فما يهم هو المراعاة. فلو كان الزوج حقا مراعيا لظروف زوجته، فسيرغب في ضبط نفسه بالامتناع لأطول فترة ممكنة،

> وهل مشيئةُ اللهِ إلاَّ أنْ تكونوا قِدِّيسينَ، فتَمتنِعوا عَنِ الزِّنى، ويعرِفَ كُلُّ واحدٍ مِنكُم كيفَ يصونُ جسدَهُ في القَداسَةِ والكرامَةِ، فلا تستولي علَيهِ الشَّهوةُ كالوثنيِّينَ الّذينَ لا يعرِفونَ اللهَ (1 تسالونيكي 4: 3-5).

وفي أوقات الامتناع هذه يجب على المرأة وانطلاقا من محبتها لزوجها، أن تحرص على أن لا تثيره جنسيا.

بطبيعة الحال، إن الامتناع بالنسبة للزوجين اللذين يحب أحدهما الآخر واللذين يعيشان معا وينامان معا وينتمي أحدهما للآخر أصعب بكثير من امتناع شخص عازب. فلذلك عليهما أن ينتبها لئلا يقترب أحدهما من الآخر بأسلوب جنسي، وبهذا يجتنبان الجماع.

هناك فكرة سائدة لكن مغلوطة وليس لها أي أساس من الصحة مفادها أن الامتناع عن المضاجعة في الزواج ينطوي على نظرة سلبية ويسبب أيضا الامتعاض والاستياء. لكن لو كان هذا الامتناع مولودا من المحبة لأمكنه بالحقيقة أن يخلق علاقة أسمى ويعمل على إثراء العلاقة الزوجية، بل أمكنه حتى أن يكون له تأثيرا شافيا. ويخبرنا جون كبلي John Kippley مدير الاستشارة القومية للمتزوجين في الولايات المتحدة الأمريكية

عن امرأة قد أُسيء معاملتها من قبل والدها عندما كانت صغيرة، لكنها شفيت بفضل مراعاة زوجها لظروفها وآلامها النفسية. وقد عبرت عن ذلك بقولها:

بفضل تحفظ زوجي وضبطه لنفسه، أصبحت قادرة على أن أكتشف لأول مرة أنني أكثر من مجرد جسد. ويمكن أن أُحبّ دون أية عروض جنسية. وأن لي قيمة حقيقية كإنسانة، وليس مجرد مادة للإشباع.

أما المرأة التي تقترب من خريف عمرها، فإن مسألة تضاؤل سرورها واهتمامها بالمضاجعة الجنسية هي مسألة طبيعية ومألوفة، وإن كان هذا يصعب على الرجل تحمله، لكن ومع ذلك فمن الواجب عليه أن لا تقلّ محبته لزوجته. والزوجات، من جانبهن، عليهن أن يسلمن أنفسهن لأزواجهن بقدر استطاعتهن، حتى لو كان سرورهن في فعل هذا ليس ذات السرور الذي كان لهن في السنوات السابقة، كما يوصي الإنجيل:

وعلى الزَّوجِ أنْ يوفيَ امرأتَهُ حَقَّها، كما على المرأةِ أنْ توفيَ زَوجَها حَقَّهُ. لا سُلطَةَ لِلمرأةِ على جَسِدَها، فهوَ لِزَوجِها. وكذلِكَ الزَّوجُ لا سُلطَةَ لَه على جَسَدِهِ، فهوَ لامرأتِهِ (1 كورنثوس 7: 3- 4).

وإلا فقد يُجرب الزوج بالبحث عن منافذ أخرى لدوافعه الجنسية. على أن الأمر الجوهري هو ضرورة وجود الوحدة والوئام بين روحي الزوجين ونفسيهما قبل الاتحاد الجسدي، ومن المهم أيضا عندما يكون الإمساك عن المضاجعة الجنسية أمرا ضروريا أن لا يصير فرصة لبرود الحب. يكتب الرسول بولس:

لا يَمتَنِعْ أحدُكُما عَنِ الآخَرِ إلاَّ على اتِّفاقٍ بَينَكمُا وإلى حينٍ، حتّى تتَفَرَّغا لِلصَّلاةِ. ثُمَّ عودا إلى الحياةِ الزَّوجِيَّةِ العادِيَّةِ لِئَلاَّ يُعوزَكُم ضَبطُ النَّفسِ، فتَقَعوا في تَجرِبَةِ إبليسَ. (1 كورنثوس 7: 5).

لذلك يجب أن نعيش في وقت الامتناع بالصوم والصلاة، كضبط للنفس. فلو تقبّل الزوجان هذا الموضوع برحابة صدر، لأمكنه تعميق الوحدة بين الزوجين أكثر من ذي قبل.

خلاصة القول، أن كل شيء في الزواج يتوقف على التزام كل من الزوجين بالرب يسوع، وعلى رضاهما بإتباع إرشاده وتوجيهه. ويجب أن لا ينسى الزوجان أن الله هو الذي جمعهما، وإنه وحده القادر على أن يحفظهما معا ولاسيما في الأوقات الصعبة. يقول الرب يسوع:

مَنْ أرادَ أنْ يُخَلِّصَ حَياتَهُ يَخسَرُها، ومَنْ خَسِرَ حياتَهُ في سَبيلي يُخَلِّصُها. (لوقا 9: 24).

وينطبق الأمر نفسه على الزواج المسيحي: فبقدر ما يكون الشريكان راغبين في تسليم وإخضاع نفسيهما دائما أحدهما للآخر وللسيد المسيح فسوف يحصلان على الإتمام الحقيقي للوحدة والحرية.

الفصل الحادي عشر

التربية ونعمة الأولاد

أَيُّها الأَوْلاَدُ، أَطيعوا والديكُم في الرَّبِّ، فهذا عَينُ الصَّوابِ. "أكرِمْ أباكَ وأُمَّكَ"، تِلكَ أَوَّلُ وَصيَّةٍ يَرتَبِطُ بِها وَعدٌ وهوَ: "لِتنالَ خَيرًا وتَطولَ أَيَّامُكَ في الأرضِ". وأنتُم أيُّها الآباءُ، لا تُثيروا غضَبَ أَوْلاَدِكُمْ، بَلْ رَبُّوهُم حسَبَ وصايا الرَّبِّ وتأديبِهِ.

أفسس 6: 1 - 4

نعيش في عالم حيث تمر بنية الحياة الأسرية بتغيرات جسيمة، في البلدان الغنية والفقيرة على حد سواء. فإن مفهوم الأسرة كوحدة ثابتة متماسكة ينحدر الآن بسرعة ليصبح مفهوما عتيقا عفا عليه الزمن. بل إننا نخشى حتى من أن نعرّف الأسرة، لأننا لا نريد أن نجرح أحدا.

لقد حذر علماء النفس على مدى سنوات طويلة من تأثير الأسر المفككة وحالات الحمل لدى المراهقات، والعنف في البيوت، وغيرها من الأمراض الاجتماعية، ولكن تحذيراتهم قد ذهبت أدراج الرياح. والآن نحن نجني حصادا مرّا. وكل هذه الأمور تجعل الأمر ملحا بشكل غير مسبوق لإعادة اكتشاف القصد الأصلي لله في خلقه للرجل والمرأة، وفي مباركتهم بعطية الأولاد.[19]

يحتاج إنجاب الأطفال اليوم الى شجاعة

أن المجتمع المعاصر يحتقر الأسرة. لقد أصبح من الصعب على أسرة مكونة من عدة أولاد أن تجد منزلا تسكن فيه، وفي أماكن كثيرة يستحيل استئجار شقة حتى لو لم يكن لدى الأسرة سوى طفل واحد. فيمكن القول ببساطة أن الأطفال أصبحوا غير مرغوبين. ويرى كثير من الناس أنه من دواعي الأسف أن يتركوا وظائفهم أو أشغالهم من أجل إنجاب الأولاد، وكثيرا ما ينظرون بازدراء الى النساء اللاتي يخترن أن يمكثن بالبيت لتربية الأطفال، بدلا من السعي وراء مهنة "مقبولة اجتماعيا".

إن إنجاب الأطفال في هذه الأوقات يتطلب بالتأكيد شجاعة عظيمة، ولكن أليس هذا ما يعنيه الإيمان؟ ألا يعني أنه بالرغم من عدم معرفة ما يخبئه المستقبل، يظل الاتكال على الله مستمر؟ والثقة بأن كل شيء في الوجود موضوع بين يديه؟ وستكون له الكلمة الأخيرة؟ فالآباء يحتاجون الآن إلى التوكل على الله أكثر من أي وقت مضى. فصحة المجتمع (وصحة أية كنيسة أو أية حركة اجتماعية) تتوقف على مدى متانة العلاقات الزوجية فيه. فحيثما يكون هناك توقير لله سنجد عائلات ذات علاقات متينة ومستقرة، ولكن حالما يضيع هذا التوقير فسرعان ما يحلّ التفكك والتدهور.

إن الذين يعرفون معنى رؤية طفل يبتسم للمرة الأولى، ومعنى إبداء الحب له، ومن ثم لمس حبه كصدى لمحبتهم، فهم يعرفون شيئا عن عظمة الله ومدى اقتراب السماء لنا وقداستها في كل طفل. إنهم يعرفون أن طفلهم لا يشبه أي طفل آخر، وانه ليس هناك في الوجود طفل يمكن أن يحل محله في قلوبهم. وسوف يدركون أيضا أن انجاب طفل الى العالم إنما هو مسؤولية كبيرة يلفها العجب والدهشة - وهي مسؤولية تنمو بنمو الطفل – كما سيحسون بمدى حقيقة ضعفهم وبطبيعتهم الخاطئة وبأنهم غير مؤهلين لتربية حتى ولو طفل واحد بقواهم البشرية وحدها.

لكن يجب أن لا يأخذنا وعينا بعدم الكفاءة إلى اليأس، بل يجب أن يجعلنا ندرك مدى اعتمادنا على النعمة الإلهية. فلا يصلح لتربية الأطفال سوى البالغين الذين يقفون كالأطفال أمام نعمة الله.

على أي أساس يجب أن تُبنى الأسرة؟

عندما نفكر في تأسيس أسرة، فإن سؤالنا الأول يجب أن يكون: على أي أساس سنبنيها؟ أن التكريس الكامل للسيد المسيح ولكنيسته هو الأساس الوحيد الذي يمكن الاعتماد عليه. فعلى الرب وحده يمكننا بناء حياة أسرية ناجحة وغنية روحيا بحيث يمكنها الصمود أمام القوى التي تهاجمها من الخارج.

ويقع على عاتق كل من الزوجين مسؤولية تنشئة أولادهما نيابة عن الله، لتمثيل الخالق. فالأب والأم في نظر الطفل الصغير يمثلان الله. ولهذا السبب تعتبر وصية إكرام الوالدين مهمة جدا لتربية الطفل منذ نعومة أظفاره. وبدونها لا يكون للوصية المختصة بإكرام الله أي معنى حقيقي. ويوجد في الحقيقة في داخل كل طفل اشتياق فطري إلى أمان وطمأنينة الأب والأم والله. ويا لفظاعة الأمر حين لا يحقق الوالدين هذا الاشتياق، عندما ينظرون إلى التربية على أنها مجرد دور يلعبونه في حين أنهما ليسا أب وأم حقيقيين. وسوف يحس الأطفال بهذا الرياء متى ما حدث، وبعدها سوف يمتلكهم الاستياء والامتعاض والتمرد وهم يكبرون.

وتحدث المشكلة نفسها إذا كان في حياة الزوجين خلافات - وكمثال على ذلك، حين لا تدعم المرأة زوجها كربّ للأسرة بل تعارض كلامه وإرشاداته أمام الأولاد، أو حين لا يحب الرجل زوجته ويكرمها ويحترمها أمام الأسرة. فعندما لا يرى الأولاد صورة الله في والديهما، فسوف يصعب عليهم الحصول على أساس مطمئن وسليم لحياتهم المستقبلية. لا بل إنهم حتى قد يمرّون بأزمات نفسية.

قمت مؤخرا بإسداء المشورة الى أسرة كنت أعرفها منذ كان أطفالها الأربعة صغارا جدا. لقد كان للأبوين كل النوايا السليمة، ومع ذلك كانا

منقسمين حول أيهما يكون له دور القيادة في الأسرة. وفي حين كانت الأسرة تعطي للزوار والغرباء انطباعا مليئا بالوئام والسلام عنها، إلا أن التوترات والتنافسات كانت تستفحل في داخلها. وعندما كان أولادهما يكبرون، كان الوالدان منقسمين جدا في توجيه أولادهما توجيها صحيحا، وهذا بدوره أعطى الأولاد مثالا سيئا ليقتدوا به.

والآن صار أولادهما بالغين. وجميعهم محبوبون وأذكياء وموهوبون، إلا أنهم متخبطون نفسيا. ولأن الأبوين لم يتعاملا قط مع عناصر عدم الثقة بينهما والخلافات في حياتهما الزوجية، فأخذ يستصعب هؤلاء الأولاد الشباب أن يثقوا بأحد الآن. وكذلك يصعب عليهم – مثل والديهم - أن يكونوا صادقين وصريحين مع أنفسهم، وتراهم قلقين ويريدون دائما معرفة ماذا يحدث من حواليهم. وللأسف فإنهم لا يعلمون أن ذلك يعزلهم عن الآخرين ويجعلهم وحيدين وخائبي الأمل. والأسوأ من كل ذلك هو انهم أصبحوا غير واقعيين في توقعاتهم في الحياة، ويبدو وكأنهم يظنون أن العالم مدين لهم بالنجاح.

من الضروري جدا أن يُحاط الطفل منذ اليوم الأول في حياته بالمحبة وبأجواء مليئة بتوقير الله. فبقدر ما يرى الأولاد الحب بين والديهما، سيحصلون بالدرجة نفسها على الاطمئنان الروحي الذي يحتاجونه من أجل نمو شخصياتهم وتطورها.

وفي ما يخصّ مسائل تأديب الأولاد، فمن الأفضل أن يكون الزوج والزوجة على اتفاق تام في تحديد نوع السلوك الذي يتوقعانه من قبل أولادهما ولا يناقض أحدهما الآخر. فيجب أن لا نعطي فرصة للأولاد ليقرروا أي من الوالدين على صواب. فموقف الأولاد يجب أن يكون موقف الثقة بالوالدين وليس موقف الادانة. فأرواحهم تتطلع بالحقيقة الى حدود ثابتة للسلوك يرسمها لهم والديهم كما تتطلع أيضا إلى الاطمئنان الذي يأتي بفضل الوحدة والوئام والمحبة والاحترام المتبادل بين الوالدين. فهذه الأمور هي أساس المحبة الصحيحة التي تقدمها إلى الأولاد من أجل تربيتهم.

يحتاج الأطفال الى أمثلة حيّة

لا الى كلمات دينية

إن السنوات الخمس الأولى من حياة الطفل لها دور كبير في تكوينه، لذلك فهي أفضل وقت للوالدين لكي يقدما يسوع والإنجيل تقديما حيّا الى أطفالهما. وهذا يمكن تأديته ببساطة بأخبارهم عن ميلاد يسوع وموته وقيامته. فكل هذه الأمور تؤثر في قلوب الأطفال وهم بعمر صغير لا يصدق، وتوقظ فيهم حبا لله وليسوع.

غير اننا لا يمكننا تقديم يسوع لأطفالنا إذا كان هو مجرد كصورة في كتبنا المقدسة. والأطفال يريدون دائما أن يجيئوا الى يسوع، لكنهم يتمردون فطريا ضد التقوى الزائفة والتديّن الزائف في البيئة المحيطة بهم. كما قال مرة القسيس الألماني بلومهارت Blumhardt:

> لو حاولنا جرّ أبنائنا الى الملكوت بواسطة أساليبنا الدينية الزائفة، فسوف يفرون من بيوتنا المرائية بأسرع وقت ممكن.[20]

لذلك يجب أن نحرص على أن لا نضع أطفالنا تحت أي ضغط ديني، أو نزعجهم بالحديث عن الخطايا التي لا يمكنهم فهمها أو ارتكابها. وما نريده هو أن يكون لديهم موقف طفولي بريء نحو الله ونحو يسوع ونحو الكتاب المقدس. فلا فائدة من تعليمهم حتى ولو أصغر آيات الأسفار، على سبيل المثال، إذا كان الله لا يتكلم مباشرة الى قلوبهم الصغيرة. وبدلا من محاولة الوالدين في "تلقين" أولادهما الإيمان فمن الأفضل لهما كثيرا أن يكونا مثالا صالحا ويعيشان إيمانهما بطريقة عفوية وصادقة. فعندما يرانا أولادنا بأننا، نحن الآباء، نتكل على الله في كل شيء، وعندما يروننا نشكره ونتبع وصاياه، فسوف يشعرون بإلحاح داخلي للصلاة ولإتّباع الرب في حياتهم طواعية ودون إكراه.

واجبنا هو توجيه أولادنا وليس السيطرة عليهم

تحتاج التربية الى تأديب يومي، لكن يجب علينا أن لا ننسى أن رعايتنا لهم بالنيابة عن الله تعني توجيههم وليس السيطرة عليهم. ويجب علينا تشجيعهم على التغلب على شر نفسهم بنفسهم، وأن يحوّلوا نظرهم إلى خارج نطاق عالمهم الصغير منذ صباهم وأن لا يتقوقعوا، ويجب أن يتعلموا أيضا أن يحبوا ويحترموا الآخرين. فلا يجوز أن يترك الأطفال يتأرجحون في مزاج نفسي متقلب، ويتبعون كل نزوة أنانية بدون ضابط. فالتوجيهات الواضحة والحدود الثابتة للسلوك ضرورية دائما. والحق أن التأديب هو أعظم محبة يمكن تقديمها لهم، كما يبين لنا الإنجيل:

هُم كانوا يُؤَدِّبونَنا لِوَقتٍ قَصيرٍ وكما يَستَحسِنونَ، وأمَّا اللهُ فيُؤَدِّبُنا لِخَيرِنا فنُشارِكُهُ في قَداسَتِه. ولكِنْ كُلُّ تَأْديبٍ يَبدو في ساعَتِهِ باعِثًا على الحُزنِ، لا على الفَرَحِ. إلاَّ أنَّهُ يَعودُ فيما بَعدُ على الّذينَ عانوهُ بِثَمَرِ البِرِّ والسَّلامِ. (عبرانيين 12: 10-11).

أما قسرهم أو سحقهم بفظاظة فهما ليسا محبة أبدا.

يجب علينا أن نتذكر أن كل طفل هو عبارة عن فكرة لدى لله، كما يقول لنا الكتاب المقدس:

أنتَ مَلكْتَ قلبي، وأدخلْتَني بَطْنَ أُمّي. أحمَدُكَ لأنَّكَ رَهيبٌ وعجيبٌ. عجيبةٌ هي أعمالُكَ، وأنا أعرِفُ هذا كُلَ المَعرِفةِ. ما خفِيَت عِظامي علَيكَ، فأنتَ صَنَعْتَني في الرَّحِمِ، وأبدَعْتَني هُناكَ في الخفاءِ. رأتْني عيناكَ وأنا جنينٌ، وفي سِفْرِكَ كُتِبَت أيّامي كُلُّها وصُوِّرَت قَبلَ أنْ يكونَ مِنها شيءٌ. ما أكرَمَ أفكارَكَ عِندي يا اللهُ. ما أكثَرَ عديدَها. (مزمور 139: 13-17).

ولنحاول فهم لماذا قيل في الكتاب المقدس، "...وَصَبِيٌّ صَغِيرٌ يَسُوقُهَا..." (إشعيا 11: 6). نحن الآباء لا يمكننا ولا يحقّ لنا أثناء تربيتنا لأولادنا أن

نحاول صياغتهم بحسب مبتغانا أو خططنا البشرية. فلا ينبغي لنا فرض عليهم أي شيء لم يلِد من داخلهم أو لم يستيقظ فيهم أو لم يوهب من قبل الله. فلدى الله قصد محدد لكل طفل، ولديه خطة لكل واحد منهم، وسيلتزم بها. لذلك، فإن مهمتنا التربوية هي مساعدة الطفل على اكتشاف قصد الله له ومن ثم الوفاء به.

ويتطلب القيام بهذه المهمة التربوية التدريب المستمر على نكران الذات والتخلي عن جهودنا البشرية في توجيه الطفل. وقد يعني هذا أحيانا الكف عن تشتيت أفكار الأطفال. وقد كتب القسيس الألماني بلومهارت Blumhardt عن الأذية التي ستحلّ على علاقتنا مع الأولاد عندما نقطع عليهم حبل أفكارهم ونعكر مزاجهم الجميل بمحاولتنا في التأثير عليهم بأفكارنا أو نصائحنا، ويقول:

> عندما نترك الأطفال بلا مقاطعة، فإنهم سوف يتعلمون أجمل طاعة وأجمل احترام.[21]

من الطبيعي أننا يجب أن نكون متيقظين ضد التسيّب. إلا أن رخاوة الطبع والميوعة لدى الأطفال غالبا ما يكون ثمرة مشاعر واهية غير سليمة من قبل أحد الوالدين تجاه الطفل. لأن مشاعر كهذه تحجب عن الأطفال روح البراءة والطفولة، لأنها تُخضِع الطفل إلى رخاوة ذاك البالغ الذي فقدَ وضوح طريق السيد المسيح وفقد الملوحة التي أكد عليها السيد المسيح لنتحلى بها (الملوحة تشير إلى الجدية في الحياة واتباع الوصايا). فعلينا أن نحرص دائما على أن يكون أطفالنا متحررين من مثل هذه الأواصر الزائفة.

السلطة الوالدية الحقيقية تقوّي وتحفز الطفل

يجب أن لا يشعر الأطفال أبدا أن معاملتهم قد أسيء إليها في حال نبَّهم شخص ما على أخطائهم أو وبَّخهم توبيخا لاذعا. فعليهم أن يتداركوا أنفسهم ويتواجهوا مع نتائج ما حدث عندما نريهم أخطائهم. ويجب أن لا

يقدموا أنصاف إجابات تحتمل أكثر من معنى. وبالرغم من أن شيئا من الحزم مع الأطفال أمر مفيد، لكن نفاد الصبر ليس مفيدا، لاسيما عندما يؤدي إلى عقاب بدني. لأن هذا يُعد "إشهار إفلاس" كما يصفه العلامة اللاهوتي ايبرهارد آرنولد Eberhard Arnold (مؤسس حركة برودرهوف للحياة المسيحية المشتركة Bruderhof).

نحن نرفض كلا من قسوة العقوبة البدنية وقوة السيطرة والأوامر والإكراه على حد سواء: فكلاهما من أساليب الغاشية (التسلط) اللتان تفشلان في أخذ تربية الطفل مأخذ الجدية باعتباره حاملا لصورة الله. فالأول يفشل في الرحمة، والثاني في الصراحة. وكلاهما يفشلان في المحبة. فالسلطة التربوية الحقيقية تحفز وتعزز كل ما هو صالح في كل طفل بتوجيهه الى صنع قراراته بنفسه ليختار من بين الصحّ والغلط. ولن يحس الأولاد بالرغبة للصراع ضد الشر الذي يريد العمل بداخلهم - مثلما بداخل كل منا - إلا عندما نربيهم عن طريق منحهم الثقة والحب.

أشكر الله على والدي الذي كان حازما جدا معنا نحن الأولاد، كلما استدعت الضرورة. وأنا مثل بقية الأولاد كنت أتمرد في بعض الأحيان ضد حزمه، لكني كنت أحس بضميري إنها كانت علامة من علامات حبه لي. لقد غرس والدينا فينا نحن الأولاد، ومنذ صغرنا، أهمية الوصية الخامسة من وصايا الله العشر بشأن إكرام الأب والأم. وكنا نعلم بأنه لو لم نحبهما ونكرمهما لكنا في الواقع كمن يهين الله ولا يكرمه.

وكذلك بالنسبة لأمي، فكان يصر والدي على أننا الأولاد يجب علينا أن نحترمها. فلم يتسامح في عدم طاعتنا لها. ولم أفهم حكمته إلا في السنوات الأخيرة. لأنه من واجب الأب أن يعزز الاحترام تجاه الأم لأنها تتحمل العبء الأكبر في تربية الأولاد، لاسيما عندما يكونون صغارا ومرضى.

وبالرغم من أن والدي كان يبدو صارما أحيانا، إلا إنني لم أحس ولو مرة بأي خوف منه على الأطلاق. لماذا؟ لأنه عندما كان يؤنبني على ما ارتكبته من أخطاء، كنت أدخل في حسابي عفوه الكامل وحبه الكامل حالما

أقرّ بتحمّل مسؤوليتي وإصلاح ما حصل مني. لقد كنت متأكدا من أنه سيعفو عني وسينسى كل أخطائي وسنقلب صحفة جديدة.

لقد أراني أبي أهمية المحبة عند ممارسة السلطة التربوية، تلك السلطة التي توهب من الله وحده. ففي قلب كل طفل اشتياق إلى أن يسمع كلمة " لا " عندما تكون كلمة " لا " ضرورية، وفي قلبه أيضا رغبة صادقة لكي يصلّح الموقف عندما يعلم بأنه قد فعل شيئا خطأ. إن السلطة الوالدية الحقيقية تمنح الطفل اطمئنانا روحيا، لأنها تزود الطفل بالاستقرار النفسي عند وضع حدود للسلوك.

مما لا شك فيه، ان معظم الآباء والأمهات لا يسيئون تربية أطفالهم عمدا. وعندما يفشلون في هذا بدون قصد، فسيعانون على الأرجح هم أيضا من تبعات الموضوع أكثر من أطفالهم. ويمكن لكل زوجين الحصول على إرشاد الله وعفوه بالتماس ذلك في الصلاة، ويمكنهما أيضا طلب المساعدة من بعض إخوتهم في المسيح من الذين يثقان بهم. وعندما يساهم مجتمع الكنيسة بتربية الطفل بهذه الطريقة، فإن ذلك يجب أن لا يحصل على حساب العلاقة بين الوالدين والطفل. بل بالعكس، ففي مجتمعات كنيستنا، على سبيل المثال، حيث لدينا معلمون يقاسموننا الإيمان وجدنا أن تظافر مجتمع الكنيسة بأسره في تعليم وتنشئة الطفل غالبا ما يقوي هذه العلاقة (أي علاقة الوالدين مع الطفل)؛ لأنه يعطي الطفل اطمئنان المحبة الذي هو أعمق وأقوى مما يمكن أن تعطيه أسرة منفردة بدون وقوف الإخوة إلى جانبهم ومساعدتهم. وفي النهاية نحن نسلم طبعا أننا لسنا نحن القادرين على تربية أطفالنا بل الله. يكتب والدي في شأن هذا الموضوع فيقول:

> يدعونا المسيح لنصير كالأطفال، وهذا يعني أنه يجب علينا أن نتخلى عن كل شيء ونصبح متكلين تماما على الله، وبعضنا على بعض. فلو كنا نحن الآباء نحب الله من كل قلبنا ومن كل نفسنا، لحصل أطفالنا على التوقير الصحيح تجاهنا، وحصلنا أيضا على التوقير تجاه أطفالنا، وأيضا تجاه السر العجيب عندما يتحول الإنسان ويصير كالطفل. أن

توقير الروح الذي يتحرك بين الأب والطفل والأم والطفل هو العنصر الأساسي للحياة الأسرية السعيدة.[22]

الفصل الثاني عشر

نـقاوة الأَطفال

مَن اَتَّضعَ وصارَ مِثلَ هذا الطِّفلِ، فهوَ الأعظمُ في مَلكوتِ السَّماواتِ. ومَنْ قَبِلَ طِفلاً مِثلَهُ باَسمي يكونُ قبِلَني. مَنْ أوقعَ أحَدَ هؤُلاءِ الصِّغارِ المؤمنينَ بي في الخَطيئةِ، فخَيرٌ لَه أنْ يُعلَّقَ في عُنُقهِ حجَرُ طَحْنٍ كبيرٍ؟ ويُرمى في أعماقِ البحرِ.

متى 18: 4 - 6

لنا كلمات الرب يسوع عن القيمة العظمى لروح طفل صغير في نظر الله. إن كل طفل هو قريب من عرش الله تعالى من الناحية الروحية، وقريب من فؤاد الله، وكل طفل له ملاك حارس:

إيَّاكُم أنْ تَحتقروا أحدًا مِنْ هَؤلاءِ الصِّغارِ. أقولُ لكُم: إنَّ ملائِكَتَهُم في السَّماواتِ يُشاهِدونَ كُلَّ حِينٍ وجهَ أبي الّذي في السَّماواتِ. (متى 18: 10).

عندما يولد أي طفل في هذا العالم، فكأني به يجلب معه هواء السماء النقي والطاهر والعفيف. ومع ميلاد أي طفل نشعر أن شيئا من الله قد

وُلد، وأن شيئا من الأبدية قد نزل إلينا. لذلك فإن براءة الطفل هي بركة عظيمة علينا!

وجوب حماية روح الطفولة بل وتنميتها

على الرغم من براءة كل طفل، يوجد ميل للخطيئة في كل واحد، "الحماقةُ تَعلَقُ بِقلبِ الولَدِ..." (أمثال 22: 15). ولهذا السبب يُعتبر اِقْتِياد أي طفل الى الضلال خطيئة شنيعة. ولا يفسد الأطفال بمجرد اِقْتِيادنا المتعمد لهم الى الخطيئة فحسب، بل أيضا بتعريضهم لأي شيء يدنس جو البراءة حولهم ويحرمهم من روحيّتهم الطفولية. فهناك كثير من الصور والأفلام التي لا تليق، ويتعرض لها الأطفال اليوم، في البيوت عن طريق التلفزيون والفيديو والإنترنت والمحلات التجارية وفي أسواق المول وفي المدرسة، والذي يقوم بنشر مثل هذه الصور والأفلام هم ناس بالغون قد استحوذ عليهم الجنس أو العنف أو القوة أو المال. فهل من عجب في أن يفقد الأطفال روح براءتهم بل وطفولتهم نفسها وهم لا يزالون أطفالاً؟

إن أحسن صنيعة نقدمها لأطفالنا هو أن نحرص على أن تكون الأجواء التي يعيشون فيها، ممتلئة بأكملها بروح النقاوة والعفاف، وتسودها المحبة. إن التربية الروحية للأطفال، المتمثلة في توجيههم الى احترام الله ومحبة والديهم معلميهم وكل من حولهم، هي امتياز مقدس وعمل مقدس. ومن المهم جداً هنا أن نتضرع إلى روح الله القدوس لكي يوقظ في أبنائنا وبناتنا الإرادة لما هو عفيف وصادق وصالح. أن إرشاد الأولاد ليعملوا بما هو صالح يعتبر أهم من تعليمهم على سرد آيات أو ترديد صلوات قد لا تصدر من القلب. ولهذا السبب تتجنب كنيستنا أية تعاليم دينية صورية كهذه. لأننا نرى أن الأطفال يمكنهم تعلُّم محبة الله على أحسن وجه من خلال أناشيد الأطفال وأناشيد الطبيعة والترانيم البسيطة ومن خلال قراءة قصص من الكتاب المقدس، ومن خلال مثالنا الصالح على الصعيد اليومي، نحن الكبار الذين حولهم والذين يحب بعضنا بعضا.

من المهم في اقتيادنا للأطفال الى يسوع أن يكون لنا نحن أنفسنا موقف طفولي بسيط من وصاياه وأقواله، ومن عالم الملائكة، ومن الكتاب المقدس ككل. فما أسرع وما أبسط قبول الأطفال لهذه الأمور في قلوبهم!

ويمكننا أيضا إرشاد أطفالنا الى الله من خلال العالم حوالهم، بمساعدتهم على التحسس بالله في كل ما يرونه - في الشمس والقمر والنجوم؛ وفي الطيور والحيوانات؛ وفي الأشجار والأزهار؛ في الجبال والصحارى والعواصف الرعدية. ثم إن كل طفل يريد أن يعيش في الطبيعة ومع الطبيعة، ويوجد في كل طفل حب للأرض، وبهجة بالسماء المرصعة بالنجوم، وولع قلبي بكل شيء حيّ. أن عالم الله والملائكة في نظر الطفل، أقرب إليه مما نحن نتصور وأكثر واقعية.

سيتواجه الأولاد ومنذ صغرهم مع الألم والموت اللذين يصادفونهما في الطبيعة وفي الكتاب المقدس. وبالرغم من أنه من الضروري أن نعلمهم على التعاطف مع آلام ومشاكل الآخرين، لكنه من الضروري أيضا أن لا نحمّلهم أكثر من طاقتهم وأن لا نخيفهم. وإجمالا، فإن طرح حقائق كثيرة زائدة عن اللزوم عن دورة الحياة – تتعلق بالتناسل والولادة والموت – قد تؤذي الإحساس الروحي للطفل عن العالم الذي خلقه الله. لأن الولادة والموت هما من الأسرار التي لا يمكن فهمها إلا في إطار العلاقة مع الله، وهناك خطر فقدان الوقار والاحترام لو تحدثنا عنهما زيادة عن اللزوم.

نحتاج في هذا الصدد إلى أن يكون لدينا وقار ومهابة عظيمين تجاه مسألة الحمل والولادة. وعندما شبَّه يسوع المسيح الأيام الأخيرة بمخاض الحمل وكذلك عندما شبَّه مجيء العالم الجديد بالفرح الهائل بولادة مولود جديد بعد الآلام والعذاب فلم يكن تشبيهه هذا أمرا بلا مغزى وبدون معنى. فعند كل حالة حمل وحينما ينتظر فيها الوالدان مولودا، يتجلى سرّ سامٍ يستوجب وقارنا. وسنلحق ضررا روحيا بالغا كلما جعلنا من الحمل موضوعا للمزاح والسخرية، أو كلما لفتنا انتباها زائدا إليه. غير ان الترقب الهادئ والمتواضع سيطبع في نفوس الأطفال وقارا طبيعيا تجاه نعمة الله الخاصة بمولود جديد.

وفيما يتعلق بالجنس، على وجه الخصوص، نقول ببساطة أنه ليس من الضروري للطفل ولا حتى للمراهق أن يعرف عنه كل شيء. فمن السهل جدا تدمير إحساس أولادنا بقداسة وسر الحياة، عن طريق الإكثار من المناقشة والمكاشفة. ويجب على الوالدين اليوم أن يكونوا على حذر بشكل غير مسبوق من المخاطر الكامنة في ثقافتنا المجنونة بالجنس، تلك المخاطر التي يمكنها أن تتسلل بسهولة الى بيوتنا، بواسطة ما نراه ونسمعه ونقرأه نحن وأولادنا.

لا أقترح هنا بأي حال من الأحوال أن يشبّ أولادنا جاهلين بالحقائق الأساسية للحياة. وكل ما أقصده هو أن هذه الأمور يجب عدم فصلها عن عالم الله. فالشيء الرئيسي هو أنه لا يجوز لنا تعكير صفاء ونقاء وعفاف الطفولة – التي هي علاقة طبيعية لكل طفل بخالقه.

التربية تعني تحفيز الأولاد لاختيار الصم بدلا من الغلظ

إن حماية العفاف لدى أولادنا تعني كسبهم لما هو صالح. لأنه من الخطأ الاعتقاد بأن الأولاد لا يغويهم الشرّ. ومن واجبنا كوالدين أن نكون على استعداد دائم لمحاربة الشر لدى أولادنا، سواء كان يتخذ صيغة كذب أو سرقة أو عدم احترام أو دناسة جنسية. ويجب علينا فعل ذلك بدون عدد هائل من القواعد والأحكام كما يقول الكتاب المقدس:

فإنْ كُنتُم مُتُّم معَ المَسيحِ وتخَلَّصتُم مِنْ قِوى الكَونِ الأوَّلِيَّةِ، فكيفَ تَعيشونَ كأنَّكُم تَنتَمونَ إلى هذا العالَمِ؟ لِماذا تَخضَعونَ لِمِثلِ هذِهِ الفَرائضِ: ((لا تَلمَسْ، لا تَذُقْ هذا، لا تُمسِكْ ذاكَ))، وهِيَ كُلُّها أشياءُ تَزولُ بالاستِعمالِ؟ نعَمْ، هِيَ أحكامٌ وتَعاليمُ بشَرِيَّةٌ، (كولوسي 2: 20-22).

أما المِثاليات الأخلاقية المتزمتة التي تصاحبها دائما الشكوك وعدم الثقة بالأولاد، فهي تفسد روح الطفولة عندهم. فالطاعة غير كافية أبدا. لأن

الخضوع وحده لا يبني شخصية الطفل. فمن جهة، لا يمكننا ترك الأطفال غير محميين ليقعوا فريسة شرور مختلفة تعترض طريقهم. ومن الجهة الأخرى، يجب عدم كسر معنوياتهم عن طريق انتقاد أخطائهم باستمرار. إن التربية الصحيحة لا تعني تشكيل الطفل أو قمعه في قالب معين بالنقد المستمر، بل تعني تحفيز الولد أو البنت على اختيار الصح بدلا من الغلط.

ومن الضروري أن نحرص على أن لا نخرّب أولادنا بالدلال، حتى وهم لا يزالون في سن مبكرة جدا. فالدلال يؤدي الى الأنانية وعدم القدرة على ضبط النفس والاستياء العميق؛ أي بعبارة أخرى إنه يؤدي الى الخطيئة. والأهل الذين يخربون أولادهم بالدلال، تراهم غالبا ما يخلطون بين المحبة والمشاعر المفرطة، ويظنون أنهم سيكسبون أولادهم عن طريق التعلُّق بهم، لكنهم في واقع الأمر لا يعملون إلا على إعاقة نموهم الى أشخاص سليمين نفسيا وذوي شخصية مستقلة. إن معاملة الآباء لأولادهم على أساس أنهم ممتلكات نفسية لهم فهذا معناه أنهم ينقصهم التوقير الواجب تجاه أولادهم باعتبارهم صورة الله، بحكم حقهم الشخصي، ومعناه أيضا استعباد اولادهم.

من الأمور المألوفة لدى الأولاد الأكبر سنا، هي خصلة قلة الاحترام نحو اقرانهم و مربيهم ووالديهم. وتظهر خصلة قلة الاحترام هذه بعدة طرق. فبين الفتيان، قد تتخذ شكل التباهي بالرجولة بمعنى المغالاة بالعضلات (والتي هي في الغالب عملية تستر للجبن، وتعرض فقط عند تواجد الآخرين) أو تتخذ شكل عدم مراعاة مشاعر الآخرين، أو سلوك ينقصه الاحترام أو تصرفات مُخرِّبة. وقد ينظرون الى الترنيم نظرة احتقار معتبريه أمر يخص الإناث، وقد يسخرون من إشارات التعبير عن المحبة للأطفال الصغار، وكل شيء ديني أو أخلاقي معرض للهزء والسخرية من جانبهم. أما بين الفتيات فغالبا ما تظهر خصلة قلة الاحترام على شكل ثرثرة ونفاق فظيعين أو على شكل اغتياب أو انطواء على الذات أو حساسية زائدة للنقد.

ولأن الأولاد والبنات الذين يُظهرون مثل هذه النزعات يفتقرون الى الأمان النفسي، فهم عرضة للضغوط من قبل رفقائهم، وغالبا ما يلتفتون الى الشلة للبحث عن دعم ومساندة. لكن ينبغي على الآباء والمعلمين أن يتنبهوا لهذا الأمر لأن طبيعة الشلّة المنغلقة التي تتسم بإقصاء الآخرين وإبعادهم عنها - حتى لو كانت الشلة تبدو لطيفة - هي ليست ظاهرة سليمة أبدا. وأفضل دواء لعلاج ظاهرة الشِلاّت هو التوجيه الإيجابي والرعاية وإبداء الاهتمام الصادق بكل ولد وبنت ومن صميم القلب.

كل ولد (أو بنت) لديه شوق فطري الى ضمير حيّ

تحتاج مسألة التعامل مع الدناسة الجنسية لدى الأولاد الى حساسية خاصة والى شيء من البصيرة. يكتب والدي فيقول:

ثمة سؤال في غاية الصعوبة، وهو كيف نحارب الخطيئة لدى أولادنا؟ فإذا حصلت بعض البذاءات، كالتي عندما يبدأ الأولاد بكشف أجساد بعضهم لبعض، على سبيل المثال، وأحيانا لمس بعضهم لبعض، فسيحس الولد (أو البنت) فطريا بأن هذا الأمر غير صحيح. وغالبا ما يغلف الكذب هذه الأعمال البذيئة. وواجبنا أن نحرص على عدم جعل مثل هذه الأشياء بين الأولاد مشكلة أكبر من حجمها. فهذا لا ينتج عنه سوى شد انتباههم أكثر الى الناحية الجنسية. ولعل أفضل شيء هو توبيخهم في حينها ومن ثم إغلاق الموضوع، وبعدئذ مساعدتهم على التفكير في أشياء أخرى.

نحن البالغين ننسى بسهولة جدا أن أشياء كثيرة لا تعني للطفل مثلما تعنيه لنا، وأنه يجب علينا أن لا نستعرض أفكارنا ومشاعرنا وتجاربنا على ذهنية الطفل، كما يقول الإنجيل:

كُلُّ شيءٍ طاهِرٌ لِلأطهارِ، وما مِنْ شيءٍ طاهِرٍ لِلأنجاسِ وغَيرِ المُؤْمِنينَ، حتّى إنَّ عُقولَهُم وضَمائِرَهُم نَجِسَةٌ. (تيطس 1: 15).

لكن من الضروري أيضا أن لا ننسى أبدا أن مرور الأولاد بمرحلة من الفضول الجنسي هي مسألة طبيعية إلى حد ما. ولا ينبغي احتسابها خطيئة. لكن واجبنا هو توجيه أولادنا بالطريقة التي تظل نفوسهم بها طاهرة وعفيفة وبريئة. ثم إن الإكثار من الاستجوابات يمكن له أن يؤذي الولد؛ لأنه بالخوف يزداد تورطه في الكذب.

وسنظلم أولادنا - من أطفال أو مراهقين – لو وسمناهم وسما دائميا بالعار، لاسيما أولئك الذين قاموا بعمل شائن في المجال الجنسي. وعند تقييمنا للإساءات الصبيانية التي تحصل من قبل الأولاد، فعلينا توخي الحذر من التسرع واتخاذ استنتاجات قاسية بحق شخصية الولد أو البنت أو تطور نموهما المستقبلي، بل يجدر بنا بالأحرى أن نقدّم العون له أو لها لكي يحصلا على اهتمامات جديدة ولصنع بداية جديدة مفرحة.

ونحن نعلم أنه بإمكاننا الوصول الى قلب أي ولد عن طريق مناشدة ضميره. فكل طفل لديه شوق فطري وقلبي الى ضمير نقي وعفيف، ويجب علينا دعم هذا الشوق حتى لا يعاني من ضمير مثقل بالآثام.

توجد نقطة معينة لا يبقى عندها الأطفال أطفالا بكل ما تعنيه الكلمة. ففي اللحظة التي يذنبون فيها عن وعي، لا يبقون بعد أطفالا. ويكون من واجب الوالدين والمعلمين وقتذاك مساعدتهم على اكتشاف التوبة، والتعرّف على ما قاسى منه الرب يسوع على الصليب، ومن ثم الاهتداء الذي يؤدي الى غفران الخطايا. فيمكن استرداد الطفولة الضائعة بفضل الصليب.[23]

العفاف مثل الزنى،
يمكن تعلّمه بفضل مثال صالح

بالنسبة إلى الآباء، فإن بناء علاقة ثقة مع الأولاد ومنذ مراحل طفولتهم المبكرة مهمة للغاية ولا نوفي حقها بالتمام مهما شددنا عليها. فيجب ألا ننتظر بلوغ أطفالنا سن الخامسة أو السادسة لنبدأ بالتعامل مع المشاكل التي قد تحدث. فإذا لم نقم ببناء علاقات مع أطفالنا منذ الصغر فقد لا

نحصل أبدا على الثقة والاحترام الضروريين لحل المشاكل الأكثر خطورة التي سوف تأتي مع سن المراهقة.

مما لاشك فيه، إن السنوات ما بين عمر الثالثة عشر والحادي والعشرين تعتبر حاسمة، ذلك أنه في أثناء هذه المرحلة يصبح الفتيان والفتيات على وعي متزايد بالغريزة الجنسية. لكن ما أسهل أن يغض أي والدين (وكذلك كنائس بأكملها) الطرف عن المراهقين الذين امام نصب أعينهما، ويخذلوهم خذلا ذريعا وذلك بمجرد تجاهلهم. فكم ستكون مدارسنا الثانوية الأمريكية مختلفة لو أن الوالدَين صرفوا وقتا من أجل أولادهما المراهقين! (وهذا يشمل مدارسنا العربية أيضا). هناك كثير من الآباء ممن يحذِّرون أولادهم من مغبة التعاطي مع الكحول أو المخدرات أو التجارب الجنسية، ولكن كم واحدا منهم يصرف معهم وقتا بشكل منتظم ليرعى اهتماماتهم ويشجعهم على استخدام وقتهم بشكل خلاق ومفيد، والقيام بأكثر من مجرد مشاهدة آخر أفلام الفيديو أو التسكع في الأسواق؟ إن الوالدَين الملتزمَين يبقيان على صلة وثيقة مع أولادهما المراهقين طوال مرحلة المراهقة بما تتخللها من مسرات وصعوبات. عندئذ لن يكون الآباء مجرد آباء لأبنائهم، بل سيكونون رفقاء وأصدقاء لهم أيضا، وهكذا الحال مع الأمهات.

يحتاج الشباب دوما الى من يفضون بمشاكلهم إليه. فلابد من وجود شخص يكون موضع ثقتهم سواء كان أحد الأبوين أو الراعي الكنسي أو المشير أو صديق لكي يفتحون قلبهم له ويحكون معه عن أفراحهم وصراعاتهم بكامل الحرية ويستطيعون أن يتحدثوا معه عن الجنس دون خجل أو حرج.

يواجه المراهقون اليوم خيارات جمة زائدة عن اللزوم. وتعتقد ثقافتنا أن التنوع هو مفتاح الحرية؛ لكنه على النقيض من ذلك، فقد يكون مفتاحا لالتباس الأمور. ويوجد قليل جدا من الناس من الذين هم على استعداد لتحذير المراهقين من الآثار النفسية المؤلمة التي تسفر عن الممارسات الجنسية غير الملتزمة برباط شرعي. ويوجد حتى عدد أقل منهم

من هو راغب في الشهادة لهم عن القدرة الجبارة لنعمة الغفران في قلب الحياة رأسا على عقب عندما يتوب الإنسان ويؤمن بالرب يسوع.

فلهذا السبب، تبرز الحاجة الى وجود أمثلة حية موثوق بها لتكون قدوة للشباب وللأولاد عموما. لكن واقع الحال يرينا أن الأولاد يقضون وقتا أكثر من السابق وحيدين ويدبرون أمورهم بنفسهم؛ وأصبحت ظاهرة حمل مفاتيح البيوت من قبل الأولاد شائعة في طبقات المجتمع بتعدد أطيافها. وليس من قبيل الصّدف أن يطلق بعض الخبراء على أولاد اليوم تسميات منها "الجيل المعزول" أو تصفهم الدراسات الاجتماعية بأوصاف منها: المنبوذون والمقطوعون والوحيدون.

لئلا ننسى، فإن العفاف مثل الزنى، فيمكن تعلّمه بالدرجة الأساسية بفضل مثال صالح، مثلما يوصي الإنجيل:

> وكذلِكَ عِظِ الشُّبّانَ ليكونوا مُتَعَقِّلينَ. وكُنْ أنتَ نَفسُكَ قُدوَةً لَهُم في العَمَلِ الصّالِحِ، ورَزينًا ومُنزَّهًا في تَعليمِكَ. وليَكُنْ كلامُكَ صَحيحًا لا يَنالُهُ لَومٌ، فيَخزَى خَصمُكَ ولا يَجِدُ سُوءًا فِينا. (تيطس 2: 6-8).

لذلك فمن الضروري أن يرى الأولاد أن الحب بين والديهما هو حب وثيق لا ينحلّ، وأن يعرفوا أن بعض النظرات أو اللمسات أو كلمات الحب لا تكون لائقة ومحلّلة إلا بين زوج وزوجته. وهم بحاجة الى أن يفهموا أن الألفة الجسدية لا تنتمي إلا للزواج فقط، وأن خوض تجارب من أي نوع كانت قبل أوانها لا تؤدي إلا الى تلطيخ الزواج الذي قد يحصل لاحقا. وهم يحتاجون بالتأكيد إلى أن نحافظ عليهم من خوض الاضطراب والالتباس النفسي والآلام الناشئة عن علاقات اهاليهم المفككة وأيضا الناشئة عن الأدناس الجنسية لدى بعض الكبار الذين من حولهم أو المتفشية من حواليهم.

لهذا السبب، يتعين على المجتمع المقدس للكنيسة أن يشغل مكانا مركزيا في حياة الأسرة. ولابد أن يتسنى للأولاد رؤية أمثلة حية من العِفّة

ليس في والديهم فحسب، بل في كل من يحيط بهم أيضا، سواء كان متزوجا أو عازبا.

المحبة هي الضمان الأمثل ضد الخطيئة

لا يمكن أبدا تعزيز وإنعاش حياة العفاف في جوٍ من فراغ. فيحتاج أولادنا وشبابنا أن يحصلوا على قلوب نابضة ليسوع المسيح ولقضية السلام وعدالته الاجتماعية التي جاء من أجلهما. فعندما تمتلئ قلوبهم بالله ومن ثم تتأجج لقضيته، فسيقاومون الشر تلقائيا. ولو أرشدناهم على الانفتاح على معاناة وآلام الآخرين، وألفتنا نظرهم إلى رؤية هذه الأمور، وجعلناهم يتقربون من الحال المزري للمتألمين والمعدمين، لتشوقوا إلى إبداء المحبة والمساعدة لهم. لكن الفكرة القائلة بأن الأولاد ليس لهم ضمير اجتماعي، وليس لهم إحساس تجاه معاناة الناس أو الظلم الاجتماعي والطبقية، أو ذنوب عالمنا إنما هي فكرة لا أساس لها من الصحة – ولا يحدث هذا إلا إذا نشأوا في بيئة تعيش حياة سطحية ولا تفكر إلا براحتها ومتعتها الذاتية. أما عندما يتواجه الأولاد الصادقون مع معاناة الآخرين وجها لوجه، أو عندما يرون غيرهم يساعد المحتاجين، فسوف يحسون بإلحاح داخلي يدفعهم إلى وضع محبتهم في حيز التطبيق بوسائل عملية.

إن المحبة هي الضمان الأمثل ضد الخطيئة دائما. فالمحبة تربط جميع الفضائل في وحدة كاملة، كما يعلمنا الإنجيل:

والبَسُوا فَوقَ هذا كُلِّهِ المَحبَّةَ، فهِيَ رِباطُ الكَمالِ. (كولوسي 3: 14).

والمحبة هي الرسالة التي نحتاج تقديمها إلى أولادنا وشبابنا، عن طريق إظهار المحبة في كل ما نقوله أو نفعله نحن أنفسنا قبل كل شيء، فهذا أهم ما في الموضوع. لأننا نرى اليوم إن عددا كبيرا جدا من الشباب، لا يعيشون إلا من أجل أنفسهم ومن أجل اهتماماتهم الخاصة. فهم يجتهدون كثيرا للحصول على درجات جيدة في الدراسة، وليتفوقوا في الألعاب الرياضية، ولكي يحوزوا على منحة دراسية – وهي جميعها أمور جديرة

بالثناء. لكن كم واحدا منهم يهتم بقريبه (أخيه الأنسان) أو بحاجة العالم المحيط به؟ فلابد أن نحثّ شبابنا ونوسّع مداركهم على أهمية التفاعل مع الآخرين، ولاسيما التفاعل مع أولئك الذين من خلفيات وأديان أخرى.

غالبا ما يقلق الأهل ويحاولون حماية أبنائهم المراهقين عن طريق الحيلولة بينهم وبين مواقف الجنس أو العنف، وخاصة في المدارس الثانوية والمعاهد. لكن ربما يحتاجون بالحقيقة إلى ما هو العكس: فرصة ليقفوا فيها على أقدامهم ويشهدوا لما يؤمنوا به هم أنفسهم وليس فقط لما يؤمن به آبائهم.

يحتاج أولادنا الى التواصل مع الآخرين والتعرف على ما يحس وما يفكر فيه الناس في زمانهم. فهم يحتاجون الى أن يكونوا على اتصال مع نظيرهم ومع قضايا الساعة الملتهبة من أمور اجتماعية وسياسية واقتصادية. ويحتاجون الى أن يتحسّسوا باليأس الذي ابتلى به أولئك الذين التجئوا إلى الإدمان على الكحول أو على المخدرات، وأن يتحسّسوا بمعاناة أولئك الذين يمرون بإساءة المعاملة في بيوتهم. فبدون قدرتهم على تفهم ما يدور خارج محيطهم وإقامة روابط معه، فلن يكون لهم أية صلة حقيقية بالعالم حولهم ولن تتاح لهم أية فرصة لاختبار قناعاتهم الشخصية.

لا يسعنا أبدا أن نربي أولادنا ليصبحوا أولادا كاملين، لكننا نعتقد اعتقادا جازما أنه من الممكن تربية أولاد يستجيبون لإرشادنا وتأديبنا، بالرغم من الفساد الرهيب والظلام الدامس الذي يكتنف عصرنا، كما يوصينا الكتاب المقدس:

هَذِّبِ الطِّفلَ في أوَّلِ طريقِهِ، فمتى شاخ لا يَبتَعِدُ مِنهُ. (أمثال 22: 6).

فمادمنا قادرين على الحفاظ على علاقة من الاحترام والوقار المتبادل بيننا وأولادنا، فسوف نجد السبيل الصحيح في تربيتنا لأولادنا. وسيكلف الأمر خوض معركة، وقد تكون خطيرة أحيانا، ومع ذلك ومن أجل مصلحة روح الولد، فالمعركة تستحق دائما خوضها. وبطبيعة الحال، فربما يختار

أولادنا عندما يكبرون طريقا مغايرا للحياة عن الطريق الذي كان بودنا نحن الآباء أن نختاره لهم. لكن إن كنا نتضرع للرب يسوع المسيح كل يوم من أجل إرشاده لنا، فسنكون على ثقة بأنه سيقودنا وإياهم.

الفصل الثالث عشر

الى الذين يعتزمون الزواج

فإذا كانَ في الرِّياضَةِ البَدنِيَّةِ بَعضُ الخَيرِ، ففي التَّقوى كُلُّ الخَيرِ لأنَّ لَها الوَعدَ بالحياةِ الحاضِرَةِ والمُستقبَلَةِ.... لا تَدَعْ أحَدًا يَستَخِفُّ بِشبابِكَ، بَلْ كُنْ قُدوَةً لِلمُؤمِنينَ في الكلامِ والتَّصَرُّفِ والمَحبَّةِ والإيمانِ والعَفاف.

1 تيموثاوس 4: 8 وَ 12

أفظع حال الشباب اليوم حينما يندفعون بعشوائية وبمنتهى الأنانية والسذاجة إلى إقامة العلاقات الجنسية، بل حتى إلى الزواج. لكن كيف ينبغي للشباب التعامل مع الجاذبية الطبيعية والصداقات التي تنشأ بينهم؟ وما هو الأسلوب الإلهي الشريف؟ وكيف يحفظ الشباب والشابات أنفسهم من الإثارة الجنسية السطحية لزماننا هذا، والحصول على علاقات طبيعية صادقة وبمطلق الحرية، ومن دون ضغوط الجنس من جهة أو التقاليد المجحفة من جهة أخرى؟ وكيف لهم أن يعدّوا أنفسهم على أفضل وجه لمسؤوليات ومطالب الزواج؟

تُرخِّص ظاهرة المواعيد الغرامية الدارجة معنى الالتزام في العلاقات

ينبغي علينا أن نبتهج فعلا حينما تكون هناك علاقات صداقة بريئة بين الشباب والشابات، وكذلك حينما تكون هناك فرص تعامل إيجابي متبادل بينهم في حياتهم اليومية. أما التخوّف من احتمالية حدوث أي انزلاق فلا مبرر له في الغالب، وهو علامة تدل على عدم الثقة بهم. فالشباب يحتاجون إلى فرص للتواصل فيما بينهم على صعيد جماعي حيث يتسنى لهم العمل معا أو التحدث عن ما يخالجهم من أفكار أو الترنيم أو الراحة والاستجمام. أما الانقسام إلى مجموعات متكونة من اثنين - اثنين أو تكوين تكتلات ضمن الجماعة فهو أمر غير سليم ولا محل له هنا: لأنه في مجتمعات الكنائس يجب على الشباب والشابات التعرّف بعضهم على بعض قبل كل شيء بصفة إخوة وأخوات في المسيح. ويجب أن تكون لهم الحرية ليراهم الناس معا دون أن يتعرضوا لأي نوع من النفاق أو التكهنات حول طبيعة صداقتهم. فإن الضغوط التي تسببها مثل هذه الأقاويل تخنق الحريات، وتتلف وتشوه كل شيء جميل في العلاقة الشريفة.

إنَّ عدم النضج لدى بعض الشباب نراه يعبّر عن نفسه من خلال أنَّ "يقع في حب" شابة (أو شاب) في بادئ الأمر ثم مع أخرى (أو آخر)، وهكذا ينتقل مثل النحلة التي تنتقل من زهرة إلى أخرى. إنَّ البحث عن شخص مناسب أمر طبيعي جدا؛ إلا أنَّ ما لا تحتمله الكنيسة هو التكوين المتواصل لعلاقات جديدة ثم إنهائها. إنَّ الموقف العشوائي لدى بعض الشباب أو الشابات في القفز من فتاة إلى أخرى أو من شاب إلى آخر لا يمكن له أن يكون صحيحا أبدا. لأنه يخدّر الضمير ويرخص معنى الالتزام في العلاقات. وبالرغم من أن موجات الجاذبية العاطفية المصاحبة لكل صداقة بين أي فتى وأية فتاة هي أمر طبيعي جدا، لكنها إن لم تكن موضوعة تحت بركة السيد المسيح ومشيئته، فقد تسبب جراحات قد تطول مدى العمر.

فلهذا السبب بالتحديد، ترفض كنيستنا ظاهرة المواعيد الغرامية الدارجة. وبصورة عامة، فقد أصبحت هذه المواعيد في بلادنا مجرد ضرب من ضروب اللهو – وعادة اجتماعية للاقتران مع صديق أو صديقة على أساس الجاذبية الجسدية والعاطفية. وقد بُنيت على مفهوم مغلوط عن الصداقة وفي معظم الأحيان لا يكون لها أدنى علاقة بالحب الصادق ولا بالوفاء. وفي حالات كثيرة تركز ظاهرة مواعيد الغرام على انشغال مريض بـ "مظهر" الفرد. أما عندما تتضمن المواعيد ممارسة الجنس، فإنها تخلف ورائها ضميرا مثقلا بالآثام إلى درجة كبيرة بحيث يحتاج إلى سنين طوال لشفائه.

ويسير كل من التباهي بالمظهر وسطحية العلاقات جنبا إلى جنب مع ظاهرة مواعيد الغرام الدارجة. وهكذا الحال مع التَغَنُّج (أي التَدَلُّل وإيماءات المغازلة) – فالفرد يود لفت الانتباه إلى نفسه لكي يغري الشخص الآخر جنسيا. فالتَغَنُّج هذا ينمّ عن التعاسة الداخلية للفرد وفقدانه للاطمئنان والسلام الروحي، وهو إهانة لله.

في السنوات الأخيرة أزداد عدد الآباء وعدد الكنائس التي تبحث عن بدائل لظاهرة مواعيد الغرام الدارجة. ويحاول البعض – على سبيل المثال – إحياء عادة "قديمة الطراز" تتضمن وضع مدة تعارف وديَّة (كالخطوبة) والتي تؤكد على المشاورات والمشاركات الأُسَريّة، وتركز على أوجه النشاط التي تثري الشخصية وتقوي ما فيها من عناصر طيبة. هذا وتشير الإحصائيات إلى أن ظاهرة مواعيد الغرام آخذة بالتضاؤل في حياة المعاهد الأكاديمية. وكثير من المعاهد المختلطة تفضل الآن تأدية فعالياتها الدراسية بنطاق جماعي للتشديد على فعالية الجماعة ككل وعلى تقدير مشاركة الفرد ضمن الجماعة. وهذه مؤشرات مشجعة حقا، وعليها تشجيع الآباء والقساوسة ورعاة الكنائس ليكونوا أكثر نشاطا وأكثر انشغالا بهذه الأمور.

لا تكفي المشاعر المتبادلة لبناء علاقة دائمة

كيف ينبغي للشاب أو للشابة اختيار الشريك المناسب؟ إن العامل الحاسم بالنسبة للمسيحي يجب أن يكون دائما وحدة القلب والنفس في الروح القدس بينه وبين شريكه. ويحتاج كل من الشريكين إلى أن يتحسسا بأنَّ علاقتهما تُقرّبهما إلى الرب يسوع، لأن مشيئته وحدها هي القادرة على تجميع أي اثنين اللذين سيكون أحدهما من نصيب الآخر. فبدون يسوع المسيح وبدون الوحدة المتميّزة التي يهبها بين شخصين، لن يستطيع الشريكان على الأرجح التغلب على الأزمات والصراعات الروحية التي تحصل في كل علاقة زوجية، وخصوصا عندما يُرزَقان بأطفال.

وحتى عندما يكون أي شاب وشابة متأكدَين من رغبتهما في الدخول إلى علاقة ملتزمة كالخطوبة على سبيل المثال، فعليهما امتحان حبهما لمدة من الزمن للتأكد؛ هل حبهما مجرد لهبة قش من الجاذبية العاطفية أو هو شيء أسمى من ذلك؟ مرة أخرى نقول أنَّ الجاذبية الجسدية والعاطفية أمر طبيعي، لكنها لا تشكل أساسا كافيا للزواج وتأسيس أسرة، ولا يمكنها أبدا أن تكون العامل الحاسم لإقامة علاقة ملتزمة مديدة الحياة. فالعلاقة التي تقوم فقط على هذه الأمور هي بالتأكيد علاقة ضحلة ومصيرها التمزق. ويجب أن يكون السؤال الحقيقي دائما هو كالآتي: ماذا يريد الله لحياتنا ومستقبلنا معا؟ لأن إرادته هي الأساس المضمون.

لقد سمع كل منا بالقول المتداول: "ما في داخل الإنسان هو المهم"، لكن، هل نصدّق نحن ذلك فعلا؟ لأننا جميعا قد حكمنا على الآخرين على أساس مظهرهم، بمعرفة أو بغير معرفة. ففي المجتمعات التي نسمع فيها عبارات مثل "يا لها من شابة جذابة جدا"، أو "يا له من شاب وسيم"، وما إلى ذلك، فيفترض بنا التوقف لبرهة للتمعُّن بأية رسائل مبطنة نقوم بإرسالها لأولئك الذين لا يوصفون بهذه الأوصاف.

ونرى ظاهرة الحكم على الناس على أساس المظهر (أو ما يعرف بالتمييز المظهري) شديدة لاسيما لدى الشباب الذين يعتزمون الزواج. فقد تنتقي الفتاة أكثرهم وسامة من حولها، وقد ينتقي الشاب أجمل فتاة في

المجموعة، لكن ماذا عن علاقتهما بعد عشر أو عشرين سنة من رحلة الحياة؟ هل سيواظبان على حبهما عندما يصير الرجل أصلع، أو عندما تصير المرأة بدينة أو تكسو التجاعيد وجهها؟ من المؤكد أن الجاذبية الجسدية جزء من أية علاقة، لكنها لا يمكن أن تكون أساسا لعهد من الولاء والحب يطول مدى الحياة. وقد عبر عن ذلك النبي إشعيا عندما قال:

كلُّ بشَرٍ عُشبٌ وكزَهرِ الحقلِ بَقاؤُهُ. ييبَسُ ويذوي مِثلَهُما بنَسمةٍ تَهُبُّ مِنَ الرّبِّ. (إشعيا 40: 6-7).

ليس من السهل أن نرى بعيني الفؤاد، خصوصا عندما نكون في مقتبل عمرنا. لكن مع ذلك علينا التضرع لله ليهبنا مثل هذه البصيرة المهمة. فلو فتحنا قلوبنا لحكمة الله، لرأينا جمالا في كل إنسان نقابله، وأحببنا كل شخص كرفيق مخلوق على صورة الله.

لقد عرفتُ روز Rose منذ كانت ما تزال صبية صغيرة. فعندما بلغتْ سن الشباب قابلتْ توم Tom ووقعت في غرامه. وتوم هذا مُقعد يعاني من اختلال دماغي شديد، وقد قضى حياته كلها في كرسي متحرك، ورغم ذلك تزوجا، ولهما الآن طفلان رائعان. فقد كان توم في نظر روز أروع رجل في العالم. فقد لا يرى الآخرون سوى نواحي عجزه، لكن روز رأت جمال نفسه.

وهناك زوجان آخران بريطانيّ الولادة ضمن مجتمعات كنيستنا برودرهوف هما فيكتور وهيلدا Victor and Hilda اللذين عمّرا لغاية التسعينيات من عمرهما، وكانا قد تزوجا في عمر العشرينيات، وقد أحب أحدهما الآخر حبا كبيرا إلى النهاية. لم تكن هيلدا جميلة بالمعنى السائد في العالم: وقد أحدودب ظهرها بشكل حاد عندما بلغت السبعين، وأصيبت برعشة عصبية شوه الجانب الأيمن من وجهها. ومع ذلك كانت دائما في نظر فيكتور كما يقول هو "أميرتي". فقد تأسس حبهما على شيء أسمى بكثير من المظهر.

في غضون السنوات الثلاثين التي قضيتها في عمل تقديم المشورة للمتزوجين الشباب، أخبرني الكثير منهم عن أفراحهم وصراعاتهم، ومع ذلك فما أزال أتأثر كثيرا في كل مرة يأتيني أحد الشباب في ثقة ليفتح قلبه لي بما يمرّ به في حياته. ومنذ وقت قريب كتبتْ لزوجتي امرأة تدعى كيت Kate تخبرها عن نمو علاقتها مع أحد الشباب ويدعى آندي Andy وهما من أفراد مجتمع كنيستنا ويشتركان في نشاطات مجموعة الشباب التي عندنا. ولم يكونا شخصين متميزين، ولكن عندما كانت علاقتهما تنمو فقد وُهِبَا عطية متميّزة، ألا وهي أساس رصين لسعيهما المشترك. تكتب كيت فتقول:

كان سعينا وبحثنا عن مشيئة الله تجربة روحية حامية منذ البداية. وقد تقرّب أحدنا من الآخر روحيا، خصوصا عن طريق قراءة الكتاب المقدس والصلاة معا. ومع ذلك يمكنني القول أنَّ صراعنا الأكبر كان في محاولتنا للتخلي عن مفهومنا العاطفي والرومانسي عن الحب، لأنه يشغل حيزا صغيرا بالحقيقة. وكان حديثنا أحيانا ينزل لمستوى الجاذبية البشرية، لكن تأثيراته كانت مدمرة لأنه كان يقوّض ما قد اختبرناه معا على المستوى الروحي... لكن عندما حرصنا على إبقاء الله وأجواءه في محور لقاءاتنا صار يفهم ويحس كل منا بالآخر وبأكثر وجدانية.

وفي الوقت الذي أخذ أحدنا في التعرّف على الآخر بشكل أفضل ورؤية الصراعات الروحية لكل يوم وإخفاقاته لكل منا، صار أيضا بمقدور أحدنا أن يوبّخ الآخر ويشجّعه كذلك. وبالتالي صار يحس كل منا بتقربه من الله. وإنني أرى الآن وبوضوح كيف أن العلاقة لا تتأسس مرة واحدة وإلى الأبد، بل يجب بنيانها يوميا – حجرة حجرة – وبإيمان ثابت. وأنا ممنونة جدا على الوقت الذي قضيناه أنا وآندي في تبادلنا للصراحة في الحديث، ليتسنى لنا بناء أساس رصين فعلا. وأشكر الله أيضا على أن الطريق لم يكن مفروشا بالورود، لأن لا شيء ذو قيمة يأتي بدون صراع.

إن قصة آندي وكيت قصة مشجعة؛ إذ نرى أنه حتى في زماننا هذا ما يزال ممكنا للشباب أن يأخذوا مسألة العلاقة بينهما مأخذ الجدية للدرجة التي يسعون فيها لوضع الله فوق أي شيء آخر. وهنا علينا تذكّر قول الرب يسوع في هذا الصدد:

فاَطلبوا أوَّلاً مَلكوتَ اللهِ ومشيئَتَهُ، فيزيدَكُمُ اللهُ هذا كُلَّه. (متى 6: 33).

إذا كان الإيمان هو الأساس المتين الوحيد للزواج المسيحي فيترتب على ذلك وجوب تقديم الشريكين عهود بالالتزام نحو المسيح ونحو الكنيسة أولا قبل تقديم أي عهد بالتزام أحدهما نحو الآخر. ونرى هنا أنه مهما شددنا على أهمية دور المعمودية فلا نوفيها حقها. لأن المعمودية تُعد واحدة من أعظم النعم الإلهية التي يمكن للمرء اختبارها، لكونها إعلانا عن توبة الإنسان عن الذنوب ولكونها عهدا مع الله لإنسان ذي ضمير نظيف ومرتاح، بل يمكنني حتى القول أنه بدون المعمودية لا يوجد أساس آمن لزواج مسيحي.

وطبعا لا يجوز تعميد أحد من أجل زوج أو زوجة أو أطفال، كما قال الرب يسوع المسيح في الإنجيل:

مَنْ جاءَ إليَّ وما أحبَّني أكثرَ مِنْ حُبِّهِ لأبيهِ وأُمِّهِ واَمرأتِهِ وأولادِهِ وإخوتِهِ وأخواتِهِ، بل أكثَرَ مِنْ حُبِّهِ لِنَفسِهِ، لا يَقدِرُ أنْ يكونَ تِلميذًا لي. (لوقا 14: 26).

كذلك لا يجوز أن تختلط الرغبة في المعمودية بمشاعر الرغبة في إيجاد شخص للزواج. ولكي تأخذ المعمودية معناها الحقيقي، فإنها يجب أن تكون علامة على توبة نصوحة، وعلى اِهتداء، وعلى إيمان.

تتطلب العلاقة السليمة الوقت والعناية

يقول يسوع أننا لا نقدر على خدمة سيدين (متى 6: 24). ويعلّمنا أنَّنا عندما نثق في الله وحده، ونتكل عليه اتكالا كاملا فسوف يسدّ كل

حاجاتنا، بما في ذلك حاجتنا إلى شريك حياة أو شريكة حياة. "فاَطلبوا أوَّلاً مَلكوتَ اللهِ ومشيئَتَهُ، فيزيدَكُمُ اللهُ هذا كُلَّه" (متى 6: 33). وتعتبر هذه النصيحة مهمة جدا ليس لأولئك الذين قد انشغلوا بمسألة الزواج بطريقة غير سليمة فحسب بل حتى لنا كلنا.

وأنا لا أريد أبدا من قولي هذا أن يتخلى الشباب عن الزواج كما فعل الرسول بولس؛ لأن الدعوة الإلهية إلى حياة العزوبة (التَبَتُّل) يجب أن يحسّ بها الإنسان في داخله. لكن لو لم يكن الزواج هو مشيئة الله لنا (وهذا يصعب تمييزه غالبا) لوجب على كل منا أن يكون على استعداد للتخلي عن الزواج:

> بَلْ أحسُبُ كُلَّ شيءٍ خَسارةً مِنْ أجلِ الرِّبحِ الأعظَمِ، وهوَ مَعرِفَةُ المَسيحِ يَسوعَ رَبّي. مِنْ أجلِهِ خَسِرتُ كُلَّ شيءٍ وحَسَبتُ كُلَّ شيءٍ نِفايَةً لأربَحَ المَسيحَ (فيلبي 3: 8).

فعندما يقتحم نور الرب يسوع حياتنا، نحصل على القوة اللازمة لتسليم أنفسنا إليه بمنتهى الجدية ونعيش حياة مسيحية كاملة كل يوم وكل ساعة بحيث يحصل كل شيء في حياتنا على نسبته الصحيحة وحقّه المناسب.

وعلى خلاف ما هو مقبول على نطاق واسع من أن أكثر العلاقات سلامة هي تلك التي تكون أكثرها خصوصية (أي لا يعرف بها أحد)، إلا أننا نرى أن الخطوبة والزواج هما من اهتمامات مجتمع الكنيسة بأكمله، ولا تقتصر على الأفراد المعنيين. لذلك عندما يشعر الشباب والشابات في كنيستنا بأن بعضهم يقترب من بعض فأنصحهم بالتوجه أولا إلى والديهم ومن ثم إلى قسيس الكنيسة. فمنذ تلك اللحظة توضع علاقتهما تحت رعاية الكنيسة. ولا يحسب شبابنا هذه الخطوة أنها عبء ثقيل مفروض عليهم، ولا يشعرون حتى أنهم تحت وصاية أحد، بل على العكس، فهم يحمدون الله ويشكرونه على إمكانية الحصول على الإرشاد والتوجيه في

هذا المجال الحساس لأن قلة الخبرة فيه والنجاسة الجنسية تسببان المآسي للكثيرين.

وبطبيعة الحال، فإن هذه الطريقة لا يمكن العمل بها إلا في طائفة أو جماعة تسودها المحبة والثقة، وعلى كل زوجين أن يَرتئِيا كيفية تطبيق هذا على موقفهما. وقد يكون من الصعب على قسم من الناس استيعاب الغرض من طلب الإرشاد والتوجيه. وقد ينفر آخرون من الفكرة كليّا. لكن مع ذلك فإن درس انفتاح المرء على من يثق فيهم، هو درس جدير بأنَّ ينال ما يستحقه من اهتمام.

لقد تقابل رَيّ Ray وخطيبته هِلين Helen في كنيستنا. ويحكي لنا رَيّ قصتهما فيقول:

في ليالي يوم السبت، وعندما لم أكن أعمل لساعات متأخرة في محل الملابس الشهير أرماني Armani Exchange، كنت أذهب إلى النوادي مع بعض الأصدقاء. أو ربما كنت أذهب إلى الشارع الثالث في مدينة سانتا مونيكا في ولاية كاليفورنيا (وهو مجمع سياحي من الأسواق والمطاعم وأماكن الترفيه القريب من المحيط الهادئ)، أو مجرد أقود سيارتي إلى منطقة الرصيف البحري (الممتد لمسافة معينة إلى البحر) للتسكع هناك. كان هذا المشهد نادرا ما يتغير، عدا البنات. ولم يكن لديّ لا علاقات جدية ولا سيئة – وإنما مجرد من تقاسمني دفع حساب المشروب في الحانات أو من ترقص معي في صالة الرقص. وأحيانا كنت أقابل من ظننتها أنها شخص متميز، ممن وددت رؤيته أكثر من مرة. وكنا نتبادل أرقام هواتفنا، ونرتب لعشاء وسينما. وكان كل شيء يبدو بريئا وهيّنا وعفويا إلى حد كبير.

فهذه كانت نظرتي إلى الأمور وقتذاك قبل ثلاثة سنوات قبل أن أبدأ بالتعرف على هِلين.

لقد نشأ كل منّا (أنا وهِلين) في الكنيسة نفسها. وقد تعرف أحدنا على الآخر في سن المراهقة، وبالرغم من أنه كان لدى كل منا مشاعر نحو الآخر، إلا إننا لم نكشف عن هذه المشاعر. وبعد الدراسة

الثانوية افترقنا. فاتجهت هي إلى المعهد، ومن بعدها عملت كمعلمة؛ أما أنا فهجرت الكنيسة وتوجهت إلى "العالم"، لكن بعد ستة أشهر من التقشف والعمل كمتطوع في دول أخرى، ومن ثم دراسة فصلين في الجامعة في شرق أمريكا، ومن ثم انشغالي لسنة في جنوب كاليفورنيا بالعمل ببعض المهن بدون أي هدف يُذكر في الحياة، حاصرني أخيرا الإحساس الذي كان يُناكِدني طويلا بأن حياتي أصبحت مهزلة. وكان عليّ الإقرار بما حاولت إنكاره لمدة طويلة – وهو أن فراغا هائلا وفتورا كانا يتقنعان وراء موقفي المتصلب الكاذب. ولم يتمكن أسلوب حياتي من إشباع شغف نفسي للتوبة، لأن مقابلاتي مع الآخرين، وبالأخص النساء، كانت سطحية في أفضل الأحوال. وغالبا كانت مدمرة.

وأدركتُ بوضوح أول مرة في حياتي حاجتي الماسة إلى القوة الشافية التي لا يقدر على منحها سوى السيد المسيح. وعرفت أنه لا يمكنني الحصول عليها من ذاتي وأنا أعيش مستقلا عن الكنيسة بل أحتاج إلى مساندة الآخرين ممن أثق فيهم. لذلك رجعت إلى البيت - إلى والديّ. وبعد اقتناعي بأنني مصمم على جعل الله تعالى محورا لحياتي، فقد عهدت نفسي للرب وللإخوة والأخوات في كنيستي.

عندئذ أخبرت والديّ وراعي كنيستي بمشاعري العاطفية نحو هِلين، فنصحوني أنَّ أدع الأمور تسير سيرا طبيعيا حتى يأتي الوقت المعين من الله. فكانوا يؤكدون على النقطة التالية ويقولون: "لو شاء الله هذه العلاقة، لحصلت، وما كان بمقدور أحد الوقوف كحجرة عثرة في طريقها"، لكنهم شجعوني على المباشرة والتحدث معها.

وفعلت كما قالوا لي. ولم يستغرق الأمر وقتا طويلا حتى أحسس كلانا بانبثاق شيء جديد بيننا. ولم يجرؤ أحد منا على تسميته "حب" في ذلك الوقت – لكنه كان فعلا حبا جديدا وثمينا للغاية. وبمرور الأسابيع والأشهر، شعرنا برابطة عميقة تنمو بيننا. كنا نقضي أوقات كثيرة معا، أحيانا بمصاحبة أسرة كل منا، وأحيانا لوحدنا وعلى مسؤوليتنا. كنا نتأمل مواضيع الإيمان، أو نقرأ الكتاب المقدس أو

نصلي، أو مجرد نجلس معا بهدوء. بعدئذ، وعندما اضطرني عملي إلى الانتقال إلى مكان آخر صار يكتب أحدنا الرسائل للآخر كل يوم تقريبا.

وبينما كانت صداقتنا تتوطد وتتعمق، زادت صراحتنا. لكننا تعلمنا أن الثقة تحتاج إلى وقت. ففي بداية الأمر، تكشّف لنا شيء وكأنه رؤيا إلهية صدمتنا عندما أدركنا أنَّ كل منا عنده نقائص. فقد آذى أحدنا الآخر، وأحيانا كنا حتى نتنكر للحب الذي أخذ يتشكل بيننا. ومع ذلك، كلما كان أحدنا يتقوقع في ضيق أفقه ويتعنّت مع الآخر، كان أهالينا ورعاة الكنيسة يمدون لنا يد المساعدة ويعملون على توجيهنا لنجتاز أزماتنا.

لاشك أن الإفضاء بمكنونات النفس وبطبيعة العلاقة الجارية إلى شخص آخر كان أحيانا أمرا مؤلما بل ومحرجا خصوصا عندما لا تسير الأمور بسلاسة. ولم تكن لنصائح أهالينا أو غيرهم من أفراد الكنيسة وقع حسن عندنا دائما. لكن بمجرد اكتشافنا القيمة العظيمة لوجود ناس جديرين بالثقة نأتمنهم أسرارنا، أدركنا أن الله كان يقدم لنا فرصة ذهبية لكي تُكشف علاقتنا على حقيقتها في بيئة مهيأة لتقديم المساندة والعون لنا.

والآن ومع اقتراب عرسنا أنا وهِلين، فنحمد الله ونشكره على مساعدة الآخرين لنا، الذين وجَّهونا إلى الرب يسوع المسيح. فمن دونهم لم نكن، على الأرجح، لا أنا ولا هِلين قد وجد أحدنا سبيله إلى قلب الآخر. لقد أدركنا أنه عندما تتعمّق علاقتنا بهذا الشكل وبدون الضغوط التي تفرضها أمور الجنس إنما هي نعمة نادرة ولاسيما في عصرنا هذا. ونعلم أيضا أن السيد المسيح سوف يظل مرشدنا مهما كان المستقبل يخبئ لنا.

توضح لنا قصة رَيّ وهِلين الأهمية الحيوية لكل اثنين يعتزمان الاقتران، في أن يأخذا قدرا كبيرا من الوقت ليصلا إلى معرفة أحدهما الآخر وجدانيا قبل أن يقدما أية التزامات بينهما. فعندما يسعى اثنان إلى الزواج، فمن الأولويات الأساسية التي يجب عليهما السعي من أجلها هي اكتشاف كل ما

هو إلهي ومقدس لدى الآخر. وهناك فيض من الفعاليات السليمة والمفيدة التي يتسنى لهما أداؤها لهذا الغرض: كالقراءة أو رحلات السير الطويلة أو تبادل الزيارات الأسرية أو الاشتراك معا في مشاريع الخدمة لمجتمعهما الكنسي ولمجتمع بلدهما. أما المراسلة بينهما، فهي وسيلة طيبة أيضا للتعرف على الطرفين بمستوى أسمى. على أنَّ المراسلة في بادئ الأمر يجب أن لا يتخللها أية التزامات أو عهود، بل كما من أخ لأخته أو العكس (أي أخوة بالمسيح). والسبب هو أن الكلام عن مشاعر غزل الحب العاطفي وانتماء أحدهما إلى الآخر يعمل عملا معاكسا ويخرّب ولا يعطي أساسا للمستقبل. لأن كلاما كهذا ليس له سوى التشويش على فطنة الإنسان التي يحتاجها للتمييز فيما إذا كان الالتزام المستقبلي هو مشيئة الله له أو لا.

وكنيستنا تشجع الشباب ليس على كتابة الرسائل بينهما فحسب بل أيضا على أن يخبرا والديهما أو رعاة كنيستهما برسائلهما. وقد يبدو مثل هذا الانفتاح مبالغ فيه إلا أنه بالحقيقة يسمح الدعم والارشاد ولا يجري الاستياء منه، ويخلق محبة عارمة بين جميع الأطراف. بالطبع لا يعني هذا أن رعاتنا الكنسيين يتحكمون في العلاقة أو يحددون نتائجها، وإنما هم يقدمون الزاد والدعم والإرشاد الروحي. ولا يسع المرء إلا أن يتعجب كم علاقة كان يمكن إنقاذها وإرشادها إلى الطريق السليم وتكليلها بالزواج، لو أن الشباب والشابات وفي كل مكان كان لديهم التواضع للتوجه إلى والديهم (أو إلى أي زوجين أكبر سنا منهم يثقان بهما) طلبا للنصح والإرشاد، حتى لو لم تكن بهذه الطريقة المحددة التي ذكرناها.

نقول مرة أخرى أن العلاقة السليمة لا يمكن الاستعجال بها. لأنها مثل الزهرة التي يجب إعطاءها الوقت المعين من الله لكي تتفتح، وليس بإجبارها على أمل الإزهار مبكرا. فإذا أردنا للزواج أن يدوم فعلينا بنيانه على أساس مبني بعناية مرهفة.

أكثر ما يهم في قرار الزواج هو مشيئة الله

إن الصدق أمر جوهري في كل علاقة حقيقية. فإذا لم يشعر كل من الشخصين بازدياد تقرّب أحدهما من الآخر، ومن الله، فيجب أن يكونا صريحين بشأن هذه العلاقة. وهنا يجب على الكنيسة أيضا أن تهتم اهتماما كافيا بأن تكون صادقة وصريحة مع أعضائها – لمساعدة الشخصين في التبصّر: هل أحدكما من نصيب الآخر أو لا؟ وأيضا التمعّن مليّا: هل تجني صداقتهم ثمارا صالحة؟ لاشك أنه حتى لو لم يُعطَ أي وعد، فإن إنهاء علاقة ما أمر مؤلم، لكن نهاية مؤلمة عند هذه المرحلة أفضل كثيرا من ألم لا نهاية له، في علاقة بلا جدوى.

ولا يكون أي اثنين من الشباب جاهزَين للخطوبة إلا في حالة واحدة وهي عندما يتأكد كل منهما على حدة وبعد وقت من الزمن أنَّ أحدهما فعلا ينتمي إلى الآخر لمدى الحياة، في ظل نصائح الأهل ورعاة الكنيسة. ولا يكونان جاهزين فعلا لعقد رباط دائم للحياة ما لم يشعرا بأعماق قلبيهما أنَّ الشريك الآخر هو من نصيبهما، وأنَّ الله سبحانه تعالى وحده هو الذي يجمعهما.

فإذا تمَّت الخطوبة، فسوف يريد كل خطيب وخطيبة المشاركة التامة في حبهما والتعبير عنه بنشاط في الأخذ والعطاء. وينوي قلبيهما على جعل الآخر سعيد وراضٍ على أكبر قدر ممكن، وهما على استعداد لعمل أي شيء لتحقيق هذا الأمر. لكن يجب على الخطيبين أن يدركا وأكثر من ذي قبل أن قوة الحب أقوى بكثير منهما شخصيا، ويتعين عليهما التضرع لله يوميا ليقويهما، وليحافظا على ضبط أنفسهما.

أما العناق الطويل والمداعبة وتقبيل الأفواه فلابد من تجنبها، بالإضافة إلى وجوب تجنب كل شيء آخر قد يؤدي إلى التهيج الجنسي. فالرغبة في الاقتراب الجسدي بين خطيبين أمر طبيعي، لكن بدلا من أن يحوما حول هذه الرغبة، فالأجدر بالخطيبين تركيز جهديهما في الشروع في معرفة أحدهما الآخر وتعميق مودتهما على المستوى الروحي، وفي تنمية محبتهما ليسوع ولمجتمع الكنيسة.

عندما يبدأ اثنين في التعرف أحدهما على الآخر، فإن سيطرة المشاعر الجنسية تمنع تطور العلاقة على أساس سليم. وبمجرد ظهور الجنس على المسرح فأنه يسرق المشهد. ثم إنّ طبيعة الإثارة الجنسية هي الاستفحال والتزايد التدريجي؛ فبمجرد أن يبدأ المرء فلا يرضى بالتراجع أبدا. وعندما يُهيّج شخصين أحدهما الآخر جنسيا، فإنهما يتورطان في نوع من أنواع المقدمات التي تسبق الجماع. وسواء اعترفا بذلك أو لم يعترفا، فإنهما يعدان أنفسهما نفسيا وجسديا للاتصال الجنسي. عندئذ سيكون أمامهما خيارين فقط: إما إكمال السير في هذا الطريق إلى نهايته، أو أن يتوقفا عند تلك النقطة والتخبط بإحباط المشاعر الناتج عن عدم الاستمرار في الإثارة إلى درجة الإشباع. فلا يمكن للرغبات المشتعلة في داخلهما أن تَشبع دون اقتراف خطيئة. وعليه، فإن الذهاب إلى منتصف الطريق أمر ضار ومؤذ؛ لأنه يتعارض مع بناء حرمة زوجية عزيزة ودائمة.

والزواج الذي يبدأ بضمير مثقل بخطيئة غير معترف بها هو زواج يقام على أساس غير رصين، ولا يمكن تصحيحه إلا بالاعتراف بالخطيئة والتوبة. لأن سلامة الزواج تتوقف على نوع التربة التي ينمو فيها. فإذا زُرِعَ في تربة العفاف والإيمان، فسوف يحمل ثمرا صالحا وينال بركة الله.

أيها الأعزاء، حاولا فهم الروح وليس الحرف من الذي أكتبه. وليسعى كل منكما إلى فهم ما في أعماق قلب الآخر، وتوجّها إلى السيد المسيح بثقة مطلقة لالتماس الأجوبة لجميع تساؤلاتكما. فلن يفشل السيد المسيح في إرشادكما إرشادا واضحا أبدا.

الفصل الرابع عشر

الخدمة التي يقدمها العزاب

فقالَ لَه تلاميذُهُ: "إذا كانَت هذِهِ حالُ الرَّجُلِ معَ المرأةِ، فخَيرٌ لَه أنْ لا يتَزوَّجَ". فأجابَهُم يَسوعُ: "لا يَقبلُ هذا الكلامَ إلاَّ الّذينَ أُعطِيَ لهُم أن يَقبَلوهُ. ففي النّاسِ مَنْ ولَدَتْهُم أُمَّهاتُهُم عاجِزينَ عَنِ الزَّواجِ، وفيهِم مَنْ جَعلَهُمُ النّاسُ هكذا، وفيهِم مَنْ لا يَتزَوَّجونَ مِنْ أجلِ مَلكوتِ السَّماواتِ. فمَنْ قدِرَ أنْ يَقبَل فليَقبَلْ".

متى 19: 10-12

نعمة الوحدة والوئام سواء كانت مع الآخرين أو مع الله، لا تتوقف بأية حال من الأحوال على الزواج. وفي الحقيقة فأن العهد الجديد (أي الإنجيل) يعلّم بأنه يمكن الحصول على تكريس أعمق للسيد المسيح بالتخلي عن الزواج في سبيل ملكوت الله. وقد أعطى الرب يسوع وعدا عظيما للذين يتخلون عن كل شيء في سبيله، بما في ذلك هبة الزواج: فهو سيكون قريبا منهم بصفة خاصة عند رجوعه، مثلما يشهد الإنجيل:

ونَظَرتُ فرَأيتُ حَمَلاً على جَبَلِ صِهيونَ ومعَهُ مِئةٌ وأربَعةٌ وأربعونَ ألفًا ظَهَرَ اسمُهُ واسمُ أبيهِ مَكتوباً على جِباهِهِم، وسَمِعتُ صَوتًا مِنَ السَّماءِ

مِثلَ هَديرِ المِياهِ الغَزيرَةِ أو دَويِّ الرَّعدِ الهائِلِ، وكأنَّما هوَ أنغامٌ يعزِفُها لاعِبونَ بِالقيثارَةِ، وهُم يُرنِّمونَ تَرنيمَةً جَديدةً أمامَ العَرشِ وأمامَ الكائناتِ الحيَّةِ الأربَعَةِ وأمامَ الشُّيوخِ، وما مِنْ أحَدٍ يَقدِرُ أنْ يتَعَلَّمَ التَّرنيمَةَ إلاَّ المِئةُ والأربعةُ والأربعونَ ألفًا المُفتَدونَ مِنَ الأرضِ. هَؤُلاءِ هُمُ الّذينَ ما تَدَنَّسوا بِالنِّساءِ، فهُم أبكارٌ. هَؤُلاءِ هُمُ الّذينَ يَتبَعونَ الحَمَلَ أينما سارَ، والّذينَ تَمَّ افتِداؤُهُم مِنْ بَينِ البَشَرِ باكورَةً للهِ والحَمَلِ. ما نَطَقَ لِسانُهُم بِالكذِبِ، ولا عَيبَ فيهِم. (رؤيا 14: 1-5).

والعزوبة سواء كانت بسبب هجران الشريك أو وفاته أو غياب فرص سانحة للزواج، فيمكن من خلالها الحصول على دعوة إلهية أعظم بكثير من الزواج، لو قَبِلَ العزاب فردانيتهم في أعماق قلوبهم. فبوسعهم تكريس حياتهم بطريقة خاصة للخدمة القلبية الكاملة في سبيل ملكوت الله.

أن تحيا الحياة بمعنى الكلمة هو أن تحيا للمسيح

ينبغي على كل رجل أو امرأة على وجه الأرض ممن يريد إتباع المسيح أن يكون قد تغيّر تغيّرا كاملا بواسطته. ويتخذ هذا التحدي معنى أعمق للعزاب – مهما كان سبب عزوبتهم – وأيضا للذين يتحملون عزوبتهم في سبيل المسيح. وسيحصل شخص كهذا على علاقة متميزة مع الرب.

إن الحياة التي يعيشها الإنسان في سبيل المسيح هي حياة بمعناها الكامل،

لا يَجيءُ السّارِقُ إلاَّ ليَسرِقَ ويَقتُلَ ويَهدِمَ. أمَّا أنا فجِئْتُ لِتكونَ لهُمُ الحياةُ، بل مِلءُ الحياةِ. (يوحنا 10: 10).

ويجب علينا نحن المسيحيين أن لا ننسى ذلك أبدا؛ فهي أسمى دعوة إلهية لنا. فإذا كنا نحب المسيح العريس حقا من كل قلوبنا، فسوف ننغمر فيه تماما كما ننغمر في مياه المعمودية. وإذا كنا نحيا في المسيح، فإن محبتنا

له سوف ترشد محبتنا الشريفة لإخوتنا وأخواتنا المسيحيين ولجميع الذين حولنا.

إن قصة فرنسيس الأسيزي Francis of Assisi وصداقته مع الأخت كلير Clare تبيّن بشكل رائع أهمية وعظمة المحبة الأخوية في المسيح – حتى لو لم تؤدِ الى زواج. وعندما هجره جميع الإخوة والأصدقاء، التجأ الى كلير. وفيها وجد الصديق الذي أمكنه الاعتماد عليه. وظلت كلير على وفائها له حتى بعد وفاته، واستمرَّت تحمل رسالته، برغم ما لقيته من معارضة. نرى هنا علاقة لا شأن لها بالزواج، لكنها ظلت حميمة بصدق – وهي علاقة صداقة ذات عفاف حقيقي ووحدة حقيقية في الله.

وسوف يبقى هناك رجال ونساء مثل كلير وفرنسيس اللذين بقيا بلا زواج في سبيل المسيح. ومع ذلك، علينا أن ندرك أن العطية الخاصة بعلاقة مثل هذه لا توهب للجميع:

> وَإِنَّمَا الآنَ أَقُولُ هَذَا عَلَى سَبِيلِ النُّصْحِ لاَ الأَمْرِ؛ فَأَنَا أَتَمَنَّى أَنْ يَكُونَ جَمِيعُ النَّاسِ مِثْلِي. غَيْرَ أَنَّ لِكُلِّ إِنْسَانٍ مَوْهِبَةً خَاصَّةً بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ: فَبَعْضُهُمْ عَلَى الْحَالِ وَبَعْضُهُمْ عَلَى تِلْكَ. (1 كورنثوس 7: 6-7)

لكن لا يختلف معظم الناس العزاب عن غيرهم من المتزوجين في مسألة الصراع الروحي من أجل العفاف. ذلك أن العزوبة ليست ضمانا ضد النجاسة الجنسية – لأن العفاف يتطلب يقظة مستمرة في كل قلب، ويتطلب معركة روحية يومية ضد الجسد، وموقفا حازما بوجه الخطيئة.

يسوع قادر على مَلءِ كل فراغ إذا سمحنا له بذلك

لم تعِدنا الكتب المقدسة مطلقا بأن تجارب إبليس ستزول عنا. لكن لدينا فعلا تأكيد في الإنجيل على أنه ليس من الضروري أن يكون لها القابلية على التغلب علينا:

ما أصابَتكُم تَجرِبَةٌ فوقَ طاقةِ الإنسانِ، لأنَّ اللهَ صادِقٌ فلا يُكَلِّفُكُم مِنَ التَّجارِبِ غَيرَ ما تَقدِرونَ علَيهِ، بَلْ يهَبُكُم معَ التَّجرِبَةِ وَسيلَةَ النَّجاةِ مِنها والقُدرَةَ على احتِمالِها. (1 كورنثوس 10: 13).

فلو ثبتنا بصبر وأمانة فسوف يعيننا الله. ولا نقصد هنا بأنه يمكننا حفظ أنفسنا بعفاف بفضل مجهودنا البشري. لأنه لا يمكننا الحصول على التحرّر والنصرة إلا بفضل قوة الروح القدس، ومن خلال مساعدة الأصدقاء الغيورين ومساعدة أفراد الأسرة.

يا إخوَتي، إنْ وقَعَ أحَدُكُم في خَطإٍ، فأقيموهُ أنتُمُ الرُّوحيِّينَ بِرُوحِ الوَداعَةِ. وانتَبِهْ لِنَفسِكَ لِئَلاَّ تَتَعَرَّضَ أنتَ أيضًا لِلتَّجرِبَةِ. ساعِدوا بَعضُكُم بَعضًا في حَملِ أثقالِكُم، وبِهذا تُتمِّمونَ العمَلَ بِشريعَةِ المَسيحِ. (غلاطية 6: 1-2).

أما الذين لا يجدون شريكا للزواج، وفي الوقت نفسه لا يحسون بأية دعوة إلهية خاصة للبقاء في عزوبة من أجل المسيح، فهناك خطر وقوعهم في فخ مرارة الاستياء والاغتياظ. فلو بقي الحنين الشديد للزواج بلا تحقيق، ولاسيما لوقت طويل، فيمكن أن يقسّي القلب. عندئذ ليس هناك غير نعمة الله القادرة على حماية النفس وتمكّنها من مواصلة مسيرتها بفرح بالتخلي عن الزواج والحصول على سلام الروح في آن واحد.

سنثيا Cynthia وهي امرأة عازبة في عمر الأربعينيات، تقدم لنا رؤيتها عن كيفية تجنب حياة الفراغ والحصول على سعادة دائمة:

"يا ترى هل سأظل بتولا الى نهاية عمري؟" فالكثير منا يجب أن يواجه هذه الحقيقة، لكن لماذا؟ - لأننا أخترنا أن نكرس حياتنا لله أولا. فالله يحتاج الى أدوات ليست مقيدة بأسرة لكي تخدمه. لكن هل يعني هذا سعادة أقل، أو توقفا عن النمو أو انسحابا من الاتصال الكامل بالحياة؟ كلا، فهذا لا يحصل إذا كان الفرد قادرا على احتضان خطة الله لحياته بدلا من أن يثور عليها. وفي الحقيقة، فإن حياة من الخدمة

المتفانية تنتظر أولئك الذين يضحون أو يرفضون الزواج ليرهنوا حياتهم لله ويبقوها تحت تصرفه كليا.

لنتأمل حياة بعض العزاب أمثال الكاتبة إيمي كارمايكل Amy Carmichael التي سافرت الى الهند كمُرسلة شابة، ولم تعرف أي نوع من الخدمة التي كان الله يريد منها. وسرعان ما صار لها ميتم يتزايد عدده، وقوامه كان من الأطفال الذين تم انقاذهم من عبودية حقيقية ومن براثن كهنة المعابد الهندوسية. أو لنتأمل الأم تيريزا التي أسست نظام رهبنة للأخوات لرعاية أفقر الفقراء في كلكتا في الهند. وقد انتشرت رهبنتها في كافة أنحاء العالم. أو لنتأمل الرسول بولس وغيره من الرسل الذين عاشوا حياة العزوبة، فقد كانت لديهم إمكانية السفر المتواصل لنشر بشرى الإنجيل.

بطبيعة الحال، أنت لست بحاجة إلى أن تصبح مرسل أو راهب أو رسول للحصول على السعادة في حياة العزوبة. فأنا شخصيا، كان من الممكن أن أشعر بمرارة الاستياء وخيبة الأمل لأني لم أتزوج، لكن بدلا من ذلك وجدت فرصا وفيرة لخدمة الآخرين على الصعيد اليومي وأينما كنت.

فأنا أزور نزلاء السجن المحلي كل أسبوع تقريبا. وفي زيارتي الأخيرة وجدت النساء متحمسات لقراءة وتأمل الكتاب المقدس، فقرأنا قصة السامري الصالح وتحدثنا عن تطبيقاتها اليومية. وبعد مناقشة عمن تقدر أو لا تقدر أن ترنم، اشتركنا جميعنا في ترنيم الترانيم الروحية لزنوج أمريكا والتراتيل الكنسية مثل "الرب الغالي Precious Lord" و "النعمة المدهشة Amazing Grace".

ولا داعي إلى أن أذكر أنه ليس كل مساء كان مُرضيًا بهذه الطريقة. فالشعور بالوحدانية يمكن الإحساس به كواقع ملموس في حياة أي شخص عازب. وقد يقع من جرائها في فخ الإشفاق الكئيب على الذات، لكنه مثل أية تجربة أخرى من تجارب إبليس، حيث يمكننا رفضها. وتنصحنا الكاتبة المسيحية اليزابيث اليوت Elisabeth Elliot في كتابها

"العاطفة والعفاف Passion and Purity"، فتقول: "اِقبلي وحدانيتكِ. فهي مرحلة واحدة، وما هي سوى مرحلة واحدة على طريق الرحلة التي تحضرك الى الله. وهي لا تدوم دائما. قدمي وحدتك كقربان إلى الله، مثلما قدم الصبي الصغير الأرغفة الخمسة والسمكتين إلى يسوع. لأن الله قادر على تحويلها الى ما هو صالح للآخرين. وأهم من كل شيء، افعلي أي شيء لغيرك!"

وهنا نجد الحل لهذه المشكلة: وهو الخدمة المقدمة الى الآخرين. فالخدمة مهما كان نوعها يمكنها أن تؤدي الى حياة سعيدة يرتاح لها الضمير سواء كانت تعليما أو تمريضا أو تقديم النصح والمشورة أو زيارة المسجونين. وهناك فيض كبير من المتألمين في العالم في حاجة ماسة الى لمسة إضافية من أعمال المحبة، ونحن العزاب أحرار بطريقة فريدة لتولّي مهمة خدمتهم.

أن عملية نكران الأمنيات الشخصية ليست سهلة أبدا، وأحيانا تلقي عبئا ثقيلا للغاية على الشخص. لكن عندما يتنازل العزاب عن أمنياتهم وأحلامهم كليا في سبيل الله، فسوف يملأ الرب يسوع الفراغ الذي قد يشكل عبئا عليهم. لأنهم سوف يتذكرون كيف اختتم يسوع المسيح حياته على الصليب وسوف يجدون عندئذ سرورا في تحمل العزوبة كقربان له. أما الذين يستمرون في اشتياقهم الى الزواج، بالرغم من أن الله لم يهبه لهم، فلا يمكنهم الحصول على هذا السرور أبدا. إن الزواج نعمة عظيمة، لكن الانتماء كليا للمسيح وبقلوب غير منقسمة هي نعمة أعظم.

في نهاية المطاف، علينا أجمعين أن نكون على أهبة الاستعداد ليستعملنا الله كيفما يشاء وأن يكون لنا قناعة ورضا في كل حال نكون فيها، كما يعلمنا الإنجيل:

ولا أقولُ هذا عَنْ حاجَةٍ، لأنّي تَعَلَّمتُ أنْ أقنَعَ بِما أنا علَيهِ. فأنا أَعرِفُ أنْ أعيشَ في الضِّيقَةِ، كما أعرِفُ أنْ أعيشَ في السَّعةِ، وفي جميعِ

الظُّروفِ اختَبَرتُ الشَّبَعَ والجوعَ، والفَرَجَ والضِّيقَ، وأنا قادِرٌ على تَحمُّلِ كُلِّ شيءٍ بِالّذي يُقوّيني. (فيليبي 4: 11-13).

يجب أن لا نظنّ أبدا أن الله لا يحبنا. فمثل هذا الظنّ هو من الشيطان.

مما لاشك فيه، أنه بغض النظر عن مقدار التكريس الذي يقدمه العازب، فهو (أو هي) سوف يظل يختبر لحظات وأيام بل حتى أسابيع من الحزن والصراع الروحي. لأن إدراك الشخص بأن كل من الزواج والأولاد صاروا بعيدي المنال يجلب معه دائما غصة الشوق وطابعا من الشعور بالخسارة. لكن بدلا من المكوث في هذه المشاعر، فمن الأفضل (حتى لو كان أصعب) التطلع الى الله والالتفات الى الإخوة والأخوات في الكنيسة. يكتب بونهوفر Bonhoeffer (وهو القسيس الألماني المعروف الذي سجنه هتلر في الثلاثينيات من القرن الماضي) فيقول:

إن الألم هو ملاك مقدس، وهو يرينا الكنوز التي لولاه لظلت مدفونة الى الأبد؛ فبفضله أصبح كثير من الرجال والنساء أعظم مما لو كانوا قد مرّوا بكل أفراح العالم. فلابد أن يكون الأمر هكذا، وهذا ما أُذكِّر به نفسي باستمرار ولاسيما وأنا في ظروفي الحالية. فمن الضروري أن يبقى ألم المعاناة وألم الحنين موجودين اللذين يمكن الإحساس بهما غالبا حتى جسديا، ولا يمكننا بل ولسنا في حاجة الى تلطيفه بالكلام. لكننا نحتاج الى أن ننتصر عليه في كل مرة، وبالتالي فهناك حتى ملاك أكثر قداسة من ملاك الألم؛ ألا وهو ملاك البهجة بالله.[24]

يمكن تقبّل العزوبة إما كعبء أو كدعوة سامية

ينبغي على العازبين والعازبات أن لا يقعوا في فخ القطيعة مع الناس وإبعاد أنفسهم عن الحياة وعن محبة الناس بسبب مرارة الاستياء. وعليهم أن لا يخنقوا أطيب الخصال في نفوسهم، ولا يستسلموا للأحلام أو الشهوات التي لا يمكن إشباعها. ويجب عليهم أن لا يدعوا الأوهام والتخيّلات التي

تدور حول الذات أن تعيق كل ما وهبه الله لهم من أن يزهر في حياتهم. فلو أمكنهم أن يقبلوا عزوبتهم كنعمة إلهية أو كدعوة إلهية متميزة، لما سمحوا لأي قدر من طاقتهم أو محبتهم أن يضيع سدى من دون أن يستعملوه. فستشبع أشواقهم بالعطاء: وبسيول المحبة التي تجري بعيدا عن ذواتهم، وباتجاه السيد المسيح والكنيسة. كما يقول الرسول بولس:

غَيرُ المُتَزوِّجِ يَهتمُّ بأمورِ الرَّبِّ وكيفَ يُرضي الرَّبَّ، والمُتَزَوِّجُ يَهتَمُّ بأمورِ العالَمِ وكيفَ يُرضي امرأتَهُ، فهوَ مُنقَسِمٌ. وكذلِكَ العَذراءُ والمرأةُ الّتي لا زَوجَ لها تَهتَمّانِ بأُمورِ الرَّبِّ وكيفَ تَنالانِ القَداسَةَ جسَدًا ورُوحًا، وأمَّا المُتَزوِّجةُ فتَهتَمُّ بأُمورِ العالَمِ وكيفَ تُرضي زَوجَها. أقولُ هذا لِخَيرِكُم، لا لأُلقيَ علَيكُم قَيدًا، بَلْ لِتَعمَلوا ما هوَ لائِقٌ وتَخدُموا الرَّبَّ مِنْ دونِ ارتباكٍ. (1 كورنثوس 7: 32-35).

وفي الرسالة نفسها وفي آية سابقة، يشير الرسول بولس الى بركة أخرى للعزوبة: وهي التحرر من الرعاية والقلق على الزوج أو الزوجة والأطفال، خصوصا في أوقات الضيق. فيقول:

وإذا تَزَوَّجْتَ فأنتَ لا تُخطِئُ، ولكِنَّ الّذينَ يَتَزوَّجونَ يَجدِونَ مَشقَّةً في هُمومِ الحياةِ، وأنا أُريدُ أن أُبعِدَها عَنكُم (1 كورنثوس 7: 28).

والأرامل شأنهن في ذلك شأن غير المتزوجات، فإنهن قادرات أيضا على خدمة الكنيسة والمحتاجين في أحيان لا يسع للمتزوجة فعلها. ويقول بولس الرسول:

أمَّا الأرمَلَةُ حَقّاً، وهِيَ الّتي لا مُعيلَ لها، فرَجاؤها على اللهِ، تُصَلّي وتَتضَرَّعُ إلَيهِ ليلاً ونهارًا. (1 تيموثاوس 5: 5).

وفي الكنيسة الأولية في أورشليم، عُينت الأرامل لخدمة الفقراء أو عهدت إليهن بمسؤوليات أخرى، مثلما هو مدون في أحد كتابات المسيحيين الأوائل:

ينبغي على المشرف حتى في أصغر مجتمع من مجتمعات الكنيسة أن يكون رفيقا للفقراء، ولابد أن يكون هناك أرملة واحدة على الأقل لتتحمل مسؤولية التأكُّد – ليلا ونهارا – من أنه لا يوجد شخص مريض أو محتاج قد تمّ إهماله.[25]

لكن يا له من أمر محزن عندما نرى اليوم أن الأرامل والعزاب من رجال ونساء، هم في حد ذاتهم مهمَلين ووحيدين في أكثر الأوقات! ولعل الكنيسة تكون دائما على استعداد لتلبية حاجات مثل هؤلاء الناس:

فإذا تألَّمَ عُضوٌ تألَّمَت معَهُ جميعُ الأعضاءِ، وإذا أُكرِمَ عُضوٌ فَرِحَتْ معَهُ سائِرُ الأعضاءِ. (1 كورنثوس 12: 26).

ويجب علينا الآن لاسيما في ظل انهيار الأسرة وتفككها أن نجد وسائلا جديدة لكي نظهر للعزاب والأرامل في مجتمع الكنيسة محبة وعناية إضافية وأن نفتح أبواب أسرنا لكي تحتضنهم وتضمّهم إليها لكي لا يبقون وحيدين بدون أسرة ينتمون إليها، بالإضافة إلى ضرورة جعلهم ينخرطون في فعاليات الأسرة والكنيسة بشكل فعال ومؤثر. ولا يعني هذا الضغط عليهم لإيجاد شريك حياة، ثم نرثي لهم إذا لم يجدوه – فهذا لن يؤدي إلا الى زيادة آلامهم. لكن اظهار المحبة لهم يعني الترحيب بمواهبهم وخدماتهم في مجتمع الكنيسة، وتسليمهم مهام مفيدة، وشدّ عزائمهم الى الحياة الروحية للكنيسة لكي يحسوا بسعادة الروح.

كلنا مدعوون إلى المحبة مهما كانت أحوالنا الشخصية

ينبغي علينا نحن المتزوجين أن ندرك أن سعادتنا هي نعمة إلهية مجانية التي يجب أن نقاسم الآخرين بها. لذلك علينا أن نتشوّق إلى إبداء المحبة لمن يصارع مع مشاعر الوحدة والعزلة. وأهم من كل شيء هو أنه ينبغي علينا أجمعين، سواء كنا متزوجين أو عزاب، أن نتذكّر أن فرح روحنا الحقيقي ورضا النفس نحصل عليهما عن طريق خدمة بعضنا لبعض

بروحية المؤازرة والتآخي والمجتمع الأخوي. فنحن مدعوون الى محبة تعطي بلا قيد أو شرط - وليس الى محبة بخيلة يتصف بها زواج مريح، ولا الى محبة منغمسة بالإشفاق على الذّات التي يعزل الإنسان فيها نفسه عن الآخرين.

ونحن كمسيحيين، نعلم أن المحبة الحقيقية في أكمل صورها وُجِدت في يسوع. وكثيرون منا تأثروا بالسيد المسيح أو دعاهم أو سخرهم. لكن هذا لا يكفي. فعلى كل فرد منا التضرع لله لاختبار المسيح شخصيا - وفي أعماق قلوبنا. وعلينا أن نضعه نصب أعيننا، وننظر إليه وحده، لكي نتمكن من رؤيته على حقيقته، ولكي لا يأخذنا الإعياء وتهبط عزيمتنا ومعنوياتنا:

ناظِرينَ إلى رَأسِ إيمانِنا ومُكَمِّلِهِ، يَسوعَ الّذي تَحَمَّلَ الصَّليبَ مُستَخِفّاً بِالعارِ، مِنْ أجلِ الفَرَحِ الّذي يَنتَظِرُهُ، فجَلَسَ عنْ يَمينِ عَرشِ اللهِ. فكِّروا في هذا الّذي احتَمَلَ مِنَ الخاطِئينَ مِثلَ هذِهِ العَداوَةِ لِئَلاَّ تَيأَسوا وتَضعُفَ نُفوسُكُم. (عبرانيين 12: 2-3).

إن الحياة أمدها قصير على الأرض، كما يحذرنا الرسول بولس من أن العالم في هيئته الحاضرة زائل:

أقولُ لكُم، أيُّها الإخوةُ، إنَّ الزَّمانَ يَقصُرُ. فلْيكُنِ الّذينَ لهُم نِساءٌ كأنَّ لا نِساءَ لهُم، والّذينَ يَبكونَ كأنَّهُم لا يَبكونَ، والّذينَ يَفرَحونَ كأنَّهُم لا يَفرَحونَ، والّذينَ يَشتَرونَ كأنَّهُم لا يَملِكونَ، والّذينَ يَتعاطَوْنَ أُمورَ هذا العالَمِ كأنَّهُم لا يَتعاطَوْنَ، لأنَّ صورَةَ هذا العالَمِ في زَوالٍ. (1 كورنثوس 7: 29-31).

فالذي نحن في أمس الحاجة إليه في وقتنا هذا هو السيد المسيح، ولكن ليس كمجرد مرشد أو صورة أمام أعيننا. فيجب علينا أن نجعل منه قوة حيّة في حياتنا اليومية. فقد قال:

جِئْتُ لأُلْقِيَ نَاراً عَلَى الأَرْضِ، وَكمْ أتمنَّى أنّ تَكونَ إشتَعلتْ! (لوقا 12: 49).

فأين هو المكان الذي يتجلّى فيه المسيح على حقيقته بأوضح تجلٍ، كما كان وكما سيبقى؟ فيجب علينا البحث عنه مع إخوتنا وأخواتنا المسيحيين. ويجب علينا أن نتضرع لكي يتجلّى المسيح في وسطنا اليوم وكل يوم. بالإضافة إلى أنه يجب علينا أن نصلي من أجل الجُرأة للشهادة عنه أمام الآخرين كما هو على حقيقته، الذي فيه رقة ووداعة وتواضع، لكن أيضا حقّ ووضوح وعدم مساومة. يجب علينا أن لا نضيف أو نحذف أي شيء. ذلك هو جوهر فضيلة القلب الموحد (غير المجزأ) وجوهر الخدمة التي يقدمها العزاب.

الجزء الثالث:

رُوحُ البَاطِلِ الَّذِي يَعِيشُهُ عَصْرُنا

هل نريد أن نعيش مع الله أو بدونه؟

فاقتَدوا باللهِ كأبناءٍ أحبّاءَ، وسِيروا في المَحبَّةِ سِيرَةَ المَسيحِ الّذي أحَبَّنا وضَحَّى بِنَفسِهِ مِنْ أجلِنا قُربانًا وذَبيحَةً للهِ طَيِّبةَ الرّائِحَةِ. أمَّا الزِّنى والفِسْقُ والفجورُ على أنواعِها فلا يَليقُ بالقِدّيسينَ حتّى ذِكرُ أسمائِها. لا سَفاهَةَ ولا سَخافَةَ ولا هَزلَ، فهذا لا يَليقُ بِكُم، بَلِ التَّسبيحُ بِحَمدِ اللهِ. فأنتُم تَعلَمونَ أنَّ الزّاني والفاسِقَ والفاجِرَ، وهوَ عابِدُ أَوثانٍ، لا ميراثَ لَه في مَلكوتِ المَسيحِ واللهِ. لا يَخدَعْكُم أحدٌ بِالكلامِ الباطِلِ، لأنَّ ذلِكَ يُسبِّبُ غَضَبَ اللهِ على أبناءِ المَعصيَةِ.

أفسس 5: 1-6

من خلال أسفار الكتاب المقدس أن عهد الله مع شعبه ووحدة السيد المسيح مع كنيسته المقدسة يجري تشبيههما بوحدة العلاقة الزوجية. لكننا نجد في حضارتنا الحالية أن الزواج - الذي يفترض به أن يكون بحد ذاته الشيء الوحيد الذي يجب تكريمه والإحتفاء به، مثله في ذلك مثل الحب – نجده قد هُوجم، وألقي به في الوحل، ودمرته أرواح الزنى وعدم التوقير.

الحب في نظر الكثيرين اليوم

ما هو إلا وهم خادع

إن تدنيس الحب هو أحد المآسي الكبرى في عصرنا. وأخذ مفهوم زائغ عن الحب ينتشر ومفاده أن الحب هو ليس أكثر من مجرد شهوة أنانية، ثم إن إشباع هذه الشهوة صار يُحتسب سعادة. ويتحدث الناس عن التحرر الجنسي لكنهم باقون في شرك العبودية لشهواتهم الجنسية؛ ويتحدثون عن الحب الحقيقي لكنهم يعيشون في قطيعة مع الآخرين بسبب انشغالهم بذواتهم. إن عصرنا هو عصر اِنعدام الحب: فقد تفككت العلاقات وانقبضت القلوب في كل مكان، ونُبذت حياة الملايين من البشر بالإجهاض حتى قبل أن تبدأ، وقد أسيء معاملة الآلاف من الأطفال أو تم التخلي عنهم، وزاد الخوف وعدم الثقة حتى في العلاقات الزوجية التي كانت تعتبر سليمة. وانحطَّت قيمة الحب الى درجة جنس دنيء. فبسبب كل هذا، لم يعد الحب عند الكثيرين سوى وهم خادع – وهو مجرد علاقة حميمة يعيشها اثنان لفترة قصيرة الأمد يتبعها فراغ ينخر في النفس وعذاب.

فكيف يمكننا إذن إعادة اكتشاف المعنى الحقيقي للحب؟ هناك أشياء كثيرة في عالم اليوم تزيل قناعتنا بالحب الدائم وغير المشروط. والكثير مما يتعلق بال"حب" في هذه الأيام تراه يدور في الحقيقة حول الإثارة الجنسية والولع بالشهوة الجنسية. إننا نعيش في مجتمع مهووس جنسيا، ومجنون جنسيا، ورائحته النتنة نراها تفوح من كل شيء - سواء كان من وسائل الدعاية أو من الكتب والمجلات أو من الموضة والأزياء أو من أماكن اللهو والمتعة. وصار الزواج الضحية الأولى؛ فقد تدنّى شأنه الى درجة أنه فقد معناه الحقيقي.

وبالطبع، لا يمكن لأي شخص صريح مع نفسه أن ينحى باللائمة في كل هذا على وسائل الإعلام فقط، أو على بعض القوى الغامضة في المجتمع. طبعا لا نستطيع أن ننكر أن وسائل الإعلام قد أثرت في إرباك وتشويش آلاف الناس وقسَّت قلوبهم. لكن المسؤولية تقع علينا نحن – على كل واحد منا – نحن الذين قد تلوثت نفوسنا بآثام شهوتنا الجنسية،

نحن الذين قد تفككت علاقاتنا الزوجية، وانحرف أولادنا. فلا يمكننا تجاهل تصرفاتنا السيئة؛ بل يجب أن نتحمل مسؤولية أفعالنا عند كل مرة كنا قد قبلنا فيها روح الفحشاء وسمحنا للشر بالدخول الى قلوبنا. لقد سخرنا من صورة الله وشوهناها وفصلنا أنفسنا عن خالقنا. ويجب أن نتعظ من هذا لنعاود الإصغاء الى صراخ أعماق قلوبنا لنتوب ونرجع الى الله.

لقد مرت أكثر من ثلاثين سنة على بداية الثورة الجنسية، ولابد أن تكون آثارها المدمرة واضحة للعيان لكل إنسان: فهناك الإباحية الجنسية الواسعة الانتشار (أي تعدد الشركاء)؛ والمعدلات المرتفعة من حالات الحمل عند المراهقات؛ وتزايد حالات الانتحار؛ وعشرات الملايين من حالات الإجهاض؛ وتفشي الأمراض الجنسية المعدية؛ وتآكل الأسرة والحياة البيتية للأسرة؛ ونشوء جيل جديد عنيف:

هُم يَزرَعونَ الرّيحَ ويَحصُدونَ العاصِفةَ، فلا قِيامَ لهُم. هُم سُنبُلٌ لا يُخرِج قمحًا، وإنْ أخرَج اَبتَلَعَهُ الأجنَبيُّ. (هوشع 8: 7).

أن عصرنا يقوم بتهويل أهمية الجنس بشكل فظيع. ويجري المبالغة التامة بمغزاه بصورة مريضة غير سليمة سواء كان في أكشاك الجرائد والمجلات أو في الدكاكين الصغيرة أو على رفوف السوبر ماركت والمراكز التجارية. فالحب بين الرجل والمرأة لم يعد ينظر إليه كشيء مقدس أو نبيل؛ فصار مجرد سلعة يُنظر إليه بمعنى حيواني كنزوة غير منضبطة لابد من إشباعها.

ثم إن التثقيف الجنسي الحديث، الذي صار أداة من أدوات الثورة الجنسية، هو المسؤول عن هذا كله أكثر من غيره. فكان من المفترض أن يجلب التثقيف الجنسي لنا تحرّرا ومواقفا مستنيرة شريفة ومسؤولية والتزاما وأمانا. لكن أليس واضحا الآن أنه قد فشل فشلا ذريعا؟ ألا نرى الآن أن الثقافة هي ليست وقاية مضمونة، وأن التثقيف الجنسي كما

يدرّس في أغلب المدارس لم يعمل إلا على زيادة الممارسات الجنسية غير الشريفة؟

التثقيف الجنسي الحقيقي يغرس الوقار في النفوس

إن الكثيرين من الآباء والأمهات ليست لديهم سوى معلومات قليلة – إن لم تكن معدومة – عما يجري تعليمه لأولادهم في فصول التثقيف الجنسي في المدارس. فالتثقيف الجنسي عمره ما كان مجرد عرض بسيط للحقائق البيولوجية العلمية. ففي الكثير من المناهج الدراسية يجري تدريس الطلاب عن طريق الرسوم والصور (والأفلام أحيانا) التي تعرض لهم ممارسات جنسية متنوعة بما في ذلك العادة السرية، وَ "الجنس الآمن" (وهو ممارسة النشاط الجنسي بطريقة تقلل من مخاطر الإصابة بالأمراض المنقولة جنسيا). وفي مناهج أخرى يناقش الشذوذ الجنسي على المكشوف ومن غير تحفظ ويجري شرح تفاصيله، ويُقدم على أساس أنه طريقة عادية للحصول على "الإشباع" الجنسي. وفي بعض المديريات المدرسية يجري تشجيع التلاميذ على تقييم وإبداء التفهم لنهج حياة "الجنسية المثلية" (وهي شهوة الجنس المماثل، أي اللِواط والسِحاق): فهؤلاء هم أولادنا من الذين يجري تلقينهم بأن الزواج من الجنس المماثل خيار مقبول تماما يوازي الزواج من الجنس الآخر. بل أن بعض المدارس تسمح باشتراك مجاميع ثنائية من الصف (طالب وطالبة معا) في مناقشة موضوعات مثل المداعبات التمهيدية وهزة الذروة الجنسية. ويجري تقديم المضادات الحيوية والإجهاض كتدبير وقائي إيجابي في حالة فشل إجراءات منع الحمل وممارسات الجنس الآمن. أما موضوع العِفّة ونبذ الحرام فلا يُذكر إلا بشكل عابر إن لم يتم تجاهله كليا. وكما يكتب وزير التربية والتعليم الأمريكي السابق وِليام بَنيت William Bennett فيقول:

توجد فظاظة وقساوة واستخفاف وتفاهة وابتذال في زماننا هذا. فهناك علامات كثيرة جدا لحضارة قد تعفنت. ومن أسوأ ما في الأمر

هو ما يتعلق بأولادنا: فنحن نعيش في حضارة تبدو في أحيان كثيرة وكأنها مكرسة لإفساد الصغار، ولضمان فقدان براءتهم قبل أوانهم.[26]

إن التثقيف الجنسي هو أكثر من مسألة تدريس ممارسات الجنس "الآمن". لقد تم تشريع هذا النوع من التربية في البداية كمحاولة لاحتواء نيران الجنس لدى المراهقين؛ لكنه – بدلا من ذلك – لم يفعل شيئا سوى أنه أجج هذه النيران وزاد من سعيرها.[27] ويبدو أن معظم الناس صاروا يسلمون بأن المراهقين سوف يعبّرون عن أنفسهم جنسيا بل ينبغي عليهم ذلك. وأصبح ما يميز عصرنا هو ملايين حالات الإجهاض، والأعداد المهولة من الأمهات غير المتزوجات بمساندة رسمية وعلنية، والأوبئة الجنسية الشديدة العدوى. ومن الواضح أن الفكرة التي مفادها أن المعرفة الجنسية التفصيلية تشجع وتعزز السلوك المسؤول لدى الأولاد، هي ليست سوى هراء كبير.

بوجه عام، فالكثير مما يُدرّس اليوم باسم التثقيف الجنسي هو شيء مروّع، ويجب علينا - كمسيحيين - الاحتجاج عليه. لأنه على الأغلب ليس أكثر من مجرد تدريس رسمي على عدم الوقار والزنى والتمرد على مخطط الله.

أما التثقيف الحقيقي عن الأمور الجنسية فيحصل على أحسن وجه بين أحد الوالدين والولد في بيئة من الوقار والثقة. غير أن التثقيف الجنسي لأي ولد كان عن طريق صور مبهمة ومعلومات لا شخصية لن يؤدي إلا الى إيقاظ الحس الجنسي لديه قبل أوان بلوغه، ويؤثر أيضا على تفكيره في فصل الجنس عن الحب والالتزام.

وطبعا يجب أن لا نخاف من التحدث بحرية (وبصورة منفردة) مع أولادنا عن الأمور الجنسية، خصوصا وهم يقتربون من سن المراهقة. وإلا فأول ما سيتعلمونه سيكون من أصدقاءهم حيث نادرا ما يحصل ذلك في جو من الوقار. وبالرغم من ذلك فهناك خطر في إعطاء الولد حقائق بيولوجية زائدة عن اللزوم عن الجنس. لأن تقريب الوقائع الجنسية غالبا ما يسرق السر الإلهي المقدس للجنس.

أن التثقيف الجنسي، بالنسبة لأي والد مسيحي أو والدة مسيحية، يعني توجيه الضمير الجنسي لدى أبناءه أو بناتها ليحسّوا بكرامتهم الشخصية وبكرامة الآخرين. ويعني مساعدتهم على أن يفهموا أن المتعة الأنانية، سواء كانت تسبب "الأذى" لشخص آخر أو لم تسببه، هي أمر مناقض للمحبة، مثلما يوصينا الإنجيل:

فأنتُم، يا إخوَتي، دَعاكُمُ اللهُ لتَكونوا أحرارًا، ولكِنْ لا تَجعَلوا هذِهِ الحُرِّيَّةَ حُجَّةً لإرضاءِ شَهَواتِ الجسَدِ، بَلِ اخدُموا بَعضُكُم بَعضًا بِالمَحبَّةِ. (غلاطية 5: 13).

ثم إنه يعني تعليم الأولاد أنه في حالة الانفصال عن الله، يكون الاتصال الجنسي أو أي نشاط جنسي آخر أمرا يثقّل الضمير بالآثام ويضعضع العلاقات الصادقة. ويعني أيضا فتح أعينهم على دور الفراغ الروحي الكبير الذي بمقدوره أن يجرّ الناس إلى الفحشاء - والذي بمقدوره أن يجرّهم هم أيضا.

يمكن للولد أن يكتسب موقفا سليما نحو جسده ونحو الجنس بطريقة طبيعية جدا؛ وذلك بمجرد تعليمه بأن جسده هو مقدس لأنه هيكل للروح القدس، وأن أي تدنيس لهذا الجسد يُعد خطيئة. كما يبيّن لنا الإنجيل:

ألا تَعرِفونَ أنَّ أجسادَكُم هِيَ هَيكَلُ الرُّوحِ القُدُسِ الّذي فيكُم هِبَةً مِنَ اللهِ؟ فَما أنتُم لأنفُسِكُم، بَلْ للهِ. (1 كورنثوس 6: 19)

ولن أنسى أبدا الانطباع العميق الذي أحدثه فيّ والدي وأنا شاب مراهق عندما أخذني في نزهة معه، وأخبرني عن الصراع الروحي من أجل حياة عفيفة، وعن أهمية حفظ نفسي عفيفا من أجل المرأة التي قد تكون من نصيبي في يوم من الأيام لأتزوجها. لقد قال لي: "لو قدرت أن تعيش الآن حياة نقية وعفيفة، لتسهّل الأمر معك في بقية حياتك. لكن لو استسلمت

الآن للنجاسة الجنسية في حياتك الشخصية، لصعبت عليك مقاومة تجارب إبليس الجنسية، حتى عندما تتزوج".

ويجب أن يتذكر الآباء الذين يريدون أن يصونوا أولادهم من الوقوع في الجنس الدنس، أن تدريب الأولاد وتعويدهم على العمل والانضباط فيه – سواء كان من خلال المساعدة في الأعمال المنزلية أو من خلال التدريب الرياضي أو من خلال أي نشاط آخر – هو من أفضل الضمانات في هذا الشأن، لأنه يروّض النفس والجسد. والأولاد الذين جرى تعليمهم على إلزام نفسهم بإنجاز عمل معين وعدم تركه حتى إتمامه، سوف يكونون مسلحين بشكل أفضل للتعامل مع التجارب الجنسية بالمقارنة مع الأولاد الذين عاشوا في دلال وتم تقديم كل ضروب التسلية لهم وتحقيق كل الرغبات لهم.

أي تدنيس للجنس يفصلنا عن إنساننا الداخلي العفيف، وبعضنا عن بعض

يستخف الشباب بقدرة القوة الشيطانية التي يسمحون لها بالدخول الى حياتهم عندما يسلمون أنفسهم للنجاسة الجنسية بشتى أنواعها. خذ العادة السرية مثلا. فحين ينمو الأطفال ويكبرون الى فتيان وفتيات تزداد شهوتهم الجنسية، وأول ما تدفعهم شهوتهم في طلب الإشباع الجنسي يكون غالبا عن طريق ممارسة العادة السرية. وفي أيامنا يتزايد عدد الآباء والتربويين والقساوسة الذين يزعمون أن العادة السرية أمر طبيعي وسليم؛ وفي نظر الكثيرين فما هي سوى أسلوب من أساليب الاسترخاء من الإجهاد. بل إن الممارسات الجنسية الأثيمة التي غالبا ما تؤدي إليها هذه العادة، حتى بين الأطفال الذين لم يَكودوا يبلغوا سن البلوغ، يعتبره الكثيرون أمرا عاديا.

لماذا نخاف كثيرا نحن الآباء والتربويين من قول الحقيقة – وتحذير أولادنا ليس من خطر الإباحية الجنسية فقط بل من العادة السرية أيضا؟ (اقرأ سفر الأمثال الفصل الخامس وما بعده). أليس كلاهما من أمراض

النفس؟ أليس كلاهما من الأفعال التي تدنس صورة الله وتتنكر له، وتضعضع أواصر الزواج؟ فلا يمكن للعادة السرية أن تؤدي الى إشباع حقيقي. إنها عمل انفرادي. إثارة ذاتية، إرضاء ذاتي، انتهاك الإنسان لنفسه - وهي تغلق علينا في عالم الأحلام، وتفصلنا عن العلاقات الصادقة. وعندما يجري الإدمان عليها (وكثيرا ما يحدث هذا) يزداد ميل الإنسان إلى الانعزال والانفراد بنفسه، ويشتد عنده أيضا شعور عدم الجدوى والاستياء النفسي والامتعاض. وهي في أسوأ حالاتها تشابه الزنى والخيانة الزوجية باعتبارها خرق وهتك لحرمة رباط الوحدة الزوجية والحب الزوجي الشريف الذي خُلق الجنس من أجله. وقد قمت بعمل خدمة المشورة لكثير من الشباب المُستعبد للعادة السرية: وكانوا يتمنون حقا التحرر من هذه العادة، لكنهم كانوا يقعون فيها المرة تلو الأخرى.

إن الشخص الذي يصارع مع العادة السرية يخجل غالبا من الحديث عنها مع أي شخص آخر. لكن من المهم أن ندرك أنه لما كانت الأعمال المخجلة تحصل في السر فإن شوكتها لا يمكن أن تنكسر إلا عندما تظهر إلى النور. بالتأكيد أن مصارحة مرشد أو قسيس بأعباء الإنسان الروحية وبمشاعره الداخلية قد تكون أمرا مؤلما له، لكن هذا هو الملاذ الوحيد لأي إنسان يريد التحرر حقا منها.

وقد يصارع الناس مع العادة السرية حتى نهاية حياتهم. فقد قمت بخدمة المشورة لأشخاص في الثمانينيات من عمرهم ولم يتحرروا بعد من هذه العادة. والسؤال الذي يطرح نفسه هو: هل هناك أي شيء يمكن عمله للتخلص من هذه اللعنة؟ إن نصيحتي للمستعبدين لها هي استلهام القوة بالصلاة. فلا يمكنك قهر إدمانك هذا بقوة الإرادة وحدها. لذلك، وقبل أن تنام في الليل، توجه بأفكارك الى الله، وأقرأ شيئا روحيا. وقد تثور التجربة لممارسة هذه العادة حتى هناك. فإذا حدث ذلك، فالأجدر بك أن تجد شيئا ينزع ذهنك عنها - فأترك فراشك وأخرج الى نزهة مثلا أو قُمْ ببعض الأعمال المنزلية. فغالبا ما يمدك أي عمل بدني طفيف بأفضل سبيل للتغلب على هذه التجارب القوية.

وكثيرا ما يكون الاستعباد للعادة السرية مرتبطا بشكل آخر من أشكال العبودية، وهي الصور الخليعة. والقلة فقط من الذين يقرّون بإدمانهم على مشاهدة هذه الصور، غير أن الحقائق التي تشير الى النمو المطرد لهذه الصناعة التي تدرّ ببلايين الدولارات ترينا مدى سعة انتشارها حتى بين "المسيحيين".

ويزعم الكثيرون أن هذه الصور الإباحية ينبغي أن لا تُجرَّم قانونيا؛ لأنها "بلا ضحايا"، أي بمعنى أنه ليس لها ضحايا تسيء إليهم. إلا أن أي شيء يشجع النجاسة الجنسية، حتى في صيغة الإثارة الجنسية الانفرادية، هو في الحقيقة جريمة؛ لأنه يهين الجسد البشري ويحط من قدره، ذلك الجسد المخلوق على صورة الله كهيكل لروح الإنسان:

ألا تَعرِفونَ أنَّ أجسادَكُم هِيَ هَيكَلُ الرُّوحِ القُدُسِ الّذي فيكُم هِبَةً مِنَ الله؟ فَما أنتُم لأنفُسِكُم، بَلْ للهِ (1 كورنثوس 6: 19).

وكالمعتاد، فإن محاولة الناس في التفريق بين الصور الإباحية والعادة السرية والجنس لليلة واحدة والبغاء هي في الواقع وهم خادع. لأن جميعها تُستخدم كوسيلة للإشباع الجنسي بدون "عبء" الارتباط والالتزام. وكلها تحط من قيمة سرّ الجنس وتصل به الى مجرد أسلوب لإشباع الشهوة. وجميعها أفعال مشينة – لأن المنغمسين فيها يمارسوها بالخفية، وهذا وحده يفضح ما يزعمونه تفريقا أشدّ فضحا:

تَناهى الَّليلُ واقتَرَبَ النَّهارُ. فلْنَطْرَحْ أعمالَ الظَّلامِ ونَحمِلْ سِلاحَ النّورِ. لِنَسلُك كما يَليقُ السُّلوكُ في النَّهارِ: لا عَربَدَةَ ولا سُكرَ، ولا فُجورَ ولا فَحشَ، ولا خِصامَ ولا حسَدَ. (رومة 13: 12-13).

الصلاة والاعتراف بالخطايا قادران على تحريرنا من عبء النجاسة الجنسية

لا أحد يستطيع أن يحرر نفسه من النجاسة الجنسية أو من أي خطيئة أخرى بقوته البشرية. فالتحرر يأتي بفضل موقف الفقر الروحي للإنسان،

وبفضل الإلتجاء الدائم إلى الله في السّراء والضّراء. لأن الصراع الروحي مع التجارب الجنسية الدنسة موجودة في داخل كل إنسان وستبقى موجودة هناك دائما، لكن التغلب على الخطيئة يأتي عن طريق الصلاة والاعتراف بالخطايا.

فكلما تخلينا عن تيقظنا في الصراع من أجل العفاف - وكلما سمحنا للأهواء والشهوات التغلب علينا - أصبحنا في خطر تضييع أنفسنا تماما. فلا نستطيع عندئذ طرد الأرواح الشريرة التي سمحنا لها بالدخول، لذلك سنحتاج الى تدخل السيد المسيح نفسه لكي يحررنا. فبدون تدخله، لن يكون هناك سوى فقدان الأمل واليأس بأشد وطاءته.

في معظم الأمثلة المتطرفة نجد أن اليأس الذي تسببه حياة سريّة من الفحشاء ينتهي بالانتحار. وما الانتحار إلا تمرد على الله، وكأنه بيان يقول: "لقد فقدتُ الأمل – لأن مشاكلي كبيرة جدا حتى على الله للتعامل معها". إن الانتحار ينكر أن نعمة الله أعظم من ضعفنا. فإذا وجدنا أنفسنا في هاوية اليأس، فإن الحلّ الوحيد هو أن نسعى الى الله ونسأله العطف والرحمة. وحتى عندما نصل الى طريق مسدود وتضيق بنا الحياة، فلنعلم بأن الله – أبونا السماوي – بوده أن يهبنا أملا جديدا وشجاعة متجددة، مهما كان إحساسنا بعصيانه كبيرا. فالله مستعد دائما ليغفر كل خطيئة، كما يشهد عن ذلك القديس يوحنا الرسول في الإنجيل:

أمَّا إذا اعتَرَفنا بِخَطايانا فَهوَ أمينٌ وعادِلٌ، يَغفِرُ لَنا خطايانا ويُطَهِّرُنا مِنْ كُلِّ شَرٍّ. (1 يوحنا 1: 9).

فلا نحتاج إلا أن نكون متواضعين جدا لنطلب منه ذلك. وعندما يؤخذ أحد الأشخاص بفكرة الانتحار، فإن أهم شيء يمكننا أن نفعله هو أن نُظهر له المحبة - وأن نذكّره بأن كل واحد منا قد خلقه الله لنحيا من أجل الله، وأن كل واحد منا لديه هدف لإنجازه.

عندما يترك الإنسان حياة الخطيئة ويتوب توبة نصوحة ويدرك أنه مخلوق ليحيا في سبيل الله، فما أحلاها من تجربة يختبرها الإنسان

شخصيا وكأنه وجد كنزا دفينا فضلا عن فرحة الروح والفؤاد التي لا توصف. ولو واجهنا الله بكل أمانة في حياتنا هنا على الأرض، لأدركنا عظمة مهمتنا الرائعة، وهي فتح قلوبنا لمحبة الله والترحيب بها ومن ثم مقاسمة هذه المحبة مع الآخرين. وليس هناك دعوة أروع من هذه.

الشذوذ الجنسي –
هل نخجل حتى من ذكره؟

بالأمسِ كُنتُم ظَلامًا، وأنتُمُ اليومَ نُورٌ في الرَّبِّ. فَسيروا سِيرَةَ أبناءِ النُّورِ، فثَمَرُ النُّورِ يكونُ في كُلِّ صَلاحٍ وتَقوى وحَقٍّ. فتَعَلَّموا ما يُرضِي الرَّبَّ، ولا تُشارِكوا في أعمالِ الظَّلامِ الباطِلَةِ، بَلْ الأَولى أنْ تَكشِفوها. فَما يَعمَلونَهُ في الخِفيَةِ نَخجَلُ حتّى مِنْ ذِكرِهِ.

أفسس 5: 8 - 12

أوصت لجنة من المستشارين في كنيسة انكلترا في يونيو من عام 1995م بأنه ينبغي نبذ عبارة "يعيشون في خطيئة"، أما بالنسبة إلى الشركاء غير المتزوجين، سواء كانوا في علاقة مغايرة أو مثلية *، فأوصت تلك اللجنة بأنه ينبغي على الناس أن "يقدموا لهم التشجيع والدعم" على أسلوب حياتهم، وأن يكون هناك المزيد من الاستعدادات للترحيب بهم في الأبرشيات الأنكليكانية (أي الكنائس

* المغايرة الجنسية - أو الجنس الغيري - هي ممارسة الجنس مع الجنس المغاير، أي بين رجل وامرأة، والمثلية الجنسية - أو الجنس المثلي - هي بين رجلين أو بين امرأتين أي اللِّواط والسِحاق.

الإنكليزية الرسمية في انكلترا وخارجها). وقد افترضت هذه اللجنة أن "علاقات وممارسات المثلية الجنسية التي فيها محبة" هي ليست أقل قيمة من المغايرة الجنسية جوهريا، لذلك اقترحت جماعة المستشارين أن يسمح بالتعبير عن الحب "بعلاقات متنوعة".28 وبالرغم من أن بيانا كهذا لم يعد مستغربا في عالم اليوم، إلا أن ما يثير الدهشة هو سماعه من كنيسة رسمية، ومما يزيد من هذه الدهشة أن كنائس طوائف أخرى قد أكدت أفكارا مشابهة.

يجب أن نحب الخاطئ، لكن يجب أيضا أن نتكلم جهرا ضد الخطيئة

قمت بالخدمة حديثا في لجنة من الآباء والمعلمين في مدرسة ثانوية محلية هنا في ولاية نيويورك الأمريكية، وكنت قادرا على ملاحظة القوة التي وصلت إليها حركة قبول المثلية الجنسية (أي اللواط والسحاق) - وكيف أنها تسللت تقريبا الى كل مظهر من مظاهر الحياة العامة. وكانت اللجنة الاستشارية للصحة في منطقة المدرسة متردّدة في تعريف مفهوم "الأسرة" خوفا من أن يهجرها اللواطيون والسحاقيات، دع عنك اتخاذ موقف بشأن ما يسمى بالقيم الأسرية. وأخيرا استقر الرأي على تعريف مفهوم الأسرة بالاكتفاء بقولهم أن الأسرة هي "اثنان من الناس يرتبطان معا" (دون الإشارة الى ضرورة أن يكون هذان الاثنان رجلا وامرأة)!

إن كثيرين من السياسيين، ونفر متزايد من رجال الدين يخشون من قول أي شيء ضد مثل هذا التعريف عن مفهوم الأسرة، خوفا من أن يفقدوا أصوات الناخبين أو وظائفهم. ولا يوجد سوى قليل من الناس مَنْ يجرؤ على الوقوف للمعارضة ليقول "كفى!". لكن بإنكارهم تعريف الزواج بأنه عهد بين رجل واحد وامرأة واحدة، فهم لا يشككون فقط في الأسرة برمتها كمؤسسة اجتماعية، وإنما يتنكرون بصراحة لترتيب الله للخليقة. فهم يرسلون الى أولادنا رسالة مفادها أن كل الخيارات صحيحة، وأن

الالتزام المؤبد بشريك من الجنس المغاير هو مجرد خيار من بين خيارات كثيرة.

قد يبدو لبعض القراء أنني أؤيد الكراهية تجاه أصحاب المثلية الجنسية – أي "سحق المثليين" كما يسمونها. لكن دعوني أؤكد لكم أني لا أنادي بكراهيتهم. لأن كل واحد منا هو خاطئ ويقصّر في العمل بوصايا الله كل يوم، ولا يوجد أي أساس في الكتاب المقدس يجعل من خطيئة اشتهاء الجنس المماثل أسوأ من غيرها من الخطايا. بل أن السخرية والتندر على أصحاب المثلية الجنسية أو إدانة سلوك المثلية الجنسية بطريقة أكثر خشونة من أي شخص آخر قد ارتكب خطيئة أخرى، أو حتى النظر إلى الرجل المثلي أو إلى المرأة المثلية بنظرة إدانة واحتقار، تُعد خطيئة بحد ذاتها: وقد علمنا الإنجيل أنه لا توجد أية خطيئة جنسية مهما كانت بشعة لا يمكن غفرانها أو شفائها، فلنقرأ هنا:

> وكُنَّا نَحنُ كُلُّنا مِنْ هَؤلاءِ نَعيشُ في شَهَواتِ جَسَدِنا تابِعينَ رَغَباتِهِ وأهواءَهُ، ولذلِكَ كُنَّا بِطَبيعَتِنا أبناءَ الغَضَبِ كَسائِرِ البشَرِ. ولكِنَّ اللهَ بِواسِعِ رَحمَتِهِ وفائِقِ مَحبَّتِهِ لنا أحيانا معَ المَسيحِ بَعدَما كُنّا أمواتًا بِزَلّاتِنا. فبِنِعمَةِ الله نِلتُمُ الخلاصَ. (أفسس 2: 3-5).

ومع ذلك فنحن نعلم أيضا بأن يسوع يكره الخطيئة بالرغم من أنه يحب الخاطئ ويريد تحريره وافتدائه.

تأييد المثلية الجنسية معناه إنكار لقصد الله بشأن موضوع الإنجاب

أن سلوك المثلية الجنسية هو خطيئة. لأنها "ضد الطبيعة"، وضد ما خططه الله بشأن موضوع الإنجاب، بل هي شكل من أشكال عبادة الذات وعبادة الأوثان، كما يقول الإنجيل:

ولِهذا أسلَمَهُمُ اللهُ إلى الشَّهَواتِ الدَّنيئَةِ، فاستَبْدَلَتْ نِساؤُهُم بالوِصالِ الطَبيعيّ الوِصالَ غَيرَ الطَّبيعيّ. (رومة 1: 26).

ولكونها ممارسة جنسية بين اثنين من الجنس نفسه، فهي ذات "الخطيئة المُفجِعة" التي كانت لقوم لوط في سدوم وعمورة، فيخبرنا الكتاب المقدس بهذا كما يلي:

فجاءَ المَلاكانِ إلى سدومَ عِندَ الغُروبِ وكانَ لُوطَ جالسًا بِبابِ المدينةِ، فلَّما رآهُما قامَ لِلقائِهما وسجدَ بِوجهِهِ إلى الأرضِ وقالَ: "يا سيّديَ، ميلا إلى بَيتِ عبدِكُما وبيتا واَغْسِلا أرجلَكُما، وفي الصَّباحِ باكرًا تَستأنِفانِ سَفَرَكُما". فقالا: "لا، بل في السَّاحَةِ نَبيتُ". فألَحَ علَيهِما كثيرًا حتى مالا إليهِ ودَخلا بَيتَه، فعَمِلَ لهُما وليمةً وخبزَ فطيرًا فأكلا. وقَبلَ أنْ يناما جاءَ رِجالُ سدومَ جميعًا، شُبَّانًا وشُيوخا، وأحاطوا بالبَيتِ مِنْ كُلِّ جهةٍ، فنادوا لُوطًا وقالوا لهُ: "أينَ الرَّجلانِ اللَّذانِ دَخلا بَيتَكَ اللَّيلةَ؟ أخرِجهُما إلينا حتى نُضاجعَهُما". فخرج إليهِم لُوطَ وأغلقَ البابَ وراءَه وقالَ: "لا تفعَلوا سُوءًا يا إخوتي. لي بِنتانِ ما ضاجعَتا رَجلاً، أُخرِجهما إليكُم فاَفعَلوا بهما ما يحلو لكُم. وأمَّا الرَّجلانِ فلا تفعلوا بهما شيئًا، لأنَّهما في ضِيافتي". فقالوا لَهُ: "اَبتَعِدْ مِنْ هُنا! جئتَ أيُّها الغريبُ لِتُقيمَ بَينَنا وتتحكَّمَ فينا. الآنَ نفعَلُ بِكَ أسوأَ مِمّا نفعَلُ بِهِما". ودفعوا لُوطًا إلى الوراءِ وتقدَّموا إلى البابِ لِيَكسِرُوه. فمَدَ الرَّجلانِ أيديَهما وجذَبا لُوطًا إلى البَيتِ وأغلقا البابَ. وأمَّا الرِّجالُ الذينَ على بابِ البَيتِ فضربَهُمُ الرَّجلانِ بالعَمَى، مِنْ صغيرِهِم إلى كبيرِهِم، فعجزُوا عَنْ أنْ يَجدوا البابَ. وقالَ الرَّجلانِ للُوطٍ: "مَنْ لكَ أيضًا هُنا؟ إنْ كانَ لكَ أصهارٌ وبَنونَ وبَناتٌ وأقرباءُ آخرونَ في هذِهِ المدينةِ، فأخرِجهُم مِنها. فهذا المكانُ سَنُهلِكُه، لأنَّ الشَّكوى على أهلِهِ بلغَت مَسامعَ الرّبِّ فأرسلَنا لِنُهلِكَهُم". فخرج لُوطَ وقالَ لِصهرَيهِ الخاطبينِ بِنتَيهِ: "قُومَا اَخرُجا مِنْ هُنا، لأنَّ الرّبَ سَيُهلِكُ المدينةَ". فكانَ كَمَنْ يَمزَحُ في نظَرِ صِهرَيهِ. فلمَّا طلَعَ الفَجرُ كانَ الملاكانِ يستعجلانِ لُوطًا ويقولانِ لهُ: "قُمْ خذِ اَمرأتَكَ

وَابنتَيكَ الموجودَتينِ هُنا، لِئلاَ تَهلَكُوا معَ المدينةِ عِقابًا لها". فلمَّا تباطأ لُوطَ أمسَكَ الرَّجلانِ بيدهِ وبيدِ اَمرأتهِ وابنتَيهِ، لشفقةِ الرّبِّ علَيهِ، وأخرَجاهُ مِنَ المدينةِ وتركاهُ هُناكَ. وبَينَما هُما يُخرجانِهِ مِنَ المدينةِ قالَ لَه أحدُهُما: "أُنْج بنفْسِكَ. لا تَلتَفِتْ إلى ورائِكَ ولا تَقِفْ في السَّهْلِ كُلِّهِ، واَهرُبْ إلى الجبلِ لِئلاَ تَهلِكَ" فقالَ لُوطٌ: "لا يا سيّدي. نِلْتُ رِضاكَ وغمرْتَني برحمتِكَ فأنقذتَ حياتي. ولكني لا أقدِرُ أنْ أهرُبَ إلى الجبلِ، فرُبَّما لَحِقَني السُّوءُ فأموتُ. أمَّا تِلكَ المدينةُ فهيَ قريبةٌ وصغيرةٌ، فدَعْني أهربُ إليها، فأنجوَ لصِغَرِها بحياتي". فقالَ لَهُ: "إكرامًا لكَ لن أُدمِّرَ المدينةَ التي ذَكرْتَ. أسرِعْ بالهرَبِ إلى هُناكَ، لأنّي لن أفعَلَ شيئًا حتى تَصِلَ إليها". ولذلِكَ سُمِّيتِ المدينةُ صُوغرَ. فلمَّا أشرقتِ الشَّمسُ على الأرضِ ودَخلَ لُوطَ مدينةَ صُوغرَ. أمطرَ الرّبُّ على سدومَ وعَمورةَ كِبريتًا ونارًا مِنَ السَّماءِ، فدَمَّرَها معَ الوادي وجميعِ سُكَّانِ المُدُنِ ونباتِ الأرضِ. واَلْتفتتِ امرأةُ لُوطٍ إلى الوراءِ فصارت عَمودَ مِلحٍ. وبكَّرَ إبراهيمُ في الغدِ إلى المكانِ الذي وقفَ فيهِ أمامَ الرّبِّ، وتطلَّعَ إلى جهةِ سدومَ وعَمورةَ والوادي كُلِّهِ، فرأى دُخانَ الأرضِ صاعدًا كدُخانِ الأتونِ. ولمَّا أهلكَ اللهُ مُدُنَ الوادي التي كانَ لُوطَ يُقيمُ بها، تذَكَّرَ إبراهيمَ، فأخرج لُوطًا مِنْ وسَطِ الدَّمارِ. (تكوين 19: 1-29).

وفي سفر اللاويين من الكتاب المقدس يسمي الله جماع اللّواط بأنه رِجس، فيقول:

وَلاَ تُضَاجِعْ ذَكَراً مُضَاجَعَةَ اِمْرَأَةٍ. إِنَّهُ رِجْسٌ. (لاويين 18: 22).

ونقرأ في سفر اللاويين 20: 13:

وَإِذَا اضْطَجَعَ رَجُلٌ مَعَ ذَكَرٍ اضْطِجَاعَ امْرَأَةٍ فَقَدْ فَعَلاَ كِلاَهُمَا رِجْساً. إِنَّهُمَا يُقْتَلاَنِ. دَمُهُمَا عَلَيْهِمَا.

وأما الذين يقللون من شأن هذا التحريم وهذه التحذيرات عن طريق تفسيرهم للأمر: بأننا الآن "لم نعد تحت الناموس بل تحت النعمة"، فلندعهم يشرحوا لنا إذن لماذا لم يتجاهلوا نكاح المحارم (من لهم صلة قرابة رحم)، أو الزنى، أو البهيمية (الاتصال الجنسي مع الحيوانات)، أو تقديم البشر كذبيحة قربان (أي كضحية). أما البهيمية فقد تمت إدانتها في الكتاب المقدس كما يلي:

وَلاَ تَجْعَلْ مَعَ بَهِيمَةٍ مَضْجَعَكَ فَتَتَنَجَّسَ بِهَا. وَلاَ تَقِفِ امْرَأَةٌ أَمَامَ بَهِيمَةٍ لِيَزَائِهَا. إِنَّهُ فَاحِشَةٌ. (لاويين 18: 23).

والعهد الجديد (أي الإنجيل) يدين أيضا ممارسة الشذوذ الجنسي. فيكتب القديس بولس الرسول في رسالته الى أهل رومة 1: 26-28 فيقول:

ولِهذا أسلَمَهُمُ اللهُ إلى الشَّهَواتِ الدَّنيئَةِ، فاستَبْدَلَتْ نِساؤُهُم بالوِصالِ الطَبيعيِّ الوِصالَ غَيرَ الطَّبيعيِّ، وكذلِكَ ترَكَ الرِّجالُ الوِصالَ الطَّبيعيَّ لِلنِّساءِ والتَهَبَ بَعضُهُم شَهوَةً لِبَعضٍ. وفعَلَ الرِّجالُ الفَحْشاءَ بِالرِّجالِ ونالوا في أنفُسِهِم الجَزاءَ العادِلَ لِضَلالِهِم. ولأنَّهُم رَفَضوا أنْ يَحتَفِظوا بِمَعرِفَةِ اللهِ ، أسلَمَهُمُ اللهُ إلى فسادِ عُقولِهِم يَقودُهُم إلى كُلِّ عَمَلٍ شائِنٍ.

وفي رسالته الأولى الى أهل كورنثوس 6: 9-10، يقول القديس بولس الرسول أيضا:

أمَا تَعرِفونَ أنَّ الظَّالِمينَ لا يَرِثونَ مَلكوتَ اللهِ؟ لا تَخدَعوا أنفُسَكُم، فلا الزُّناةُ ولا عُبّادُ الأوثانِ ولا الفاسِقونَ ولا المُبتَلونَ بالشُّذوذِ الجِنسيِّ ولا السّارِقونَ ولا الفُجّارُ ولا السِّكّيرونَ ولا الشَّتّامونَ ولا السّالِبونَ يَرِثونَ مَلكوتَ اللهِ.

والكثير من الناس يعيدون تفسير هذه الآيات الكتابية ويقولون أنها مجرد إدانة الاغتصاب المثلي (أي اغتصاب رجل لرجل أو امرأة لامرأة)، وإدانة

الإباحية الجنسية، وإدانة الشهوة أو السلوك المثلي "غير الطبيعي" لرجل غيري أو امرأة غيرية. ويزعمون أن ما يدينه الكتاب المقدس هو السلوك "الظالم" فقط، سواء كان جنس مثلي أو غيري. لكن، أليس الأمر واضحا عندما يتحدث الرسول بولس عن "مضاجعة الذكور" بأنه يشير بالحقيقة إلى الظلم (الأذى) الذي يسببه الشذوذ الجنسي بحد ذاته؟ فلو كان ظلم الشذوذ الجنسي وحده هو الشرير، فماذا إذن عن بقية الظلم الذي ذكره القديس بولس الرسول في الفقرة نفسها: الزناة، عباد الأوثان، الفاسقون...إلخ.

وما عساه أن يكون أوضح من كلام القديس بولس في رسالته إلى أهل رومة حينما يسمي الجنس المثلي (أي اللواط والسحاق) بأنه "شهوة دنيئة، وفجور" ويضيف بأنه "إهانة وفحشاء"؟ ثم ماذا عن كلامه القاطع بشأن تسليم الإنسان نفسه إلى "الفساد"؟

لذلِكَ أسلَمَهُمُ اللهُ بِشَهَواتِ قُلوبِهِم إلى الفُجورِ يُهينونَ بِه أجسادَهُم. اتَّخَذوا الباطِلَ بَدَلاً مِنَ الحقِّ الإلَهيِّ وعَبَدوا المَخلوقَ وخَدَموهُ مِنْ دُونِ الخالِقِ، تَبارَكَ إلى الأبدِ آمين. ولِهذا أسلَمَهُمُ اللهُ إلى الشَّهَواتِ الدَّنيئَةِ، فاستَبْدَلَتْ نِساؤُهُم بالوِصالِ الطَبيعيِّ الوِصالَ غَيرَ الطَّبيعيِّ، وكذلِكَ ترَكَ الرِّجالُ الوِصالَ الطَّبيعيَّ لِلنِّساءِ والتَهَبَ بَعضُهُم شَهوَةً لِبَعضٍ. وفعَلَ الرِّجالُ الفَحْشاءَ بِالرِّجالِ ونالوا في أنفُسِهِم الجَزاءَ العادِلَ لِضَلالِهِم. ولأنَّهُم رَفَضوا أنْ يَحتَفِظوا بِمَعرِفَةِ اللهِ ، أسلَمَهُمُ اللهُ إلى فسادِ عُقولِهِم يَقودُهُم إلى كُلِّ عَمَلٍ شائِنٍ. (رومة 1: 24-28).

إن ممارسات الشذوذ الجنسي دنسة دائما، لأنها تشوه دائما مشيئة الله فيما يخص الإنجاب والخلق. وهذه الممارسات وبكل بساطة لا يمكن أن تجد لها سندا في الكتاب المقدس على الإطلاق. وينطبق هذا حتى على الممارسات التي تجري ضمن ما يسمونه بعلاقة "حُبيّة" مديدة الحياة. لأنه حتى علاقات الزنى (الغيرية) التي قد ينظر الناس إليها كذلك بأنها علاقة حُبيّة وقد تكون طويلة الأمد، إلا أن هذا لا يجعلها على حقّ.

ومن الشائع اليوم أن نسمع الناس يتشكون الظلم الذي يصيب الناس المثليين لأن أصابع الاتهام تحمّلهم ذنب ميولهم المثلية أو حتى ذنب أسلوب الحياة الذي ربما لم يختاروه هم لأنفسهم. لكن هذا مجرد ذريعة للخطيئة. فأصحاب المثلية الجنسية سواء كانوا مسؤولين أو غير مسؤولين عن ميولهم الجنسية، فذلك ليس له صلة بأحقِيَّة أو بُطلان سلوكهم وممارستهم للشذوذ الجنسي. لأن تفسير السلوك شيء، وتبرير السلوك شيء مختلف تماما.[29]

يمكن التغلب على الإغواء الجنسي مهما كان أصله أو نوعه

قد تكون الدوافع الجنسية للشذوذ الجنسي شديدة، لكن هذا هو حال الدوافع الجنسية لدى جميع الناس. لأن كل واحد منا مَيّال "بالطبيعة" الى فعل ما لا ينبغي فعله. لكن لو آمنا بالله، لوجب علينا الإيمان أيضا بأنه قادر على إعطائنا النعمة للتغلب على أية صراعات قد يتعين علينا تحملها، مثلما قال الرب يسوع "تكفيكَ نِعمَتي. في الضُّعفِ يَظهَرُ كَمالُ قُدرَتي" إلى القديس بولس الرسول:

> فقالَ لي: "تكفيكَ نِعمَتي. في الضُّعفِ يَظهَرُ كَمالُ قُدرَتي". فأنا، إذًا، أفتَخِرُ راضِيًا مُبتَهِجًا بِضُعفي حتّى تُظَلِّلَني قُوَّةُ المَسيحِ. ولذلِكَ فأنا أرضَى بِما أحتَمِلُ مِنَ الضُّعفِ والإهانَةِ والضِّيقِ والاضطِهادِ والمَشَقَّةِ في سَبيلِ المَسيحِ، لأنّي عِندَما أكونُ ضَعيفًا أكونُ قَوِيّاً. (2 كورنثوس 12: 9-10).

وفي التكلم جهرا ضد الجنسية المثلية، يجب أن نتذكر دائما أنه بالرغم من أن الكتاب المقدس يدين سلوك الجنسية المثلية، إلا أنه لا يعطينا أبدا رخصة لإدانة الناس المتورطين فيها. ونحن كمسيحيين، لا يمكننا التغاضي عن إنكار الحقوق الأساسية لأي إنسان مهما كان السبب. فمن السهل جدا علينا نحن البشر أن ننسى أن الكتاب المقدس لديه الكثير ليقوله عن

خطايا الكبرياء والجشع والسخط والتباهي بالاجتهاد الشخصي أكثر مما لديه عن الشذوذ الجنسي. لكن مع ذلك، سنقوم دائما بمقاومة برامج الذين يحاولون إعادة تعريف الشذوذ الجنسي وجعله "نهج حياتي بديل" - خصوصا لأنها تؤثر في دعم سنّ قوانين جديدة لإباحة الزواج المثلي - بالإضافة إلى الجهود الرامية إلى إجبار الجماعات الدينية على قبول الناس الذين يمارسون الشذوذ الجنسي كأعضاء في جماعاتهم بل حتى كقساوسة وأساقفة:

لكنِ الآنَ أكتبُ إلَيكُم أنْ لا تُخالِطوا مَنْ يُدعى أخًا وهوَ زانٍ أو فاجِرٌ أو عابِدُ أوثانٍ أو شتَّامٌ أو سِكّيرٌ أو سَرّاقٌ. فمِثلُ هذا الرَّجُلِ لا تَجلِسوا معَهُ لِلطَّعامِ. (1 كورنثوس 5: 11).

من المهم هنا أيضا أن نأخذ بنظر الاعتبار الفرق بين الميول أو "التوجه" المثلي من جهة وبين الممارسة المثلية الجنسية كنهج حياتي فعال من جهة أخرى. فقد تنشأ الميول المثلية بسبب مؤثرات نفسية أو بيئة اجتماعية بل ربما يكون سببه (بحسب رأي بعض العلماء) تكوين وتركيب جيني وراثي، لكن اتخاذ الشذوذ الجنسي كنهج حياتي فعال هو من اختيار الشخص نفسه. أما الجدال بأن التقاليد أو الأسرة أو الجينات هي التي تجعلنا لا حول لنا ولا حيلة وعاجزين عن اختيار أن نكون في جانب الخطيئة أو ضدها، فهذا معناه إنكار لمفهوم حرية الإرادة.

والشذوذ الجنسي هو حالة خاصة تتميز بتعمق جذورها حتى لو كانت "توجه"، ويستحق الذين يصارعونها الشفقة والمساعدة. لذلك ينبغي علينا أن نكون دائما مستعدين لقبول الرجل (أو المرأة) المبتلى بالشذوذ الجنسي في كنائسنا وأن نقف معه - بصبر وبمحبة، ولكن بكامل الوضوح الذي يرفض التساهل مع استمرارية ارتكاب الخطيئة. وعلاوة على ذلك، ينبغي علينا تذكير أولئك المبتلين بالجاذبية نحو الجنس المماثل بخطة الله الأصلية للخليقة، ومساعدتهم على رؤية أن لا رجل كامل ولا امرأة كاملة حقا بدون الآخر.

لقد قمت بعمل المشورة لكثيرين ممن قد صارعوا مع إغواء الشذوذ الجنسي. ففي بعض الأحيان كان يبدو موقف الشخص ميئوسا منه، لكني شهدت أنه حتى الذين ترسخوا لمدة طويلة في نهج حياة اللواط، فإنه بالإمكان مساعدتهم. وسواء وقع الشخص المثلي الذي يصارع مع الخطيئة في فخ التجربة أو لم يقع فهناك أمر أكيد واحد لا يتغيّر وهو أنه: لو التجأ الشخص الى الرب يسوع من كل فكره لحصل على العون والتحرّر؛ أما إذا كان منقسما في أعماق قلبه، فسوف تشلّه حتى أشجع الجهود في مقاومة التجربة، وتقيّده روحيا. بل أنه حتى النظرة الشهوانية تبيّن لنا أن الشخص ليس عازما عزما أكيدا على الإقلاع عن الخطيئة - ويقول يسوع أن مثل هذه النظرة تُعد زنى في القلب. وعليه، فلا نحصل على تحرّر دائم إلا بعد تصميم قاطع.

لذلك فمن المهم جدا أن يحاول الناس غير المثقلين بالانحراف الجنسي أن يبدوا تفهُّما كبيرا للحاجة الروحية الكبيرة لأولئك المثقلين بها. وغالبا ما تنشأ شهوتهم الجنسية المنحرفة عن اشتياق شديد الى علاقة محبة صادقة مع الآخرين. لأن كثير من أصحاب الشذوذ الجنسي لم يروا قط في حياتهم أية محبة مُرَحِّبة وغير مشروطة من ناس من جنسهم (ذكر أو أنثى). ففي بلادنا وفي البيوت التي "بلا آباء" يوجد فراغ كفيل بإثارة مشاعر الانحراف الجنسي لدى الأولاد. وكما نعلم، ففي حضارتنا، المدفوعة بعوامل المنافسة والرغبة في الهيمنة، فما أسهل أن يشعر بعض الناس بأنهم متروكون ومنبوذون؛ وقد يلتجئون نتيجة لذلك الى الانحراف الجنسي.

لقد عرفت هاورد Howard وزوجته آن Ann منذ انضمامهما الى كنيستنا قبل عقدين من الزمان، لكني لم استوعب عمق صراع هاورد استيعابا كاملا إلا في المدة الأخيرة. فقد عامله عمه معاملة سيئة في طفولته، ولقي الإهمال من أبيه المهووس بعمله، وسخر منه أقرانه الطلاب لافتقاره القابلية الرياضية، الأمر الذي أدى الى أن يحس وهو يترعرع بعدم وجود مَنْ يفهمه واعتراه ضيق نفسي وإحساس بأنه شاذ وبعدم ملائمته

للمكان الذي هو فيه. وكم تمنى أن يجذب انتباه أبيه أو الرجال الآخرين أو الأولاد من عمره. غير انه، وبمرور الوقت، وفي منتصف مرحلة المراهقة، أخذ يمارس الانحراف الجنسي بشكل فعلي. وبالرغم من أن هاورد لا يلوم تربية أهله فيما يتعلق بالخيارات المنحرفة التي صنعها في حياته لاحقا، إلا أن قصته يجب أن تحذر كل أب وكل أم لما قد يحدث عندما يشب الأولاد دون التمتع بالدعم من قِبل أسرة ترعى أولادها.

لكن قصة هاورد أكثر من مجرد تحذير. فهي تحمل شهادة قوية عن جبروت قوة المسيح في قهر الظلام وتبديده؛ وعن أهمية التوبة؛ وعن قدرة الغفران الشافية؛ وعن الفرح الذي يمكن لكل واحد منا اختباره. يكتب هاورد فيقول:

عندما كان عمري ستة عشر أخذت أعبث مع الفتيان الآخرين. ولم يمض وقت طويل حتى سمحت للرجال الكبار أن "يجربوا تجاربهم" عليّ. وكانت هذه الممارسات الجنسية تثيرني كثيرا، لكنها كانت تخلف ورائها شعور بذنب كبير. ولم أكن قادرا على مصارحة أحد بكل ما كنت أمرّ به. بل أنني حتى كذبت مرة على أبي عندما واجهني مباشرة وسألني إن كان لدي مثل هذه المشاعر.

وعند وصولي الى سن الحادية والعشرين، كنت قد فعلت في الواقع كل أفعال الجنس المثلي الممكنة. لكن لم يشبعني أي شيء. كانت لقاءاتي مع الرجال فارغة وعقيمة؛ فكنت أفضل مشاهدة الصور الداعرة وأخلق نزوات خاصة لنفسي. ولم أحاول مطلقا أن أتواجه مع مسألة انجذابي نحو الرجال، مبررا ذلك بأنه شيء "لا يمكنني تغييره". وعندما دفع التأمين الصحي تكاليف مراجعة طبية لأحد الأطباء النفسيين بسبب بعض الإجهاد في العمل، لم أذكر له كذلك أي شيء شخصي. فكنت مقتنعا: بأنه لا فائدة من التحدث مع أي شخص؛ فسوف لا يفهمني أحد، ثم إنه لا يمكنني أن أغيّر سلوكي على أية حال.

وتزوجت من أول امرأة جامَعتها. وقد أحبتني زوجتي آن وقبلت ما عرفته عني. لقد تحدثنا عن مشاعرنا الشخصية. لكن لم أتمكن من

أن أبوح بسرّي لها إلا بعد مضي سنتين من زواجنا وإلا بعد استجماع كل شجاعتي لهذا الموضوع. طبعا ذُهِلَتْ زوجتي آن من فرط الدهشة. هل هذا معقول؟ وأخبرتها عن طفولتي وعن الأفكار والشهوات التي أثقلت ضميري بحملها. وأوضحت لها أنني أريد التخلص من هذه الأشياء، وقد قبلت هذا الكلام وبدا لها أمل في أن أتغيّر. لكن مع ذلك سقطتُ في لقاءات متفرقة مع رجال آخرين في أوقات متعددة، أما زوجتي فكانت تغفر لي دائما.

في ذلك الوقت رأيت كثيرا من المصابين بالانحراف الجنسي يخرجون من "سْريّتهم" ليكشفوا عن أسلوب حياتهم للأسرة والأصدقاء ويحاولون الحصول على القبول. أما أنا فكنت مفزوعا من هذا، لأني كنت متأكدا أنني لن أجد قبولا. والواقع أنني لم أرغب في القبول من صميم قلبي؛ بل كنت أريد معونة للتغلب على مشكلتي. أخيرا حكيت قصتي لقسيس علماني وثقت فيه. وقد ساعدني على استلهام القوة والعزيمة لأعلن عن موقفي ضد الجنس المثلي أمام جماعة صغيرة من الناس كنت أعرفها وأشعر أنني قريب منها. وقد صُدِمت هذه الجماعة في البداية، لكن ما لبث أفرادها أن قدموا لي دعما كبيرا، عالمين بأن كل فرد منهم لديه أيضا صراعات ضد شتى أنواع الخطايا. وكان هذا بداية طريقي الى الشفاء، لكن مجرد بداية.

وإنضمَمْنَا لاحقا أنا وزوجتي الى أحد مجتمعات حركة برودرهوف المسيحية Bruderhof التي تعيش مجتمعاتها حياة مسيحية مشتركة معتقدين بأننا قد وصلنا الى مكان يمكن أن نحصل فيه على الشفاء الحقيقي وتنتهي مشاكلنا تلقائيا. وكان هذا صحيحا إلى حدّ ما، لكن في بعض الأحيان عندما كنت أشعر بالضعف والكآبة، كنت أستسلم للأفكار والنظرات الشهوانية، والتي كادت تعود بي الى طرقي القديمة أحيانا. وصار واضحا لي أنني لا أستطيع التغلب على مشاكلي بقوتي البشرية الذاتية. لكن بالرغم من كل ذلك فقد أوهمت نفسي بالاعتقاد بأنني قادر، وأقنعت زوجتي بأنني على ما يرام. وفي تلك الأثناء كنت

أحجب عني كلام يسوع المسيح بشأن النظرة الشهوانية. لكن ضميري تخدّر أكثر فأكثر. وغلظ قلبي أكثر فأكثر.

واستمرت زوجتي آن في ثقتها بي، ورزقنا الله بولدين. لكن بالرغم من هذه البركات غرقتُ أعمق وأعمق في الخطيئة. ثم حدث في أحد الأيام أن صديقا ضبطني وأنا أنظر الى صور خليعة. وبالرغم من أنني في البداية حاولت الكذب للتخلص من الموقف، لكنني تشجّعت أخيرا لأعترف بخطيئتي، أمام كل من زوجتي وأمام الإخوة والأخوات في مجتمع أخويتنا. ولكن ماذا الآن؟ فقد أصبح "كل واحد يعرف" بحقيقتي، وتوقعت بين لحظة وأخرى أن "يطردوني من مجتمع الكنيسة". وبالرغم من عدم تغاضي أحد عن سلوكي، إلا أني لم أحس بأنني كنت مُدانْ. والرجال الذين ظننتهم أنهم سيشمئزون مني، نظروا إلي فجأة بعيني المحبة الأخوية الحقيقية. وابتدأ قلبي المتحجر يلين...

انفصلنا أنا وزوجتي آن لعدة أسابيع لكي أتمكن من العودة إلى الطريق القويم ثانية. وفي غضون هذه المرحلة ظلّت زوجتي آن أمينة على عهدها الذي قدمته بالالتزام بالكنيسة وبعلاقتنا الزوجية. لقد قالت لي فيما بعد: "عندما تزوجنا لم يكن لدينا أية فكرة عما سيواجهنا في المستقبل. لقد تعهدنا بأن نظلّ أمناء لله وللكنيسة وأحدنا للآخر، في السراء والضراء. ولم يكن لدينا أية فكرة عن الوعد الذي نعد به، لكنني متيقنة من أن هذا الوعد هو الذي سترنا. وهذا الوعد هو الذي لمّ شملنا ثانية".

وكانت آن على حق طبعا. لأنه بفضل نعمة الله وحدها، صرت قادرا على أن أرى كم كانت حاجتي شديدة إلى أن أكون نظيفا عفيفا كليا، وإلى أن أفتح قلبي بصورة واسعة وأكثر من أي وقت مضى، وإلى أن أصحّح كل فعل خاطئ أو كل موقف باطل متأصل من الماضي. لقد رأيت كيف كانت أنانيتي ترقد عند جذور مشكلتي. وأصبحت أحسّ بأن عبوديتي للظلام أخذت تزول تدريجيا.

وفي أثناء تعمُّق توبتي، كان قلبي يزداد فرحا، وكان فكري يزداد تحررا. وأخيرا عدت الى زوجتي وأولادي. وأصبح الآن بعضنا أقرب الى بعض كأسرة أكثر من أي وقت مضى. واللعنة التي عشت معها كل حياتي قد تحولت الآن الى بهجة عارمة. فقد وهبني السيد المسيح نعمة الضمير الصافي – ولا توجد نعمة أعظم منها. فهي تعطيني الشجاعة لمواجهة أي شيء قد يأتي في المستقبل. وأعلم بأن الشيطان سوف يظلّ يغويني طوال أيام حياتي، لكني أعلم أيضا بأن لي سبيل لاجتياز التجربة. فبإمكاني تلقي المعونة من خارج نطاق اجتهادي وقدرتي البشرية.

أن التحرر الحقيقي ممكن لكل رجل ولكل امرأة، إلا أن الأمر متروك لنا: أنؤمن بهذه الحقيقة أم لا؟

فالمَسيحُ حَرَّرَنا لِنكونَ أحرارًا. فاثبُتوا، إذًا، ولا تَعودوا إلى نِيرِ العُبودِيَّةِ. (غلاطية 5: 1).[30]

يجب أن تذكرنا قصة الزوجين هاورد وَ آن بأن لا نتصوّر أن النصر أمر سهل المنال وطريقه مُعبّد. لأنه قد لا يكون كذلك. فمقابل كل من أنعم الله عليه بالشفاء، هناك العشرات من الذين عليهم أن يصارعوا مع التجارب لعدة سنوات، والبعض عليه أن يصارع الى نهاية عمره. لكن، هل يختلف الأمر عما يحدث مع باقي الناس؟ فلا يوجد الكثير من المسيحيين من الذين يشتاقون إلى التحرّر من عبودية بعض الخطايا ولم يحصلوا على نتيجة بعد صلاتهم لله. لذلك يجب علينا أن لا نشكّ أبدا في وجود أمل لكل منا للشفاء واستعادة صورة الله فينا وذلك لأننا مخلوقون على صورة الله:

فما أَولى دَمُ المَسيحِ الّذي قَدَّمَ نَفسَهُ إلى الله بالرُّوحِ الأزَلِيِّ قُربانًا لا عَيبَ فيهِ، أنْ يُطَهِّرَ ضَمائِرَنا مِنَ الأعمالِ المَيِّتَةِ لِنَعبُدَ اللهَ الحيَ. (عبرانيين 9: 14).

في نهاية المطاف، سيحررنا السيد المسيح إذا سلمنا أنفسنا له:

ورَجاؤُنا لا يَخيبُ، لأنَّ اللهَ سكَبَ مَحبَّتَهُ في قُلوبِنا بالرُّوحِ القُدُسِ الّذي وهبَهُ لنا. (رومة 5: 5).

الفصل السابع عشر

منع الحمل والإجهاض – الحرب الخفية

أنتَ أخرَجْتَني مِنَ الرَّحِمِ، وطَمأنتَني على ثَديِ أُمّي.
فأنا مِنَ الرَّحمِ محسُوبٌ علَيكَ، ومِنْ بطنِ أمّي أنتَ إلهي. اقترَبَ الضِّيقُ ولا نَصيرٌ لي، فلا تَتباعَدْ عنّي.
مزمور 22: 9 - 11

منذ تسعين سنة تقريبا، واستجابة لفكرة التخطيط الأسري "الحديث"، كتب ايبرهارد آرنولد Eberhard Arnold (وهو علامة لاهوتي ومؤسس حركة برودرهوف المسيحية Bruderhof للحياة المسيحية المشتركة) يقول:

> تتمنى عائلاتنا أن تُرزق بأكبر عدد من الأولاد يشاءه الله. ونمجد قوة الله الخلاقة في الإنجاب. ثم إننا نرحب بالعائلات الكبيرة باعتبارها واحدة من عطاياه الثمينة.[31]

يا تُرى ماذا كان سيقول اليوم في عصر صار فيه منع الحمل ممارسة مألوفة وملايين الأجِنَّة يقتلون قانونيا كل عام قبل ولادتهم؟ فأين هي فرحتنا بالأطفال وبالحياة العائلية؟ وأين هو اِمتناننا بما يرزقنا الله من عطايا؟ وأين هو توقيرنا للحياة ورحمتنا على أولئك غير القادرين على

الدفاع عن أنفسهم؟ أما يسوع المسيح فيعلن بأجلّ وضوح أنه لا أحد يمكنه دخول الملكوت ما لم يصبح هو أو هي مثل طفل.

الجنس دون اعتبار لهبة الحياة أمر باطل

إن روحية عصرنا لا تتعارض فقط مع الروحية الطفولية – روحية البراءة - بل مع الأطفال أنفسهم أيضا. إنها روح الموت، ويمكن رؤيتها في كل مكان في المجتمع العصري: فنراها في ارتفاع معدلات جرائم القتل والانتحار، وفي العنف المنزلي والإساءة الزوجية الواسعة الانتشار، وفي الإجهاض، وفي عقوبة الإعدام، وفي ما يسمى بالقتل الرحيم (أي قتل المرضى أصحاب الأمراض المستعصية بدعوى إراحتهم من الألم). وتبدو حضارتنا أنها مصممة على المضي في طريق الموت، وعلى بسط يدها على ما هو أمر الله. والذنب هو ليس ذنب الدولة فقط.

فكم كنيسة تجيز قتل الأجنّة بحجة دعم حقوق المرأة؟ إن "التحرّر" الجنسي الذي في مجتمع بلادنا قد زرع دمارا هائلا. إنه تحرر زائف مبني على السعي الأناني إلى إشباع الغرائز والمُتع. فهو يتجاهل التأديب وضبط النفس وتحمُّل المسؤولية وما تجلبه هذه الفضائل من تحرر حقيقي. ووفقا لما يصفه أستاذ اللاهوت الجامعي الأمريكي ستانلي هاورواز Stanley Hauerwas فأن هذا التحرر الزائف يعكس "عدم وجود أية قناعة لدينا بضرورة توريث شيء صالح إلى الجيل الجديد... فنحن نشتهي الموت".[32]

والحقيقة بكل بساطة هي أن الغالبية الساحقة من الناس في يومنا هذا ليست لديها وخز ضمير حينما يجري منع أو تدمير حياة إنسان صغير جدا. والأطفال الذين كانوا سابقا أعظم بركة يهبها الله، صار يُنظر إليهم الآن نظرة ماديّة على أساس تكاليفهم: فهم يُعتبرون الآن مثل "عبء" و "تهديد" لحرية وسعادة الفرد.

في الزواج الصالح لا يتجزّأ الحب الزوجي عن إنجاب حياة جديدة لمولود جديد بل هناك صلة وثيقة بين الاثنين:

أَمَا هوَ اللهُ الّذي خَلقَ مِنكُما كائناً واحداً لَه جسَدٌ وروحٌ وماذا يَطلُبُ هذا الكائِنُ الواحدُ إنَّه يَطلُبُ نَسلاً لَه مِنَ اللهِ. فاحذرُوا ولا يَغدُرْ أحدٌ بامرأةِ شبابِهِ. (ملاخي 2: 15).

عندما يصبح الزوج والزوجة جسدا واحدا، فلابد لهذا الزواج أن يصاحبه دائما إدراك وقور بأنه من خلاله قد يولد مولود جديد. وبهذا يصبح الزواج تعبيرا عن الحب الخلاق الذي ينجب، وعهدا يخدم الحياة. لكن كم متزوجا اليوم ينظر الى الجنس بهذه الطريقة؟ لقد جعلت حبة منع الحمل أغلب الناس يرون الاتصال الجنسي أنه مجرد أمر عرضيّ وخالٍ من المسؤولية وخالٍ من العواقب بحسب اعتقادهم.

ونحن كمسيحيين، يجب أن نكون راغبين في التكلم جهرا ضد عقلية منع الحمل التي أصابت بلاد العالم. لأن كثير من الأزواج اليوم استهوتهم العقلية السائدة بشأن الانغماس في الملذات الجنسية وبشأن التخطيط العائلي (الذي يتضمن استخدام وسائل منع الحمل المختلفة للحد من الإنجاب)، ضاربين بفضائل ضبط النفس والتوكل على الله عرض الحائط. إن ممارسة الجنس من أجل المتعة الجنسية فقط حتى لو كانت بالحلال ضمن الزواج فإن الجنس في هذه الحالة سوف يرخِّص من شأن نعمة الزواج من جهة وسوف يعمل على تآكُل فضيلة التضحية بالنفس والنفيس لدى الزوجين من الجهة الأخرى، وهذه الفضيلة هي ضرورية جدا في تربية الأولاد. فالانهماك في الملذات الجنسية وكأنها هي الهدف بحد ذاته دون اعتبار لهبة حياة مولود جديد هو أمر باطل. وهذا معناه غلق الباب أمام الأطفال، وبالتالي احتقار كل من الهبة والوهاب. وهو عكس ما ينطق به الله بلسان النبي أيوب:

وقالَ: "عُرياناً خرَجْتُ مِنْ بَطنِ أُمّي وعُرياناً أعودُ إلى هُناكَ. الرّبُّ أعطى والرّبُّ أخذَ، تبارَكَ اسمُ الرّبِّ". (أيوب 1: 21).

كما قالت الأم تيريزا ذات مرة:

إن إتلاف قوة الإنجاب بواسطة منع الحمل معناه أن كل من الزوج والزوجة يفعل شيئا لذاته هو أو هي. وهذا يحول الانتباه الى الذات، وعليه فهو يتلف نعمة المحبة والعطاء في داخله أو في داخلها. أما المحبة فتعني أن على كل من الزوج والزوجة أن يحول الانتباه من أحدهما الى الآخر، كما يحصل في التخطيط الطبيعي الشرعي للأسرة، وليس الى الذات كما يحصل في منع الحمل.

إن منع الحمل بوسائله المحرمة يمنع الزوجين اللذين صارا جسدا واحدا من اكمال تحقيق هدف زواجهما وإنجابهما للأطفال، وبناء على ذلك يجب أن تتقزز نفسنا من السلوك الذي يدفعنا باستمرار إلى تجنب مسؤولية الحمل والإنجاب.

ولا نرمي من كل هذا إلى دعوة الناس إلى الإنجاب بصورة غير مسؤولة، أو الإنجاب على حساب صحة الأم وعافيتها. ثم إن حجم الأسرة ومباعدة المدة بين الولادات هي مسألة في غاية الأهمية. ويقع على عاتق كل زوجين مسؤولية النظر في هذه المسألة أمام الله بالصلاة والوقار لاسترشاد القرار الصائب لهما. لأن الولادات المتقاربة جدا قد تشكل حملا ثقيلا جدا على الأم. وهنا يجب على الزوج أن يظهر احتراما مملوء بالمحبة والتفهُّم لزوجته في هذا الموضوع. ومرة أخرى علينا التشديد على ضرورة التفات الزوجين الى الله بإيمان ليضعا لديه كل مخاوفهما ومجهولية مستقبلهما، كما يوصينا الرب يسوع المسيح:

إسأَلُوا تُعطَوا، إطلُبوا تَجِدوا، دُقّوا البابَ يُفتحْ لكُم. فمَن يَسأَلْ يَنَلْ، ومَنْ يَطلُبْ يَجِدْ، ومَنْ يَدُقَّ البابَ يُفتَحْ لَه. (متى 7: 7-8).

فإذا كنا منفتحين على إرشاد الله لنا، فأنا على يقين بأنه سوف يرينا الطريق.

إن إجهاض أي طفل هو سخرية من الله

إن عقلية منع الحمل ما هي سوى تجسيد لروح الموت التي تجعل من الحياة الجديدة لمولود جديد غير مرحب بها في بيوت كثيرة جدا. فاليوم توجد حرب خفيّة يدور رحاها في كل بقعة من بقاع العالم، وهي حرب معادية للحياة. فالكثير من الأرواح الصغيرة يجري انتهاكها وإبادتها. ومن بين التي لم يتم منعها من الدخول الى العالم عن طريق وسائل منع الحمل، فهناك عدد مهول منها يجري القضاء عليها بدون رحمة عن طريق الإجهاض!

إن تفشي الإجهاض في مجتمعات البلاد قد وصل الى درجة كبيرة، بحيث صارت حتى مذبحة هيرودس للأطفال الأبرياء (في زمن ولادة السيد المسيح) تبدو تافهة أمامها. إن الإجهاض هو جريمة قتل – بدون أية استثناءات. فلو كانت هناك استثناءات لصارت رسالة الإنجيل متناقضة مع نفسها وبدون معنى. ونرى حتى في العهد القديم من الكتاب المقدس (وهو عن زمن ما قبل مجيء السيد المسيح) نراه يذكر بوضوح أن الله يكره سفك الدم البريء:

هُناكَ سِتَّةٌ يُبغِضُها الرّبُّ، بل سَبعةٌ تَمقُتُها نفسُهُ عينانِ مُتعاليتانِ ولِسانٌ كاذبٌ، ويَدانِ تَسفُكانِ الدَّمَ البريءَ، (أمثال 6: 16-17).

إن الإجهاض يقضي على الحياة ويسخر من الله الذي على صورته يخلق الله كل جنين.

وتوجد آيات عديدة في العهد القديم من الكتاب المقدس تتحدث عن حضور الله الفعال في كل حياة بشرية، حتى وهي لاتزال في طور التكوين كجنين في الرحم. جاء في سفر التكوين 4: 1 أن حواء بعد أن حملت وولدت قايين قالت: "رَزَقَني الرّبُّ ابناً"، ولم تقل رزقني آدم بل "رَزَقَني الرّبُّ". ونقرأ في مزمور 139:

أنتَ مَلكْتَ قلبي، وأدخَلْتَني بَطْنَ أُمّي. أحمَدُكَ لأنَّكَ رَهيبٌ وعجيبٌ. عجيبةٌ هي أعمالُكَ، وأنا أعرِفُ هذا كُلَّ المَعرِفةِ. ما خَفِيَت عِظامي

علَيكَ، فأنتَ صَنَعْتَني في الرَّحِمِ، وأبدَعْتَني هُناكَ في الخَفاءِ. رأتْني عيناكَ وأنا جَنينٌ، وفي سِفْرِكَ كُتِبَت أيّامي كُلُّها وصُوِّرَت قَبلَ أنْ يكونَ مِنها شيءٌ. (مزمور 139: 13-16).

ويهتف أيوب قائلا:

أمَا صانِعي في البَطنِ صانِعُهُ، وواحِدٌ صَوَّرَنا في الرَّحِمِ؟ ... يَداكَ كَوَّنَتاني وصنَعَتاني، فلماذا تَلتَفِتُ وتَمحَقُني؟ مِنَ الطِّينِ جبَلتَني، تَذَكَّرْ والآنَ إلى التُّرابِ تُعيدُني. سكبتَني كاللَّبَنِ الحليبِ وجعَلتَني رائِباً كالجُبْنِ. كسَوتَني جِلْداً ولَحماً وحَبكتَني بِعِظامٍ وعصَبٍ. منَحتَني حياةً ورَحمةً، وعِنايَتُكَ حَفِظَت رُوحي. (أيوب 31: 15 وَ 10: 8-12).

وقال الله للنبي إرميا:

قَبلَ أنْ أُصوِّرَكَ في البَطْنِ اختَرتُكَ، وقَبلَ أنْ تَخرُجَ مِنَ الرَّحِمِ كَرَّستُكَ وجعَلتُكَ نبيًّا للأُمَمِ. (إرميا 1: 5).

ونقرأ أيضا في العهد الجديد من الكتاب المقدس (وهو عن زمن السيد المسيح) أن الأجنّة يدعوها الله من قبل أن تولد:

ولكِنَّ اللهَ بِنِعمَتِهِ اختارَني وأنا في بَطنِ أُمّي فدَعاني إلى خِدمَتِهِ (غلاطية 1: 15).

بالإضافة إلى ذلك فإن مواهب الناس الفريدة قد تم التنبؤ بها وهم لا يزالون في بطن أمهم. وربما نجد أروع الآيات عن الجنين في إنجيل لوقا:

فلمَّا سَمِعَت أليصاباتُ سلامَ مَريَمَ، تحرَّكَ الجَنينُ في بَطنِها، وامتلأت أليصاباتُ مِنَ الرُّوحِ القُدُسِ، فهَتفَت بِأعلى صَوتِها: مُبارَكَةٌ أنتِ في النِّساءِ ومُبارَكٌ ابنُكِ ثَمرةُ بَطنِكِ! مَنْ أنا حتى تَجيءَ إليَّ أُمُّ رَبّي؟ ما إنْ

سَمِعتُ صوتَ سَلامِكِ حتى تَحرَّكَ الجَنينُ مِنَ الفرَحِ في بَطني. (لوقا 1: 41-44).

هنا نرى جنينا وهو يوحنا المعمدان، الذي كان بشيرا ليسوع المسيح، يتحرك في بطن أمه أليصابات في اعتراف بيسوع، الذي حَبِلت به والدته السيدة مريم العذراء القديسة بقوة الروح القدس مجرد قبل أسبوع أو أسبوعين من لقاء أليصابات مع مريم العذراء. فلذلك أمامنا هنا جنينان: أحدهما لديه القدرة على التجاوب مع الروح القدس، والآخر – المسيح بنفسه – حبلت به أمه بقوة الروح القدس:

وبَينَما هوَ يُفَكِّرُ في هذا الأمْرِ، ظَهَرَ لَه مَلاكُ الرَّبِّ في الحُلُمِ وقالَ لَه: "يا يوسفُ ابنَ داودَ، لا تخَفْ أنْ تأخُذَ مَرْيمَ امرأةً لكَ. فَهِيَ حُبْلى مِنَ الرّوحِ القُدُسِ، وسَتَلِدُ ابناً تُسمّيهِ يَسوعَ، لأنَّهُ يُخَلِّصُ شعْبَهُ مِنْ خَطاياهُمْ". حَدَثَ هذا كُلُّه لِيَتِمَّ ما قالَ الرَّبُّ بِلِسانِ النَّبيّ: "سَتحْبَلُ العَذْراءُ، فتَلِدُ ابْناً يُدْعى عِمّانوئيلَ"، أي اللهُ مَعَنا. (متى 1: 20-22).

من الواضح أن الفكرة التي مفادها أن الحياة الصغيرة الجديدة لا تتشكل ولا تتكون إلا من خلال شيء مادي أو جسدي هي فكرة زائفة تماما. لأن الله سبحانه تعالى هو الذي يعمل على إحلال الحياة في الرحم:

إليكَ استَنَدْتُ مِنَ الرَّحِمِ، ومِنْ أحشاءِ أُمّي أنتَ كِفايَتي، ولكَ أُهَلِّلُ في كُلِّ حينٍ. (مزمور 71: 6).

أما الإجهاض فهو يدمر دائما عمل الله هذا.

ولهذا السبب رفضت الكنيسة الأولية الإجهاض عالميا، وأطلقت عليه اسم "قتل الوليد". وكتاب ديداخي Didache - ومعناه تعليم الرسل الاثني عشر - (الذي يضم التعاليم الأولى للكنيسة لتعليم المسيحيين المهتدين الجدد، حوالي سنة 100م) لا يترك أي مجال للشك في ذلك، فيقول: "لا تقتل طفلا بالإجهاض، ولا تقتل طفلا حديث الميلاد". ويكتب إكليمندس

الإسكندري Clement of Alexandria (وهو من آباء الكنيسة الأولية حوالي 150م - حوالي 215م) حتى أنه يقول أن كل الذين يشتركون في الإجهاض "يفقدون إنسانيتهم كليا مع الجنين".[33]

فأين صار وضوح الكنيسة اليوم إذن؟ أن حرب الوحشية والموت التي تشن ضد الأطفال الأبرياء الذين لم يلِدوا بعد، قد أصبحت – حتى بين الذين يسمون مسيحيين – حقيقية واقعة بفظائعها المروّعة وأساليبها البربرية المتسترة تحت قناع الطب والقانون أو حتى التي يجري "تبريرها" بسبب شتى أنواع الظروف.

من نحن لنحكم فيما إذا كانت الحياة مرغوب فيها أو لا؟

أنا أعلم بأنه من غير المستحب قول أن الإجهاض جريمة قتل. وأعلم بأن الناس سيقولون بأنني بعيد عن الواقع - وأنه حتى بعض اللاهوتيين المسيحيين قد سمحوا ببعض الأعذار التي تبيح الإجهاض. لكني أؤمن بأن الله لا يسمح بذلك أبدا. فناموس الله هو ناموس محبة. ويبقى ثابتا الى الأبد مهما تغيرت الأزمنة والظروف: "لاَ تَقْتُلْ". (خروج 20: 13).

إن الحياة البشرية مقدسة من الحمل الى الموت. فلو آمنا بهذا حقا، لما وافقنا على الإجهاض مطلقا مهما كانت الأسباب؛ ولن يثنينا عن موقفنا هذا حتى أكثر الحجج إقناعا سواء كانت حجة التقليل من "نوعية الحياة" (الخاصة برفاهية الأبوين) أو التشوه الجسدي الشديد للطفل أو التخلف العقلي للطفل. فمن نحن لنقرر: أينبغي لهذه الروح الصغيرة أن ترى النور أم لا؟ لأنه وفقا لفكر الله فأن الإعاقة الجسدية والعقلية يمكن أن تُسخَّر لمجد الله، كما يعلمنا الإنجيل:

وبَينَما هوَ في الطَّريقِ، رأى أعمى مُنذُ مَولِدِهِ. فسألَهُ تلاميذُهُ يا مُعَلِّمُ، مَنْ أخطأَ أهذا الرَّجُلُ أم والداهُ، حتى وُلِدَ أعمى. فأجابَ يَسوعُ لا هذا الرَّجُلُ أخطأَ ولا والداهُ. ولكنَّهُ وُلِدَ أعمى حتى تَظهَرَ قُدرةُ اللهِ وهيَ تَعمَلُ فيهِ. (يوحنا 9: 1-3).

وقال الله أيضا في الكتاب المقدس:

فقالَ لَه الرّبُّ مَنِ الذي خلَقَ للإنسانِ فَماً ومَنِ الّذي خلَقَ الأخرسَ أوِ الأصمَّ أوِ البَصيرَ أوِ الأعمى أما هوَ أنا الرّبُّ. (خروج 4: 11).

كيف نتجرّأ على أن نحكم ونقرر من هو المرغوب فيه ومن هو غير المرغوب فيه؟ إن جرائم الرايخ الثالث (أو الإمبراطورية الثالثة التي هي ألمانيا النازية من 1933 – 1945م) - حين كان يُسمح للأطفال الرضع من العرق النوردي "الصالحين" بأن تجري تربيتهم في حضانات خاصة، في حين كان المعاقون ذوو العاهات الخِلقية من الأطفال الرضع والأولاد والبالغين يجري إرسالهم الى غرف الغاز السام - فهذه الجرائم يجب أن تصير تحذيرا كافيا لنا. وكما يكتب ديتريش بونهوفر Dietrich Bonhoeffer (وهو القسيس الألماني المعروف الذي سجنه هتلر في الثلاثينيات من القرن الماضي):

إن أي تمييز بين الحياة التي تستحق مواصلة الوجود والحياة التي لا تستحق سيعمل لا محالة على تدمير الحياة نفسها، عاجلا أو آجلا.[34]

والحق أنه حتى عندما تكون حياة الأم الحامل في خطر، فإن الإجهاض هو ليس الحل أبدا. ففي نظر الله تتساوى قدسية حياة كل من الجنين والأم. أما اقتراف الشر "ليتسنى للخير أن يأتي" فهذا معناه أننا نضع سيادة الله وحكمته في قبضتنا:

وإذا كانَ ضَلالُنا يُظهِرُ صلاحَ اللهِ، فماذا نَقولُ؟ أيكونُ اللهُ ظالِمًا إذا أنْزَلَ بِنا غضَبَه؟ وهُنا أتكلَّمُ كإنسان. كلاّ وإلاَّ فكَيفَ يَدينُ اللهُ العالَمَ؟ وإذا كانَ كَذِبي يَزيدُ ظُهورَ صِدقِ اللهِ مِنْ أجلِ مَجدِهِ، فَلِماذا يَحكُمُ عليَّ اللهُ كما يَحكُمُ على الخاطِئِ؟ ولِماذا لا نَعمَلُ الشَّرَّ ليَجيءَ مِنهُ الخَيرُ؟ كما يَفتَري علَينا بَعضُهُم، فيَزعمونَ أنَّنا نَقولُ بِه هَؤلاءِ عِقابُهُم عادِلٌ. (رومة 3: 5-8).

وفي مثل هذه المواقف العصيبة، يجب على الزوجين أن يتوجها الى شيوخ كنيستهم، مثلما يوصي الإنجيل:

هَلْ فيكُم مَحزونٌ؟ فَليُصَلِّ. هَلْ فيكُم مَسرورٌ؟ فليُسَبِّحْ بِحَمدِ اللهِ. هَلْ فيكُم مَريضٌ؟ فليَستَدعِ شُيوخَ الكَنيسَةِ ليُصَلُّوا علَيهِ ويَدهنوهُ بِالزَّيتِ باسمِ الرَّبِّ. فالصَّلاةُ معَ الإيمانِ تُخَلِّصُ المَريضَ، والرَّبُّ يُعافيهِ. وإنْ كانَ ارتكَبَ خَطيئَةً غَفَرَها لَه (يعقوب 5: 13-15).

هناك قدرة عظيمة وستر كبير في صلاة الكنيسة المتوحدة، وأيضا في الإيمان لتتم مشيئة الله فيما يتعلق بحياة كل من الأم وجنينها. ففي نهاية المطاف - أقولها بارتعاد - فان إيمان كهذا هو ما يهم؛ "...لتَكُنْ مَشيئَتُكَ..." (متى 6: 10).

يجب أن نقدم بدائلا وليس إدانة أخلاقية

لا يمكننا كمسيحيين أن نطالب ببساطة وضع حدّ للإجهاض دون تقديم بديل إيجابي. ويكتب ايبرهارد آرنولد Eberhard Arnold (وهو علامة لاهوتي ومؤسس حركة برودرهوف المسيحية Bruderhof للحياة المسيحية المشتركة) فيقول:

قد يطالب فلاسفة الأخلاق – ذوو المنطق البشري - أن تكون الحياة الجنسية عفيفة عن طريق الإصرار على العِفّة قبل الزواج وبعده. لكن حتى أفضل هؤلاء الفلاسفة سيكون مراءٍ وظالم مالم يبيّن بوضوح الأساس الفعلي لمثل هذه المطالب. فعندما لا يؤمن الناس بملكوت الله تبقى كثير من الأشياء غير آمنة بما فيها حياة الجنين الابتدائية. وحضارتنا المعاصرة التي تُعتبر راقية ستستمر في ممارسة هذه المجزرة طالما بقيت الفوضى الاجتماعية وعدم المساواة الاجتماعية قائمة. فلا يمكن مكافحة الإجهاض ما لم نغيّر أسلوب حياتنا الخاصة والعامة عن أسلوبنا الحالي المتقوقع والأناني.

فلو أردنا محاربة الجشع والتكالب على الماديات والغش والخداع وظلم التمييز الاجتماعي، لوجب علينا محاربتها بوسائل عملية من خلال إظهار أن أسلوبا مختلفا من الحياة ليس فقط قابلا للتحقيق، بل في الواقع موجودا أيضا. وإلا فإنه لا يمكننا المطالبة لا بالعفاف في الزواج ولا بوضع حد للإجهاض؛ بل لا يسعنا حتى أن نتمنى لخيرة العائلات أن تتبارك بأطفال كثيرين، مثلما ترمي إليه قوى الله الخلاقة.[35]

هنا قد فشلت الكنيسة فشلا ذريعا. فهناك الكثير من الأمهات المراهقات اللواتي يتواجهن مع هذه المسألة يوميا، ومع ذلك لا يحصلن على أي إرشاد روحي، ولا أي دعم معنوي أو مادي. وكثيرات يشعرن بأنه ليس لديهن خيار آخر سوى الإجهاض: لأن بعضهن كان ضحية المضايقات الجنسية؛ وبعضهن يخشى غضب الصديق Boyfriend؛ أو ضغوط الوالدين الذين يقولون لهن أنهن إذا جئن بالطفل فلا يمكنهن العودة الى المنزل.

عندما تحدثتْ الكاتبة الأمريكية من الطائفة الارثوذكسية فريدريكا ماثيوس–جرين Frederica Mathewes-Green مع جماعات من النساء كانت لهن حالات إجهاض، اكتشفت الكاتبة جوابا أجمعت عليه تلك النساء بشأن السبب الكامن وراء اقترافهن للإجهاض، ألا وهو الضغط الناجم عن العلاقات في كل حالة تقريبا. فإن النساء – كما تقول – لا يُرِدن الإجهاض بل يُرِدن الدعم والأمل، وتردف فريدريكا قائلة:

لقد وجدتُ أن المرأة تميل في الغالب الى اختيار الإجهاض لكي ترضي أو تحمي الناس الذين تهتم بهم. فغالبا ما تكتشف المرأة بعد فوات الأوان أنه يوجد شخص آخر له عليها التزامات، وهو جنينها. والحزن الذي يلي الإجهاض ينبع من قناعتها بأنها قد غدرت بطفلها غدرا مميتا عندما كانت تعيش أزمة وقتذاك.

إن تقديم الدعم والمساندة إلى النساء اللاتي يجدن أنفسهم في حمل غير متوقع يعني الاستمرار بفعل كل ما تفعله مراكز رعاية

الحمل: أي توفير السكن والرعاية الطبية والملابس والمشورة وما الى ذلك. لكننا يجب أن نتذكر أيضا بأن نصبح بمثابة الصديق المخلص الذي يكرس نفسه لخدمتهن، وهي أهم مساعدة نقدمها لهن، بالإضافة إلى أن نفعل كل ما في وسعنا لإصلاح العلاقات ضمن عائلاتهن.[36]

لكن في التحدث جهرا ضد الإجهاض، علينا أن لا ننسى أن هناك خطايا أخرى تسبب الحزن والعذاب أكثر من الإجهاض. وعدد قليل جدا من النساء اليوم يُقدم لهن حلولا بديلة عن الإجهاض قابلة للتطبيق، وينعدم تقريبا بين تلك البدائل أي بديل يشير الى الله الذي هو وحده القادر على سدّ حاجتهن. والمرأة التي قد قامت بالإجهاض تعاني من عذاب مبرح للضمير، ولا يمكن شفاء عزلتها وألمها غير المحدود إلا عند الصليب – إلا بالمسيح. ويحتاج المسيحيون إلى أن يتحسسوا بهذا الألم الفظيع الذي تحمله الكثير من النساء في قلوبهن على أطفالهن المفقودين. فمن منا يتجرّأ على أن يرمي الحجر الأول؟ مثلما قال الرب يسوع:

فلمَّا ألحُّوا علَيهِ في السُّؤالِ، رفَعَ رأسَهُ وقالَ لهُم مَنْ كانَ مِنكُم بِلا خَطيئَةٍ، فَليَرْمِها بأوّلِ حجَرٍ. (يوحنا 8: 7)

ويل لنا لو صار تعاملنا في يوم من الأيام فاترا وقاسي القلب مع امرأة اقترفت إجهاض!

إن الله يحب الجنين حبا متميزا جدا. وفوق كل هذا، فإن الله أرسل ابنه الوحيد، يسوع المسيح، الى الأرض بهيئة طفل، من خلال رحم أم. ومثلما أشارت الأم تيريزا قائلة أنه حتى لو انقلبت الأم على جنينها فلن ينساه الله. فقد جَبَل الله كل طفل براحة يديه، ولديه خطة لكل حياة، ليس فقط على الأرض بل في الأبدية أيضا. أما لأولئك اليائسين بالدرجة التي تدفعهم الى عرقلة خطة الله فنقول لهم مع الأم تيريزا:

أرجوك لا تقتل الطفل، إني أريد الطفل. أرجوك أعطني الوليد.

ماذا عن الطلاق والزواج الثاني؟

مَنْ طَلَّقَ امرأتَهُ وتَزوَّجَ غَيرَها زَنى، ومَنْ تزَوَّجَ امرأةً طَلَّقَها زَوجُها زَنى.

لوقا 16: 18

مسألة الطلاق والزواج الثاني تُعتبر على الأرجح من أصعب القضايا التي تواجه الكنائس المسيحية في عصرنا هذا. لقد أصبح من الصعب إيجاد ناس متزوجين يأخذون الكلام التالي على محمل الجد: "ما جمَعَهُ اللهُ لا يُفرّقُهُ الإنسانُ" – أي بمعنى متزوجين يؤمنون بأن الزواج يعني الوفاء بين رجل واحد وامرأة واحدة، الى أن يفرّق الموت بينهما، كما يقول الرب يسوع:

فلا يكونانِ اثنينِ، بل جسَدٌ واحدٌ. وما جمَعَهُ اللهُ لا يُفرّقُهُ الإنسانُ. (متى 19: 6).

قد يتصدّع رباط الزواج، لكن لا يمكن حلّه أبدا

يؤمن غالبية المسيحيين اليوم بأن الطلاق والزواج الثاني أمران مسموح بهما أخلاقيا وكتابيا. ويجادلون بأنه رغم أن الله يكره الطلاق، إلا أنه يسمح به من قبيل التنازل نظرا لحالتنا البشرية الخاطئة. ويفسرون ذلك بالقول: أنه بسبب قساوة قلوبنا يمكن أن يُفسَخ الزواج أو يُحَلّ. وبعبارة

أخرى، أن الله يعرف ضعفنا ويقبل حقيقة أننا لا يمكننا تحقيق المثالية دائما ونحن نعيش في عالم ساقط. وأنه بفضل غفران الله يمكن للمرء دائما أن يبدأ من جديد، حتى لو كان زواجا جديدا.

لكن ماذا عن الرباط المتعهَّد به بين اثنين والمعقود أمام الله، سواء كان بمعرفة أو بغير معرفة؟ هل سبق أن عَفَى غفران الله إمكانية التنكر لهذا العهد؟ هل سبق أن سمح الله بالخيانة؟ لأنه مثلما وحدة الكنيسة أبدية ولا تتغير، فهكذا الحال مع الزواج الحقيقي، فهو يعكس هذه الوحدة ولا فكاك منه. وأنا أؤمن، مثل إيمان المسيحيين الأوائل، بأنه طالما كان الزوجان على قيد الحياة فلا يجوز أن يكون هناك زواج ثان بعد الطلاق. إن ما جمعه الله في وحدة الروح القدس لا يمكن أن يفرقه إلا الموت. والخيانة الزوجية سواء كانت من أحد الزوجين أو من كليهما لا تغير من هذا شيئا. فلا يوجد أي شخص مسيحي له الحرية ليتزوج من شخص آخر مادامت قرينته (أو قرينها) لا تزال حية. فرباط الوحدة الزوجية مهدّد بالضياع.

يبين الرب يسوع بوضوح أن النبي موسى قد سمح بالطلاق في ظل الناموس بسبب قساوة القلب:

> فأجابَهُم يَسوعُ لِقساوَةِ قُلوبِكُم أجازَ لكُم موسى أنْ تُطلِّقوا نِساءَكُم. وما كانَ الأمرُ مِنَ البَدءِ هكذا. (متى 19: 8).

لكن الآن، بين تلاميذ السيد المسيح - أولئك المولودين من الروح القدس - لم تعد قساوة القلب عذرا مقبولا. لقد قال النبي موسى:

> مَنْ طَلَّقَ امرأتَهُ، فلْيُعطِها كِتابَ طَلاقٍ.

لكن الرب يسوع قال:

> أمّا أنا فأقولُ لكُم مَنْ طلَّقَ امرأتَهُ إلاَّ في حالَةِ الزِّنَى يجعلُها تَزْني، ومَنْ تَزوَّجَ مُطلَّقةً زنَى. (متى 5: 31-32).

وقد فهم التلاميذ هذا الكلام القاطع ليسوع فهما كاملا، كما يتضح من تعقيبهم:

فقالَ لَه تلاميذُهُ إذا كانَت هذِهِ حالُ الرَّجُلِ معَ المرأةِ، فخَيرٌ لَه أنْ لا يتَزوَّجَ. (متى 19: 10).

لقد أذِن موسى بالطلاق انطلاقا من ضرورة محضة، لكن هذا لا يمكنه أن يغيّر الحقيقة وهي أنه منذ البدء كان المقصود من الزواج أن يكون مؤبدا لا ينفصم. أن الزواج لا يمكن أن يُحَلّ (حتى لو تصدَّع)، لا من قِبل الزوج الذي يهجر زوجته الخائنة، ولا من قِبل الزوجة التي تهجر زوجها الخائن. فنظام الله لا يمكن أن يُلغى بِسهولة أو بِطَيش.[37]

ويكتب القديس بولس الرسول بالوضوح نفسه الى أهل كورنثوس فيقول:

وأمَّا المُتزوِّجونَ فوَصيَّتي لهُم، وهيَ مِنَ الرَّبِّ لا مِنّي، أنْ لا تُفارِقَ المرأةُ زَوجَها، وإنْ فارَقَتْهُ، فلْتَبقَ بِغَيرِ زَوجٍ أو فَلتُصالِحْ زَوجَها، وعلى الزَّوجِ أنْ لا يُطَلِّقَ امرأتَهُ. (1 كورنثوس 7: 10-11).

ويكتب أيضا:

تَرتَبِطُ المرأةُ بِشَريعةِ الزَّواجِ ما دامَ زَوجُها حيّا، فإنْ ماتَ عادَتْ حُرَّةً تتزَوَّجُ مَنْ تَشاءُ، ولكِنْ زَواجًا في الرَّبِّ. (1 كورنثوس 7: 39).

ويقول في الرسالة الى رومة:

وإنْ صارَتْ إلى رَجُل آخَرَ وزَوجُها حَيٌّ، فَهيَ زانيةٌ. ولكِنْ إذا ماتَ زَوجُها تَحرَّرَتْ مِنَ الشريعةِ، فلا تكونُ زانِيةً إنْ صارَتْ إلى رَجُل آخَرَ. (رومة 7: 3).

ولأن الزنى هو خيانة للاتحاد العجيب بين رجل واحد وامرأة واحدة اللذين صارا جسدا واحدا، فهو يشكل أسوأ أشكال الخداع. وعلى مجتمع الكنيسة أن يتواجه بصلابة مع الزنى، ويجب أن يدعو الزاني للتوبة وكذلك يجب أن يؤدب، بحسب توجيه الإنجيل:

شاعَ في كُلِّ مكان خَبَرُ ما يَحدُثُ عِندكُم مِنْ زِنًى، وهوَ زِنًى لا مَثيلَ لَه حتى عندَ الوَثنيّينَ رجُلٌ مِنكُم يُعاشِرُ زَوجَةَ أبيهِ. ومعَ ذلِكَ فأنتُم مُنتَفِخونَ مِنَ الكِبرياءِ وكانَ الأولَى بِكُم أنْ تَنوحوا حتى تُزيلوا مِنْ بَينِكُم مَنِ ارتكَبَ هذا الفِعلَ. أمَّا أنا، فغائِبٌ عَنكُم بالجَسَدِ ولكِنّي حاضِرٌ بالرُّوحِ، فحَكَمْتُ كأنّي حاضِرٌ على الذي فعَلَ هذا الفِعلَ. فعِندَما تَجتَمِعونَ، وأنا مَعكُم بالرُّوحِ، باسمِ رَبّنا يَسوعَ وقُدرَتِهِ، سَلِّموا هذا الرَّجُلَ إلى الشَّيطانِ، حتى يَهلِكَ جَسَدُهُ، فتَخلُصَ رُوحُهُ في يومِ الرَّبِّ. (1 كورنثوس 5: 1-5).

الوفاء والمحبة
هما العلاج لرباط الزواج المتصدِّع

من الجدير بالذكر أنه حتى لو كان الرب يسوع يسمح بالطلاق لسبب الزنى أو الفحشاء، إلا أن ذلك يجب أن لا يكون أبدا نتيجة حتمية أو ذريعة للزواج مرة ثانية. لأن محبة الرب يسوع المسيح تصالح وتغفر. أما الذين يسعون إلى الطلاق فسوف يحسون دائما بغصة استياء مرّة في ضميرهم. ومهما يبلغ الألم النفسي الذي يسببه الشريك الخائن يجب على الشريك المجروح أن يكون مستعدا ليصفح ويغفر. ولن يكون لنا رجاء في مغفرة الله لخطايانا الشخصية إلا عندما نغفر للآخرين، كما قال لنا الرب يسوع:

فإنْ كُنتُم تَغفِرونَ لِلنّاسِ زَلاّتِهِم، يَغفِرْ لكُم أبوكُمُ السَّماويُّ زلاّتِكُم. وإنْ كُنتُم لا تَغفِرونَ لِلنّاسِ زلاّتِهِم، لا يَغفِرُ لكُم أبوكُمُ السَّماويُّ زلاّتِكُم. (متى 6: 14-15).

إن المحبة الوفيّة لشريك الحياة، ولكن بالأخص للسيد المسيح، هي العلاج الوحيد لرباط الزواج المتصدّع.

إن الزوجين كِنتْ وايمي Kent & Amy اللذان يخدمان حاليا معا ضمن كنيسة واحدة في ولاية كولورادو الأمريكية، كانا مرة أحدهما مطلّق من الآخر. وكان وضعهما يائسا الى أقصى درجة يمكن أن يصل إليها زواج. لكن لأنهما أبقيا الباب مفتوحا أمام المسيح فقد تمكن أحدهما أن يعود إلى الآخر ثانية. ويحكي لنا كِنتْ قصته فيقول:

منذ اليوم الأول، كان زواجنا ينطوي على مشاكل هائلة، وبدأنا ثلاث سنين من الانحدار في دوامة من الاضطراب الكلي. وكنت أظن أن الزواج مجرد فرصة للتنزه معا والاستمتاع معا. فلم يكن لدي أية فكرة عن العمل الشاق الذي يتطلّبه الزواج. أخيرا أصبحتُ مجرد هيكل إنسان، بل إنني في بعض الأحيان كنت أحتقر الحياة. وحاولت القيام بجميع الأمور "الروحية" التي يُفترض أن يقوم بها المرء في ظروفي: مثل قراءة الكتاب المقدس والصلاة واستشارة الآخرين. لكن جميعها بدت بلا جدوى. فلقد جئنا أنا وايمي من خلفيات متناقضة تماما، ورغم محاولاتنا المضنية لم نقدر أن نتفاهم.

وتفاقم الألم بدرجة كبيرة حتى أننا قررنا أن ننفصل، ونبدأ في إجراءات الطلاق. وكان هذا عكس تربية كنيستي تماما، لكنني شعرت بأنني محاصر في فخ يائس وعليّ أن أخرج منه. وبالرغم من أننا قررنا الطلاق إلا أن العذاب النفسي ظل مستمرا. وأصبحتُ مرهقا نفسيا لدرجة أنه كانت تمر بي أيام أنهض في الصباح منهوك القوى ولا يمكنني حتى أن أزرّر قميصي. ونظرا لعجزي في مجاراة الأمور فقد اِستقَلت من عملي كقسيس. وكانت ايمي طوال هذه المدة مدمَّرة كليا. وكنت أعرف أنه كان بودها أن تتحسن الأمور، لكن كان الأمر بالنسبة لي أكبر من طاقتي لأتحمله وأتعامل معه. وبالرغم من تعهداتنا للمسيح وأحدنا للآخر، فقد ضعنا كلانا تماما.

وكمحاولة لعلاج آلامي لجأت الى العمل. فقد أدركت أنني سأصبح خاملا وكسولا لو اخترت البطالة أو لو دخلت في علاقة أخرى. لذلك أخذت أعمل وأعمل وأعمل. وأنا أعتقد بأنني وايمي حاولنا أن نثق بالله في قرارة نفسينا ونتوكل عليه، لكنني شخصيا كنت أقسم يوميا بيني وبين نفسي أن لا أعود معها مرة ثانية. وفي كل مرة حاولنا فيها التحدث لتصفية الأمور، كان الحديث ينتهي بالمشاجرة. لقد كان حالنا ميؤوسا منه.

لقد وصلت الى حد لم أعد أستطيع فيه حتى الالتفات الى الله. فقد أصبح كل شيء لا فائدة منه، وميتا: وتوالت أسئلة اليأس والشك، "هل بقي شيء يستدعي الاهتمام؟ ثم لماذا كنت أعمل بكل هذه المشقة أساسا؟ ومن الذي كنت أحاول خداعه؟ ولماذا الاستمرار في محاولة العمل بمشيئة الله إذا كان لم ينتج عنها أي شيء صالح؟

لكن في وقت متأخر من إحدى الليالي، وعندما فرغت من العمل، شدّ نظري منظر القمر الساطع والنجوم المتلألئة في كبد السماء. وشيء ما اختطف قلبي، وشعرت من جديد بجبروت الله ورحمته. وما هي إلا ثوانٍ حتى أجهشت في البكاء. وفي وسط كل آلامي ويأسي بدأت أشعر ربما لأول مرة في حياتي بحاجتي الحقيقية وبمحبة الله الواسعة غير المشروطة. وبالرغم من عدم وفائي بوعودي لله ولزوجتي، ألا أن الله تعالى أكد لي أنه ما زال وفيا لي وأنه لم يتخل عني ولم يقطع أمله فيّ. وكانت تلك الليلة نقطة تحول حقيقية في حياتي. فقد بدأ شيء في داخلي يتغير بفضل معجزة النعمة الإلهية.

وكنت أتمنى لو كانت هناك معجزات كثيرة لتجمعنا أنا وايمي ثانية. لكن لم يحدث شيء من هذا القبيل. فقد عاد أحدنا إلى الآخر عن طريق بذل الكثير من الجهود الشاقة. فلم تكن عملية الالتئام ولمّ شمل الأسرة فورية؛ بل استغرقت عامين. لأنه كان يترتب علينا أن نحكي معا بخصوص الكثير من الأمور، وأن يغفر ويسامح أحدنا الآخر كثيرا. ولكن كلما كنا نحكي مع بعض ويفتح أحدنا قلبه للآخر كان يزول

قدر كبير من العذاب والحواجز النفسية التي كانت موجودة من قبل. وأخيرا، نجانا الله وحده، وليس سواه. فهو الذي أعاننا لكي نبقي الباب مفتوحا له وأحدنا للآخر - بالرغم من ضعفنا البشري. وهو الذي نجانا من فخ الاكذوبة المنصوبة لنا في مثل ظروفنا، التي مفادها أن أفضل طريقة لحلّ المشاكل هو عن طريق إقامة علاقة مع شخص آخر أكثر ملائمة من الأول.

ولا يزال زواجنا يمر عبر مناطق وعرة. وربما لن تنتهي المناطق الوعرة. بالإضافة إلى أننا – أنا وزوجتي - لا نزال نختلف كثيرا أحدنا عن الآخر. ولو ركّزت تفكيري زيادة عن اللزوم في نقاط ضعفي أو نقاط ضعف زوجتي فسوف لا أتحمل الوضع وسوف أهرب وبالتالي سوف ننفصل، لكن الشيء الذي يجمعنا ويحافظ على الحب بيننا هو وفاء الله وإحسانه. وهذا الوفاء الإلهي هو الذي يحفظ نظري مثبتا على مشيئته ويجعلني ملتزما بوعودي.

بطبيعة الحال، ليس كل صراع زوجي ينتهي نهاية سعيدة مثلما حدث مع الزوجين كِنتْ وايمي. ففي كنيستي على سبيل المثال، سبق وأن حدث عدة مرات أن يصبح أحد الأزواج خائنا ويطلّق شريكه ويهجر مجتمع الكنيسة ويتزوج ثانية. وفي كل مرة تقريبا كان الشريك المتروك يقرر أن يبقى في مجتمع الكنيسة وفيا بعهد عضويته في الكنيسة وبعهد الزواج. وبالرغم من أن هذا القرار يعتبر خيارا مؤلما طبعا - ويكون الألم مضاعفا في حالة وجود أطفال – لكنه جزء من الثمن الباهض الذي يدفعه المسيحي عندما يسير في طريق المسيح. فإن آمنا بالله، فسوف يهبنا القوة على الثبات.

عند كل زواج يحدث في مجتمعات كنيستنا، يُسأل الشريكان هذا السؤال الذي صاغه جدي ايبرهارد آرنولد Eberhard Arnold - القسيس الألماني الذي ناهض السياسة التعسفية للحكومة النازية في ألمانيا (وهو علامة لاهوتي ومؤسس حركة برودرهوف المسيحية Bruderhof للحياة المسيحية المشتركة):

أخي، هل ستمتنع عن إتّباع زوجتك - وأختي، هل ستمتنعين عن إتّباع زوجك - فيما هو باطل؟ وإذا أراد أحدكما هجر طريق يسوع المسيح ومجتمع الكنيسة، فهل سيضع الآخر دائما الإيمان بمعلمنا يسوع الناصري ووحدة الروح القدس التي هي وحدة الكنيسة فوق مستوى زواجه، وكذلك في حال تواجهك مع السلطات الحكومية؟ أسألكما هذا لعلمي بأنَّ الزواج يكون مبنيا على الرمل، ما لم يُبنَ على صخرة الإيمان، أي الإيمان بالرب يسوع المسيح.

وبالرغم من أن هذا السؤال قد يقع موقعا صعبا عند البعض إلا أن فيه حكمة عميقة. ويمكننا القول أنه مجرد يذكرنا بالخَيار الموجود أمام كل منا، نحن المدعين أننا تلاميذ يسوع: فهل نحن مستعدون أن نتبع يسوع مهما كان الثمن؟ ألم يحذرنا هو نفسه قائلا:

مَنْ جاءَ إليَّ وما أحبَّني أكثرَ مِنْ حُبّهِ لأبيهِ وأُمّهِ وامرأتِهِ وأولادِهِ وإخوتِهِ وأخواتِهِ، بل أكثَرَ مِنْ حُبّهِ لِنَفسِهِ، لا يَقدِرُ أنْ يكونَ تِلميذًا لي. (لوقا 14: 26).

لو أخذ الزوجان هذا التحذير على محمل الجد، فقد يسبب بينهما انشقاقا، لكن قدسية رباط زواجهما سوف تصان حقا. فالموضوع هنا ليس الزواج فقط في حد ذاته، بل هو رباط الوحدة العميق بين اثنين متحدين في المسيح وفي روحه القدوس:

ولكن إنْ فارَقَ غَيرُ المؤمِنِ، فليُفارِقْ. لَيسَ الأخُ أو الأُختُ مُستَعبَدًا في مِثلِ هذِهِ الأحوالِ، ولكنَّ اللهَ قد دَعانا في السَّلامِ. لأنَّهُ كيفَ تعلَمينَ أيَّتُها المَرأةُ، هل تُخَلّصينَ الرَّجُلَ؟ أو كيفَ تعلَمُ أيُّها الرَّجُلُ، هل تُخَلّصُ المَرأةَ؟ (1 كورنثوس 7: 15-16).

فكلما يظل الرجل (أو المرأة) موالٍ ومحب لشريكة حياته أو لشريك حياتها - بصرف النظر عن عدم وفاء ذاك الشريك - قدم في هذا شهادة عن

الوحدة في المسيح. فبوسع الوفاء الأبدي لله ولكنيسته أن يجدد الالتزام الزوجي ويزرع أملا جديدا. وقد شهدتُ أكثر من مرة كيف تمكن وفاء شريك مؤمن أن يعيد شريكه غير المؤمن الى الرب يسوع، والى مجتمع الكنيسة، والى الزواج والأسرة.

وقصة آن وزوجها هاورد (التي ذكرتها لكم في الفصل السادس عشر) تعتبر مثالا على ذلك. فنرى أنه حتى عندما عاد هاورد وسقط في الخطيئة ثانية، لم تهتز التزامات زوجته آن نحو المسيح والكنيسة مطلقا. ومع أنها أبت الانصياع الى مساومة زوجها هاورد، إلا أنها لم تُدِنْه. لكنها وبدلا من إدانته استدرجته بهدوء إلى الصراع من أجل التوبة ومن أجل القيام ببداية جديدة. لذلك نرى أن ثبات وصبر الزوجة آن كان لهما الفضل الكبير في استعادة كل من زواجهما وإيمان زوجها هاورد.

الوفاء الحقيقي هو ليس مجرد عدم التورط في الزنى

لما كان الله يكره الطلاق، فإنه سيدين أيضا كل زواج خالٍ من المحبة وكل زواج هامد تسري فيه برودة الموت، ويجب أن يكون هذا تحذيرا لكل منا. فكم منا كان فاتر القلب أو غير محب لشريك حياته بين حين وآخر؟ وكم آلافا من الأزواج، بدلا من أن يحب بعضهم بعضا، يقتصر الأمر على أنهم يتواجدون تحت سقف واحد؟ إن الوفاء الحقيقي هو ليس مجرد عدم التورط في الزنى، بل أنه يشترط أن يكون هناك التزاما قلبيا وروحيا أيضا بين الزوجين. وكلما افتقر الزوجان إلى الالتزام أحدهما نحو الآخر وكان كل منهما يعيش حياة متوازية (لا تؤدي الى التلاقي)، أو كانت القطيعة تسود بينهما، فإن الانفصال والطلاق يقفان لهما بالمرصاد.

ومهمة كل مجتمع من مجتمعات الكنيسة هي محاربة روح الزنى حيثما تطل برأسها وتبين وجهها القبيح. وأنا لا أقصد هنا الزنى كمجرد فعل جسدي؛ ففي الحقيقة والواقع، فإن كل شيء في داخل الزواج يؤدي الى ضعف الحب أو الوحدة والوئام أو العفاف أو يعيق روح الوقار المتبادل،

يعتبر زنى، لأنه يغذي وينمي روح الزنى. ولهذا السبب سمّى الله عدم إخلاص شعب إسرائيل بالزنى (ملاخي 2: 10-16). وفي العهد القديم (أي قبل مجيء السيد المسيح) يستخدم الأنبياء الوفاء في الزواج كمثال على التزام الله بشعبه إسرائيل، الشعب المختار – عروسه، "...أحبِبْها كما يُحِبُّ الرّبُّ بَني إسرائيلَ، فيما هُم يُحَوِّلونَ وُجوهَهُم عَنهُ إلى آلهةٍ أُخرَ..." (هوشع 3: 1). وبطريقة مماثلة يقارن الرسول بولس الزواج بعلاقة الوحدة بين المسيح العريس وكنيسته العروس. فلا يسعنا النظر بوضوح في مسألة الطلاق والزواج الثاني إلا في ظل روحية هذه الصور المجازية للكتاب المقدس.

وعندما لا يفعل مجتمع الكنيسة شيئا لرعاية وتعزيز العلاقات الزوجية لأفراده، فكيف إذن يمكنه أن يدّعي براءته عندما تنهار هذه العلاقات؟ وأيضا عندما يتحاشى مجتمع الكنيسة الشهادة بأن: "ما جمَعَهُ اللهُ لا يُفرِّقُهُ الإنسانُ" فكيف يتوقع من أعضائه المتزوجين أن يبقوا ملتزمين مدى الحياة؟

وفي تأملنا لهذه المسائل والنظر فيها فهناك مبدأين مهمين يجب عدم تناسيهما وإلا تحوَّلا إلى مزلقين من الواجب تجنبهما: المبدأ الأول، هو أننا لا يمكننا أبدا الموافقة على الطلاق؛ والثاني، يجب أن لا نعامل أبدا بحرفية الشريعة أو بالقسوة الناس الذين يعانون من عذاب الطلاق وآلامه. ففي رفضنا للطلاق لا يمكننا رفض الشخص المطلق، حتى لو تزوج ثانية. ويجب أن نتذكر دائما أنه بالرغم من أن الرب يسوع يتكلم بصرامة ضد الخطيئة، لكن لا تنعدم عنده الرأفة أبدا. ولما كان الرب يسوع يشتاق إلى أن يعتق كل خاطئ من عبودية الخطيئة ويهبه شفاء الروح والجسد والحياة فهو يطلب التوبة عن كل خطيئة. وهذا ما يريده أيضا لكل علاقة زوجية متصدّعة.

طبعا يجب علينا أن لا ندين الآخرين أبدا. لكن في الوقت نفسه علينا أن نكون أوفياء مع السيد المسيح فوق كل اعتبار. وعلينا احتضان كامل

الحق الإلهي الذي يطرحه - وليس فقط تلك الأجزاء من هذا الحق التي تبدو مناسبة لاحتياجاتنا:

الوَيلُ لكُم يا مُعَلِّمي الشَّريعةِ والفَرِّيسيُّونَ المُراؤونَ! تُعطُونَ العُشْرَ مِنَ النَعْنعِ والصَعتَرِ والكَمُّونِ، ولكنَّكُم تُهمِلونَ أهمَّ ما في الشَّريعةِ: العَدلَ والرَّحمةَ والصِّدقَ، وهذا ما كانَ يَجبُ علَيكُم أنْ تَعمَلوا بِه مِنْ دونِ أن تُهمِلوا ذاكَ. أيُّها القادَةُ العُميانُ! تُصَفّونَ الماءَ مِنَ البَعوضَةِ، ولكنَّكُم تَبتَلِعونَ الجمَلَ. (متى 23: 23-24).

ولهذا السبب لا تزوّج كنيستنا أفرادا مطلقين لديها (طالما الشريك السابق على قيد الحياة)؛ وللسبب نفسه لا تقبل كنيستنا ناس قد تزوجوا مرة ثانية (بعد حالة طلاق) ويعيشون في علاقة زوجية مع شريك جديد طالما شريكهم السابق على قيد الحياة. إن الزواج الثاني يزيد من تعقيد خطيئة الطلاق، ويَحُول دون إمكانية المصالحة مع الشريك الأول. فموقفنا في الزواج هو موقف الولاء والوفاء مدى الحياة. ولا يوجد موقف آخر يتوافق مع الحب الحقيقي ومصداقية الزواج سوى هذا الموقف.

يحتاج الأمر الى إعادة اكتشاف المغزى من تقديم الالتزامات في الزواج. فها نحن الآن قد بدأنا نتواجه ونرى الأضرار التي يسببها الطلاق لأولادنا. فالطلاق في نظر الأولاد، دع عنك الراشدين منهم، يُعتبر شيئا لا يمكن "الشفاء منه" بسهولة. فقد أظهرت الدراسات الحديثة أن معظم الأولاد الذين يلجأ والديهم الى الطلاق يعانون من القلق والفشل الدراسي وعدم الثقة بالنفس. وتستمر معاناتهم من المشاكل النفسية كالخوف والكآبة والسلوك المعادي للمجتمع حتى بعد عشر سنوات من انفصال والديهم.

إن العائلات البديلة (التي تتضمن زوجة أب أو زوج أم) لا تقدم حلّا شافيا. فالبنية الأصلية للعائلة لا يمكن استردادها، على الرغم مما يبذله المرء من محاولات شاقة لتقليدها. وفي الحقيقة فإن الأولاد الذين يعيشون في عائلات بديلة تظهر عليهم بوادر عدم الأمان النفسي بالمقارنة مع الأولاد الذين يعيشون في بيوت ليس فيها سوى أحد أبويهم الحقيقيين.[38]

لذلك نرى أن جيلا من الأولاد ينشؤون بدون والدين يكونون مثالا صالحا لهم - بل إن كثيرين من الأطفال حتى ليس لهم والدين حقيقيين أساسا. وعندما يصير الأولاد شبابا ويعقدون النية الحسنة على الزواج مثل غيرهم من الشباب اليوم، فأين يمكنهم الحصول على الدعم والمساندة عندما يحين وقتهم للزواج وتأسيس أسرة؟

كل شيء مستطاع عند الله

بطبيعة الحال، لو أردنا تجنب الطلاق، لوجب على مجتمع الكنيسة أن يقدم لأفراده التوجيه والإرشاد بالإضافة إلى الدعم العملي قبل فترة طويلة من انهيار زواجهم:

وَعَلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنَّا أَنْ يَنْتَبِهَ لِلآخَرِينَ، لِنَحُثَّ بَعْضُنَا بَعْضاً عَلَى الْمَحَبَّةِ وَالأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ ... انْتَبِهُوا أَلاَّ يَسْقُطَ أَحَدُكُمْ مِنْ نِعْمَةِ اللهِ، حَتَّى لاَ يَتَأَصَّلَ بَيْنَكُمْ جَذْرُ مَرَارَةٍ، فَيُسَبِّبَ بَلْبَلَةً، وَيُنَجِّسَ كَثِيرِينَ مِنْكُمْ. (عبرانيين 10: 24 وَ 12: 15).

ولو لاحظنا أن الزواج عليل وفي خطر حتى وإن لم يكن هناك سوى إشارات طفيفة تدلّ على ذلك فمن الأفضل أن يكون المرء صادقا وصريحا بشأنه. أما إذا كبرت الهُوَّة بين الزوجين كثيرا، فقد يتطلب الأمر الى توفير مكان لهما ووقت كافٍ لاسترجاع العلاقة القلبية بينهما. وفي وضع كهذا، أو الوضع الذي يصبح فيه أحد الشريكين متعديا ومؤذيا جسديا، فإن الانفصال المؤقت قد يكون ضروريا. وينبغي على مجتمع الكنيسة لاسيما في هذه الأوضاع أن يجد وسائلا عملية لمساعدة كلا الطرفين - في السعي إلى التوبة أولا، ثم الحصول على الثقة المتبادلة والغفران المتبادل الضروريين لاستعادة الزواج.

من المحزن أن نجد أن الوفاء (أو الأمانة) في مجتمع اليوم قد صار عملة نادرة جدا حتى أصبح يُنظر إليه على أنه فضيلة "بطولية". ألا ينبغي له أن يكون أمر مُسَلَّم به باعتباره حجر الأساس لإيماننا؟

أَمَّا ثَمَرُ الرُّوحِ فهوَ المَحبَّةُ والفَرَحُ والسَّلامُ والصَّبرُ واللُّطفُ والصَّلاحُ والأمانَةُ. (غلاطية 5: 22).

وباعتبارنا تابعين للمسيح، ألا ينبغي لكل منا أن يكون راغبا في البقاء وفيا وأمينا – في السراء والضراء – وحتى الموت، للمسيح ولمجتمع كنيسته، ولزوجته أو لزوجها؟ بمثل هذا العزم والتصميم فقط يمكننا أن نرجو أن نبقى أوفياء لوعود زواجنا.

إن طريق المسيح طريق ضيق، لكن بفضل الصليب يتمكن كل من يسمع كلام يسوع أن يضعه في حيز التطبيق:

فاتْرُكْ قُربانَكَ عِندَ المَذبَحِ هُناكَ، واَذهَبْ أولاً وصالِحْ أخاكَ، ثُمَّ تَعالَ وقَدِّم قُربانَكَ. (متى 5: 24).

لو كان تعليم الرب يسوع بشأن الطلاق والزواج الثاني يبدو صعبا، فالسبب الوحيد وراء ذلك هو أن الكثيرين في أيامنا هذه لم يعودوا يؤمنوا بجبروت قدرة التوبة والمغفرة ودورهما في تغيير الحياة. وكذلك لأننا نحن المسيحيين لم نعُد نؤمن بأن ما جمعه الله يمكن بنعمته أن يظل متماسكا؛ ولم نعُد نؤمن أيضا بقول يسوع، "كُلَّ شَيْءٍ مُسْتَطَاعٌ عِنْدَ اللَّه".

وينبغي أن لا يكون هناك أي شيء شاقا علينا، لو كان من متطلبات الإنجيل:

تَعَالَوْا إِلَيَّ يَا جَمِيعَ الْمُتْعَبِينَ وَالثَّقِيلِي الأَحْمَالِ، وَأَنَا أُرِيحُكُمْ. اِحْمِلُوا نِيرِي عَلَيْكُمْ وَتَعَلَّمُوا مِنِّي، لأَنِّي وَدِيعٌ وَمُتَوَاضِعُ الْقَلْبِ فَتَجِدُوا رَاحَةً لِنُفُوسِكُمْ. لأَنَّ نِيرِي هَيِّنٌ وَحِمْلِي خَفِيفٌ. (متى 11: 28-30).

فلو نظرنا الى تعاليم الرب يسوع بشأن الطلاق والزواج الثاني بهذا الإيمان لرأينا أنه تعليم ينطوي على وعد عظيم، وأمل كبير، وقوة مقتدرة. ثم إن بِرّ هذا التعليم أعظم بكثير من بِرّ تعليم علماء الأخلاق والفلسفة

البشرية. إنه بِرّ ملكوت الله، وهو مؤسس على حقيقة القيامة والحياة الجديدة.

الفصل التاسع عشر

فلنجاهد إذن في سبيل العِفَّة

تَناهى الَّليلُ واقتَرَبَ النَّهارُ. فلْنَطْرَحْ أعمالَ الظَّلامِ ونَحمِلْ سِلاحَ النّورِ. لِنَسلُك كما يَليقُ السُّلوكُ في النَّهارِ: لا عَربَدَةَ ولا سُكرَ، ولا فُجورَ ولا فَحشَ، ولا خِصامَ ولا حسَدَ. بَلْ تَسَلَّحوا بالرَّبِّ يَسوعَ المَسيحِ، ولا تَنشَغِلوا بالجسَدِ لإشباعِ شَهَواتِه.

رومة 13: 12-14

بالرغم من قلة الحياء والإباحية الجنسية التي يتسم به عصرنا، فإننا نؤمن بأن حياة العِفّة والحب الوفي لا تزال ممكنة حتى في يومنا هذا. وعلى الرغم من أن الكنائس الرسمية قد أهملت المناداة بأن السعادة الجنسية لا تتوفر إلا في إطار التزامات الزواج، لكننا لا نزال على يقين بهذه الحقيقة. ولا يمكن لأحد أن ينكر أن الكثير من الناس اليوم لديهم اشتياق كبير الى حياة العِفّة والوفاء. لكن الاشتياق وحده لا يكفي. لأنه ليس بمقدورنا أن نلمس بركات الروح القدس العظيمة وتقديس حياتنا يوميا إلا عندما نريد اِتّباع وإطاعة ارشاد الروح القدس مهما كلف الأمر. لكن هل نؤمن من أعماق كياننا بقدرة الروح القدس؟ وهل نريد أن يغير الله قلوبنا كليّا بحيث يقلب حياتنا رأسا على عقب؟

ولا تتَشَبَّهوا بِما في هذِهِ الدُّنيا، بل تَغَيَّروا بِتَجديدِ عُقولِكُم لِتَعرِفوا مَشيئَةَ اللهِ: ما هوَ صالِحٌ، وما هوَ مَرضِيٌّ، وما هوَ كامِلٌ. (رومة 12: 2).

الصراع في سبيل العِفّة يتطلب تصميما يوميا

كلنا نعرف التجربة وإغواء إبليس، وكلنا استسلمنا لتجربة ما. وكلنا فشلنا في وقت ما في علاقاتنا سواء كانت في العمل أو في البيت أو في الزواج أو في حياتنا الشخصية. وكلما أسرعنا في مواجهة هذه الحقيقة كان أفضل لنا. ومع ذلك يمكننا الحصول على تعزية روحية حتى لو كنا نصارع في النجاحات أو الإخفاقات، وحتى لو تبعت أوقات النصرة أوقات من الشك. فلا ننسى أن يسوع نفسه قد جُرِّبَ أيضا، كما يشهد الإنجيل:

ورَئيسُ كَهنَتِنا غيرُ عاجِزٍ عَنْ أنْ يُشفِقَ على ضَعفِنا، وهوَ الّذي خَضَعَ مِثلَنا لِكُلِّ تَجرِبَةٍ ما عَدا الخَطيئَةَ. (عبرانيين 4: 15).

وبمعونته يمكننا الحصول على العِفّة التي تحمينا من كل تجربة وإغراء. يقول القديس يعقوب الرسول:

طُوبَى لِلرَّجُلِ الَّذِي يَحْتَمِلُ التَّجْرِبَةَ، لأَنَّهُ إِذَا تَزَكَّى يَنَالُ "إِكْلِيلَ الْحَيَاةِ" الَّذِي وَعَدَ بِهِ الرَّبُّ لِلَّذِينَ يُحِبُّونَهُ. (يعقوب 1: 12).

فالمهم هنا هو الرغبة الخالصة لقلوبنا أي ما نتمناه من صميم قلوبنا – تلك الأمنية التي تتكلم في داخلنا في كل مرة نمثُل أمام الله بالصلاة.

وفي صراعنا الروحي في سبيل العِفّة وحياة العفاف والنقاوة، فمن الضروري جدا أن تكون إرادتنا بأكملها مصممة على العِفّة. فالقلب المنقسم – المرتاب والمتردد - لن يتمكن من الصمود أبدا:

ولْيَطلُبْها بإيمانٍ لا ارتيابَ فيهِ، لأنَّ الّذي يَرتابُ يُشبِهُ مَوجَ البحرِ إذا لَعِبَتْ بِه الرِّيحُ فهَيَّجَتْهُ. ولا يَظُنَّ أحَدٌ كهذا أنَّهُ يَنالُ مِنَ الرَّبِّ شيئًا، (يعقوب 1: 6-7).

غير أن قوة الإرادة الشخصية وحدها لا تقدر على تحقيق ذهن موحد يركز على هدف واحد. أما لو أرهقنا أنفسنا داخليا في جنون مطبق، حتى لو تمكنا من المواكبة بعض الشيء واستطعنا رفع رؤوسنا فوق الماء والعوم إذا جاز التعبير، فسوف نتعب حالا ونغرق. لكن إذا سلمنا حياتنا ليسوع فعندئذ فقط يمكن لقوة نعمته الإلهية أن تملأنا، وتعطينا قوة جديدة وعزما جديدا.

وفي معركتنا مع روحية عصرنا الباطلة فينبغي علينا أن لا نجاهد فقط الخطايا الواضحة مثل خطيئة الزنى والخداع والقتل ...إلخ، بل أيضا اللامبالاة والفتور والجُبن. وطبعا، ليس هناك أي شخص يقول أنه ضد الوفاء وضد الحب، أو أنه يعارض العدل والسلام، لكن كم واحدا منا على استعداد للجهاد في سبيل هذه الأمور قولا وفعلا؟ إن روحية عصرنا الباطلة قد شلّتنا روحيا ووجدانيا وألبستنا تهاونا مهلكا تجاه الوضع الراهن الفاسد، بحيث أننا اعتدنا على إدارة ظهورنا له وعدم التأثُّر. لكن لو لم نتكلم جهرا ضد شر زماننا من خلال أسلوب حياتنا، لأصبحنا عندئذ مذنبين تماما مثل أولئك الذين يذنبون عن عمد. فيجب علينا كلنا أن نتغير، ويجب علينا أن نبدأ بمواجهة اللامبالاة التي في حياتنا الشخصية قبل كل شيء.

قبل مجرد نصف قرن من الزمان، كان يعتبر الناس أن الجنس قبل الزواج والطلاق وممارسات الشذوذ الجنسي وما شابه ذلك هي باطلة أخلاقيا. أما اليوم فتُعتبر هذه الأمور أسلوب حياة بديل ومقبول. وللأسف، فإن الكثير من الكنائس تتبنى هذا الموقف أيضا. والآن أصبحت البهيمية (الاتصال الجنسي مع الحيوانات) وممارسة الجنس مع الأطفال (الغلمانية: أو الاشتهاء والوَلَع بالأطفال) والساديّة (التلذّذ بالعنف الجنسي)، كلها أصبحت تحظى بالدعم والمساندة كوسيلة من وسائل

"التعبير الجنسي". ومنذ عقود قليلة فقط لم نكن نسمع عما يسمى بالتغيير الجنسي (إجراء عمليات جراحية للتحول من ذكر الى أنثى أو بالعكس). أما اليوم فإن هذا الإجراء الكافر ينال زخما كبيرا في الغرب. والتكاليف الباهظة لهذه العمليات الجراحية هي في حد ذاتها جريمة ضد الإنسانية إذا ما أخذنا بعين الاعتبار المجاعات المنتشرة والفقر السائد في العالم الثالث وفي حاراتنا الأمريكية الفقيرة.

وبالرغم من أن كل هذه التوجهات مرعبة، لكن ينبغي على الآباء أن لا يخافوا من تحذير أولادهم من هول هذه الانحرافات، وذلك لتجنب الجراح التي قد تنشأ. لأنه وبالرغم من أن الرب يسوع يقول أن جميع الخطايا يمكن أن تُغفر، إلا أن خبرتي من عملي في تقديم المشورة والنصح قد بيّنت لي أن الذين لديهم ضلوع في مثل هذه الأعمال يجرحون نفوسهم بجراح دائمة.

يا ترى ما رأي الله سبحانه تعالى بِقلّة الحياء التي يتسم بها زماننا؟ نرى في الرواية الشهيرة "الإخوة كارامازوف" للكاتب فيودور دوستويفسكي Dostoevsky Fyodor (واحد من أكبر الكتاب الروس ومن أفضل الكتاب العالميين) بأنه يذكرنا بما يلي: "لو لم يكن الله موجودا لصار كل شيء مُباحا". ألا نرى الآن انفلات عيار "كل شيء"؟ متى سنتوقف لكي نرى روح التمرد المروعة الكامنة في حياتنا الأثيمة؟ ومتى سنتذكر تحذيرات الله بشأن غضبه على الخطأة في نهاية الأزمنة؟ ولنتذكر كلام بولس الرسول:

> لا تَخدَعوا أنفُسَكُم: هوَ اللهُ لا يُستَهزَأُ بِه، وما يَزرَعُهُ الإنسانُ فإيّاهُ يَحصُدُ: فمَنْ زَرَعَ في الجَسَدِ حصَدَ مِنَ الجَسَدِ الفَسادَ، ومَنْ زَرَعَ في الرُّوحِ حَصَدَ مِنَ الرُّوحِ الحياةَ الأبدِيَّةَ. (غلاطية 6: 7-8).

لنسأل الله رحمته في يوم الحساب قبل فوات الأوان. ولنسأله ليهزّ ضمائرنا الميتة وينقينا ويهبنا حياة جديدة.

وها نحن في أمس الحاجة في هذه الأيام الى ناس كثيرين من أمثال يوحنا المعمدان. لكن أين هؤلاء الناس؟ أين هي "الأصوات الصارخة في

البرية" والمنادية بالتوبة والاهتداء والإيمان والحياة الجديدة؟ كانت رسالة المعمدان بسيطة وواضحة: "تُوبُوا، لأَنَّهُ قَدِ اقْتَرَبَ مَلَكُوتُ السَّماوَاتِ!" (متى 3: 2). ولم يخشى من مواجهة أي إنسان، بما في ذلك الزعماء الروحيين وقتذاك، بل إنه حتى واجه الملك هيرودس نفسه بشأن زواجه الفاحش، قائلاً له: "لا يَحِلُّ لَكَ أنْ تَتَزوَّجَها"، كما هو مكتوب في الإنجيل:

وكانَ هيرودُسُ أمسَكَ يوحنَّا وقَيَّدَهُ وسَجَنَهُ مِنْ أجلِ هيرودِيَّةَ امرأةِ أخيهِ فيلبُّسَ، لأنَّ يوحنَّا كانَ يقولُ لَه: "لا يَحِلُّ لَكَ أنْ تَتَزوَّجَها". (متى 14: 3- 4).

ولعل أهم عمل قام به المعمدان هو محاسبته وتوبيخه للناس الأتقياء والمتدينين والناس "الفاضلين":

ورأى يوحَنَّا أنَّ كثيرًا مِنَ الفَرِّيسيّينَ والصَدُّوقيّينَ يَجيئونَ إلَيهِ ليَعتَمِدوا، فقالَ لَهُم: "يا أولادَ الأفاعي، مَنْ علَّمكُم أنْ تَهرُبوا مِنَ الغَضَبِ الآتي؟ أثْمِروا ثمَرًا يُبَرْهِنُ على تَوْبتِكُم. (متى 3: 7-8).

عند الجهاد في سبيل ملكوت الله، لا تكفي الأعمال الصالحة

في إنجيل متى، يقول يسوع لتلاميذه: "الحَصادُ كثيرٌ، ولكنَّ العُمَّالَ قَليلونَ." (متى 9: 37). فما أصدق هذا الكلام اليوم! لأن الكثير من الناس يشتاقون الى التحرّر الذي يهبه السيد المسيح لكنهم باقون مكبلين بخطاياهم. ولا يجرأ على المجازفة والشهادة لهم عن جبروت السيد المسيح سوى القليل من المسيحيين. فالمهمة جسيمة.

مما لا شك فيه أن أغلبنا لدينا نوايا حسنة؛ ونشتاق بشغف إلى أن نعمل أعمالا صالحة. لكن هذا لا يكفي. لأنه هناك حقيقة إيّانا أن ننساها وهي أن الجهاد في سبيل ملكوت الله هو ليس مجرد معركة ضد الطبيعة

البشرية: فإننا نتعامل مع شيء أقوى بكثير جدا من البشر، إننا نتعامل مع الرؤساء والسلاطين وولاة العالم، فها هو الإنجيل يبين لنا ذلك:

فنَحنُ لا نُحارِبُ أعداءً مِنْ لَحمٍ ودَمٍ، بَلْ أصحابَ الرِّئاسَةِ والسُّلطانِ والسِّيادَةِ على هذا العالَمِ، عالَمِ الظَّلامِ والأرواحِ الشِّرِّيرَةِ في الأجواءِ السَّماوِيَّةِ. (أفسس 6: 12).

إننا نتعامل مع الروح الشيطانية المدمرة، التي يسميها القديس يوحنا الرسول، "الْوَحْشُ الصَّاعِدُ مِنَ الْهَاوِيَةِ" (رؤيا 11: 7).

إن الوحش يحكم سيطرته على كل بلد وعلى كل حكومة، وعلامته موجودة وآخذة بالانتشار في كل مكان في زماننا هذا: فنراها في اضمحلال علاقات الصداقة الدائمة، وتلاشي العِشْرة الأخوية الطيبة والعلاقات القلبية وزوال المقاسمة والمشاركة والمجتمعات الأخوية، وفي ظلم الفقراء، وفي استغلال النساء والأطفال. ونراها في جرائم القتل بالجملة للأجنّة، وفي إعدام المسجونين. كما نراها على الأكثر في اليأس المطبق لملايين كثيرة من الناس الذين يعيشون وحيدين.

نحن نعيش في نهاية الأزمنة. إنها الساعة الأخيرة (1 يوحنا 2: 18). ويجب علينا أن نكون في حذر، وفي يقظة مستمرة إن كنا نريد أن لا نقع تحت الدينونة في ساعة التجربة الأخيرة. فيلزمنا أن نسأل الله من أجل أن تتقوى روحنا وتمتلئ عزيمة وشجاعة لنتكلم جهرا عن الله وعن قضيته ومقاصده، حتى لو بدا لنا أنه لا يوجد من يريد الاستماع إلينا.

ومَثَلُ يسوع عن العذارى العشرة بشأن يوم الحساب يجب أن يكون تحذيرا وتحديا لنا كلنا نحن المسيحيين. لأن يسوع لا يتحدث في هذا المثل عن عالم ضال في جانب، وعن كنيسة في الجانب الآخر: لأن جميع النساء العشرة في القصة عذارى، وجميعهن يستعدن لمقابلته – العريس. لذلك فهو يخاطب الكنيسة، فتعالوا نتأمله معا:

ويُشبِهُ مَلكوتُ السَّماواتِ عَشرَ عَذارى حمَلْنَ مَصابيحَهُنَّ وخرَجْنَ لِلقاءِ العَريسِ. وكانَ خَمسٌ مِنهُنَّ جاهِلاتٍ وخَمسٌ عاقِلاتٍ. فحَمَلتِ الجاهِلاتُ مَصابيحَهُنَّ، وما أخَذنَ معَهنَّ زَيتًا. وأمَّا العاقِلاتُ، فأخَذْنَ معَ مَصابيحِهِنَّ زَيتًا في وِعاءٍ. وأبطأَ العَريسُ، فنَعِسنَ جميعًا ونِمنَ. وعِندَ نِصفِ اللَّيلِ عَلا الصِّياحُ: جاءَ العَريسُ، فاَخْرُجْنَ لِلقائِهِ! فقامَتِ العَذارى العَشْرُ وهيَّأْنَ مَصابيحَهُنَّ. فقالَتِ الجاهِلاتُ لِلعاقِلاتِ: أعطينَنا من زَيْتِكُنَّ، لأنَّ مَصابيحَنا تَنطفِئُ. فأجابَتِ العاقِلاتُ: رُبَّما لا يكفي لنا وَلكُنَّ، فاَذهَبْنَ إلى البَيّاعينَ واَشترِينَ حاجَتَكُنَّ. وبَينَما هُنَّ ذاهباتٌ ليَشترينَ، وصَلَ العَريسُ. فدَخلَتْ معَهُ المُستعِدّاتُ إلى مكانِ العُرسِ وأُغلقَ البابُ. وبَعدَ حينٍ رجَعَتِ العَذارى الأُخَرُ فقُلنَ: يا سيِّدُ، يا سيِّدُ، اَفتَحْ لنا! فأجابَهُنَّ العريسُ: الحقَّ أقولُ لكُنَّ: أنا لا أعرِفُكُنَّ. فاَسهَروا، إذًا، لأنَّكُم لا تَعرِفونَ اليومَ ولا السّاعَةَ. (متى 25: 1-13).

هل نحن على استعداد لتقديم برهان منظور للناس عن وجود طريق جديد؟

لا يسعنا ببساطة أن نتغاضى عن التحديات المتمثلة في الخطيئة ونتهرب منها. لكن يجب علينا بدلا من ذلك أن نعيش في احتجاج فعال ضد كل ما يقاوم الله. ويجب أن نحارب جهرا كل ما يرخِّص من قيمة الحياة أو يدمرها، وكل ما يؤدي الى الانفصال والانقسام. لكن يجب أن ندرك أيضا أن الاحتجاج وحده – والذي غالبا ما يؤدي الى العنف – غير كافٍ. أما اللجوء إلى هجر العالم أو التخلي عن الزواج أو رفض شتى أنواع المتع البريئة فهو بلا جدوى أيضا.

لذلك يجب علينا أن نبرهن على أن طريقا جديدا موجود فعلا على أرض الواقع، ونبيّن للعالم واقعا جديدا، ألا وهو واقع بِرّ الله وقداسته، الذي يتعارض مع روح هذا العالم. فيجب أن نبيّن من خلال حياتنا أن الرجال والنساء يمكنهم أن يعيشوا حياة العفاف والنقاوة والسلام والوحدة والمحبة في أي مكان يكرسون فيه طاقاتهم للعمل من أجل الصالح العام؛

ليس من خلال خلق مجتمع روحي فحسب، بل أيضا من خلال تشييد وتنمية حياة عملية منظورة من المقاسمة والمشاركة. فأهم ما في الموضوع هو أن نشهد لجبروت قدرة المحبة. لأن كل منا يمكنه بذل حياته بتقديم خدمات المحبة إلى الآخرين. فهذه هي مشيئة الله لبني البشر:

> أُعطيكُم وَصيَّةً جَديدةً: أحِبُّوا بَعضُكُم بَعضًا. ومِثلَما أنا أحبَبْتُكُم أحِبُّوا أنتُم بَعضُكُم بَعضًا. فإذا أحبَبْتُم بَعضُكُم بَعضًا، يَعرِفُ النّاسُ جميعًا أنَّكُم تلاميذي. (يوحنا 13: 34-35).

ومن أجل إظهار وتوضيح مشيئة الله، فيجب على مجتمع الكنيسة أولا أن يتخذ إجراءات عملية ملموسة لتأسيس "حضارة جنسية شريفة معاكسة لحضارة الفساد". وهذه تتطلب جهودا ملتزمة يكرّس المسيحيون فيها أنفسهم في سبيلها. وبرامج العِفّة Chastity programs التي تقدمها بعض الكنائس من قبل الأهالي أو القساوسة في سبيل زيادة وعي الأولاد عن أمور الجنس ليست كافية هي الأخرى. وستستمر العلاقات الزوجية والعائلات بالتفرّق والتشظّي ما لم يقم مجتمع الكنيسة بتشكيل "حياة أخوية مشتركة" قائمة على قيم ومبادئ مختلفة تماما. ويتعين على العائلات المسيحية جنبا الى جنب مع القساوسة أن يتعهّدوا بأن يعيشوا حياتهم الشخصية والاجتماعية على نقيض أساليب الحياة التي يعيشها العالم. فلو لم تكن علاقات بعضنا مع بعض على مستوى مختلف عن مستوى العلاقات التي في العالم لما كان لدينا سوى القليل الذي نحتج عليه أو نقوله. فلو أردنا أن نكون جادين في تحقيق العفة ونشرها في هذا العالم، لترتب علينا إذن كإخوة وكأخوات في المسيح أن يتحمل بعضنا مسؤولية تقويم ومحاسبة بعض. وهذا ينطبق على الحياة اليومية: ملابسنا ونظراتنا، وما نسمح بإدخاله في بيوتنا، وكيفية تعاملنا نحن وأولادنا مع الجنس الآخر.

وسيكون للشهادة الحيّة الملموسة التي يقدمها مجتمع مسيحي كهذا تأثيرا كبيرا في إقناع مجتمعات بلادنا إلى درجة أن تأثيرها أكبر بكثير من

تأثير مليون كتيب حول موضوع الامتناع عن الملذات. فبإمكاننا شرح المُثل المسيحية، إلا أن المبادئ الأخلاقية وحدها لا تكفي ابدا. لأن الناس سوف لا يرحبون بهذه القيم والمعايير المسيحية إلا عندما يرى العالم دليلا حيّا تكون فيه الحياة الجنسية التي محورها المسيح أمرا ممكنا – أي بمعنى الحياة التي يسير فيها التحرر الحقيقي من الخطايا جنبا الى جنب مع الوقار والمسؤولية.

لكن من ناحية أخرى، نرى أنه أينما يجري العمل بمشيئة الله بهمّة عالية، فإنه سوف يُساء فهمها، ويُنظر إليها على أنها استفزاز:

> وهُمُ الآنَ يَستَغرِبونَ مِنكُم كيفَ لا تَنساقونَ مَعهُم في مَجرى الخَلاعَةِ ذاتِها فيُهينونَكُم، (1 بطرس 4: 4).

وألفا عام لم تتمكن من تحسين عالمنا الحاضر وجعله أكثر تسامحا مع رسالة يسوع المسيح عما كان عليه حال العالم في زمانه. وأولئك غير الراغبين في قبول طريقه سوف يكونون دائما مستائين وناقمين وانتقاميين من نحو الذين يشهدون لهذا الطريق، والتصادم أمر حتمي ولا مفر منه:

> إنْ أبغَضَكُمُ العالَمُ، فتَذكَّروا أنَّهُ أبغَضَني قَبلَ أنْ يُبغِضَكُم. لَو كُنتُم مِنَ العالَمِ، لأحبَّكُمُ العالَمُ كأهلِهِ. ولأنّي اَختَرْتُكم مِنْ هذا العالَمِ وما أنتُم مِنهُ، لذلِكَ أبغَضَكُمُ العالَمُ. تَذكَّروا ما قُلتُهُ لكُم: ما كانَ خادِمٌ أعظَمَ مِنْ سيّدِهِ. فإذا اَضطَهَدوني يَضطَهِدونَكُم، وإذا سَمِعوا كلامي يَسمَعونَ كلامَكُم. (يوحنا 15: 18-20).

لكن لو كنا نحن الذين ندعي أننا من أتباع المسيح نخاف أن نعيش وفقا لوصاياه خشية الاضطهاد، فمن سيعمل بها إذن؟ ولو لم تكن مهمة الكنيسة المجيء بظلمة العالم الى نور المسيح، فلمن تكون هذه المهمة؟

يكمن رجاؤنا في ملكوت الله الآتي، الذي هو وليمة عرس الحَمَل (الحَمَل هو خروف صغير ويرمز إلى يسوع المسيح). فلننتظر ذلك اليوم بكل وفاء واخلاص. وينبغي لكل كلمة نقولها، ولكل شيء نفعله أن يكون

مُستَلهما ومتأثرا برجاؤنا هذا عن المستقبل. وينبغي لكل علاقة ولكل زواج أن يكون رمزاً لهذا الرجاء. ويسوع، العريس، يتوقع عروساً مُهيأة ومنتظرة له. لكن عندما يأتي، هل سنكون نحن مستعدين؟ هل سنكون "كَنِيسَةً بَهِيَّةً لاَ يَشُوبُهَا عَيْبٌ أَوْ تَجَعُّدٌ أَوْ أَيَّةُ نَقِيصَةٍ" ؟ كما يقول الإنجيل:

حَتَّى يَزُفَّهَا إِلَى نَفْسِهِ كَنِيسَةً بَهِيَّةً لاَ يَشُوبُهَا عَيْبٌ أَوْ تَجَعُّدٌ أَوْ أَيَّةُ نَقِيصَةٍ مُشَابِهَةٍ بَلْ تَكُونُ مُقَدَّسَةً خَالِيَةً مِنَ الْعُيُوبِ. (أفسس 5: 27).

أم، هل سنكون ممتلئين بالأعذار والحجج؟ كما حذرنا الرب يسوع:

فلمَّا سمِعَ أحَدُ المَدعُوّينَ هذا الكلامَ قالَ لِيسوعَ: "هَنيئًا لِمَن يَجلِسُ إلى المائِدَةِ في مَلكوتِ اللهِ!" فأجابَهُ: "أقامَ رَجُلٌ وَليمةً كبيرةً، ودَعا إلَيها كثيرًا مِنَ النّاسِ. ثُمَّ أرسَلَ خادِمَهُ ساعَةَ الوَليمةِ يَقولُ لِلمدعُوّينَ: تَعالَوا، فكُلُّ شيءٍ مُهيَّأٌ! فاَعتذَرُوا كُلُّهُم. قالَ لَه الأوَّلُ: إشتَرَيتُ حَقلاً ويَجِبُ أنْ أذهَبَ لأراهُ، أرجو مِنكَ أنْ تَعذُرَني. وقالَ آخَرُ: إشتَرَيتُ خَمسةَ فَدادينَ، وأنا الآنَ ذاهِبٌ لأُجرِّبَها، أرجو مِنكَ أنْ تَعذُرَني. وقالَ آخرُ: تَزوَّجْتُ اَمرأةً، فلا أقدِرُ أنْ أجيءَ. فرجَعَ الخادِمُ إلى سَيِّدِهِ وأخبَرَهُ بِما جَرى، فغَضِبَ رَبُّ البَيتِ وقالَ لِخادِمِه: أُخرُجْ مُسرِعًا إلى شَوارِعِ المدينةِ وأزِقَّتِها وأدخِلِ الفُقَراءَ والمُشوَّهينَ والعُرجَ والعُميانَ إلى هُنا. فقالَ الخادِمُ: جَرى ما أمَرْتَ بِه يا سَيِّدي، وبَقِيَت مَقاعِدُ فارِغَةٌ. فأجابَهُ السَّيِّدُ: أُخرُجْ إلى الطُّرُقاتِ والدُّروبِ وألزِمِ الناسَ بالدُّخولِ حتّى يَمتَلِئَ بَيتي. أقولُ لكُم: لَن يَذوقَ عَشائي أحَدٌ مِنْ أولئِكَ المَدعُوّينَ!" (لوقا 14: 15-24).

يجب أن لا نخاف أبدا من الهزء والسخرية والافتراء الذي سوف تجلبه علينا شهادتنا المسيحية. وينبغي علينا أن نجعل المستقبل الإلهي – ذلك المستقبل الرائع لملكوته - هو الذي يملك على قلوبنا ويسيّرنا في الحياة، وليس "واقع" المجتمعات الدنيوية البشرية الحالية. لأن الله ماسك بيده الساعة الأخيرة للتاريخ، وكل يوم من حياتنا يجب أن يكون استعدادا لتلك الساعة.

رسالة من إحدى القارئات

عزيزي القارئ، أنت انتهيت الآن من قراءة كتاب "الجنس والله والزواج"، لكن ماذا بعد ذلك؟ الإجابة تتوقف على مقدار الجِدّيّة التي أخذت به هذا التحدي لتكون أنت جزءا من "حضارة جنسية شريفة معاكسة لحضارة الفساد"، أي بمعنى حضارة تُتاح فيها الفرص للعلاقات السليمة والنزيهة لكي تنمو وتزدهر. وهذا ليس مجرد كلام نظري. ونرى بحسب ما توضحه الرسالة التالية من إحدى القارئات، أنه ليس من المفروض على الإنسان أن يصارع صراعاته الروحية لوحده. لأننا بتظافر جهودنا معا يمكننا أن ننشر الرسالة أن حياة العفة والنقاوة – التي هي حياة الفرح والتحرر الحقيقي من قيود الخطيئة - متاحة لكل واحد منا، لو أردنا السعي من أجلها. وإليك نص الرسالة:

عزيزي سيد آرنولد،

بينما كنت في إجازة اكتشفت في إحدى المكتبات كتابك "الجنس والله والزواج". ولم أسمع مطلقا عنك أو عن مجتمعات كنيستك من قبل، لكن عنوان الكتاب لفت نظري، ورؤيتي لاسم الأم تيريزا أقنعني بشرائه. (فقد كان لهذه الأم تأثيرا قويا على حياتي). والشيء الثاني الذي أتذكره هو أنني أخذت في قراءة هذا الكتاب بلا توقف واتصلت هاتفيا مع كل فرد من أصدقائي لأخبرهم، "هذا الكتاب سيغير حياتك".

أعرف أن الكتب تؤثر في الناس بطرق مختلفة، وهو تأثير يتوقف على أي درجة من درجات سلم الحياة التي قد وصلوا إليها في مسيرة حياتهم (أي مدى نضجهم واستيعابهم للأمور). أما أنا فقد ولدت ونشأت في أسرة كاثوليكية قوية الإيمان، وكنت قادرة طوال حياتي كلها على أن أشهد لزواج والديّ المستقر والمليء سلام ووئام والمُتمحور حول السيد المسيح. لقد جعلا الحياة لنا نحن الأولاد سعيدة بل حتى بريئة. ومنذ الوقت الذي بلغنا

فيه وأخذنا نفهم، علمنا والدانا أن نرفض كل ما يتعلق بمسلك الإجهاض وتحديد النسل، وأن نتمسك بالحق فيما يتعلق بهذه المواضيع الحياتية. وقد بذلا كل ما في وسعهما لتعليمنا أن نحيا من أجل السيد المسيح وحده.

لكن في الوقت الذي عثرت على كتاب "الجنس والله والزواج" كنت قد وصلت الى حال احتجت فيه مرة أخرى الى بعض الإجابات الواضحة والدقيقة. إن كتابك أنقذ حياتي - أنقذ عذريتي، أنقذ قناعاتي الروحية، وأنقذ كرامتي. لقد قررت قرارا مؤبدا أن صراعي من أجل حفظ العِفّة في حياتي لن يصبح بعد اليوم مشكلة عندي، فلو أحببتُ يسوع حقا، لأثبتُّ له ذلك بالتزامي بحياة العفاف. وأنا متأكدة من أننا سوف نبقى نصارع دائما مع الشهوة الجنسية؛ وأعلم أيضا أن التجارب تحيط إحاطة كاملة بأولئك الذين يجاهدون لكي يصبحوا قديسين. لكن يبدو أنني لم أكن بحاجة إلا إلى رؤية هذه الحقائق بأكثر وضوح: فلا يتعين عليّ أن أتورط في مآزق جنسية لأفهم الأمور. فهذه المآزق يمكن توقيفها قبل أن تبدأ. وكنت دائما عارفة بذلك، إلا أن كتابك أكد لي هذه الحقيقة تأكيدا مؤبدا.

ومنذ ذلك الحين بدأت بتوزيع كتاب "الجنس والله والزواج" على جميع أصدقائي. والخطابات والمكالمات الهاتفية التي تلقيتها كاستجابة لذلك كانت حقا شيئا لا يُصدق، أذكر منها: "إن حياتي مختلفة الآن." أو، "لقد ساعدني هذا الكتاب في علاقتي الزوجية." حتى أن أحدهن قالت، "سأرسل نسخة من هذا الكتاب مباشرة الى والدتي والى جميع أفراد أهل زوجي". ولقد عرضتْ إحدى البنات هذا الكتاب على صديقتها التي قرأته من الغلاف الى الغلاف وقالت: "يجب أن أذهب إلى الكنيسة لأعترف بذنوبي." لأنها لم تكن قد اعترفت بذنوبها لمدة تسعة سنوات. بالإضافة إلى أنني قد أعطيت هذا الكتاب لشتى أنواع الأصدقاء من - كاثوليك ومعمدانيين وأسقفيين – لكن القوة التي له في ربط الجماعة المسيحية كلها معا بدت قوة مذهلة.

أما الأمر بالنسبة لي، فأنا أعرف الآن، بأكثر قوة من ذي قبل، أن كل شيء أفعله يجب أن يكون من أجل يسوع المسيح. إن قراءتي لكتاب

"الجنس والله والزواج" بينت لي أن علاقتي بصديقي Boyfriend كان يتعين عليها أن تنتهي. وقد حزنتُ لتركي له، لكني أعتقد أنني قدمت له بذلك عملا عظيما من المحبة لأنني لم أفعل شيئا يقوده، أو يجعله يقودني الى موقف أثيم. وكتابك قد زاد أيضا من شوقي لقراءة الكتاب المقدس. وصار لي الآن أكثر توقيرا ومهابة لمعجزة الحياة ومعجزة الجنس بشكل غير مسبوق. وبتقدير عميق أشكرك على هذه الهدية، هدية تجديد الشباب التي أعطيتها لي، ولكثيرين آخرين.

أختكم في المسيح

م. ب.

دعوة الى حياة العِفَّة والنقاوة

بيان مشترك لأبرشية نيويورك الكاثوليكية وحركة برودرهوف المسيحية

إن الحركة المسيحية برودرهوف Bruderhof (التي تعيش مجتمعاتها حياة مسيحية مشتركة) غالبا ما تجد نفسها ضمن الاقلية فيما يخص قضايا الزواج والجنس، إلاّ أننا قد لاقَينا تشجيعا كبيرا من قناعة واهتمام العديد من الكاثوليكيين ممن يقاسموننا ذات الموقف وذات الإيمان في هذه المواضيع المهمة. (فعلى سبيل المثال، تستعمل العديد من الأبرشيات كتابنا "الجنس والله والزواج" في دروس التربية الدينية في معاهدها). أما الوثيقة أدناه فقد جاءت نتيجة حوار دام عدة سنوات مع رعاة الأبرشية في اقليمنا – ولاية نيويورك. وفيما يلي نص البيان المشترك:

تؤمن أبرشية نيويورك الكاثوليكية وحركة برودرهوف المسيحية بأنّ الله قد تتدخل في تاريخ البشرية تدخُلا حاسما وشافيا من خلال ولادة ابنه الوحيد يسوع المسيح، ومن خلال حياته الأرضية وتعاليمه وصلبه وقيامته. ثم إننا نرى أنّ هذا التدخل هو المرتكز الذي تدور حوله تاريخ البشرية جمعاء وإنه لحظة النصر الخلاصي من الظلمة الى النور. لقد قال يسوع المسيح:

أَنَا هُوَ الطَّرِيقُ وَالْحَقُّ وَالْحَيَاةُ. لاَ يَأْتِي أَحَدٌ إِلَى الآبِ إِلاَّ بِي. (يوحنا 14: 6).

فلذلك تؤمن الأبرشية الكاثوليكية وحركة برودرهوف بيسوع المسيح وتحتضنان نعمته لأنه الحقّ وتسعيان للإسترشاد به.

لقد خلقنا الله كلنا من أجل أن نخدم أنفسنا ونخدم الآخرين. فقد قال يسوع المسيح:

فأحِبَّ الرَّبَّ إلهَكَ بِكُلِّ قَلبِكَ وكُلِّ نَفسِكَ وكُلِّ فِكرِكَ وكُلِّ قُدرتِكَ. والوصيَّةُ الثَّانِيةُ: أحِبَّ قَريبَكَ مِثلما تُحِبُّ نَفسَكَ. وما مِنْ وصيَّةٍ أعظَمَ منْ هاتَينِ الوَصيَّتينَ. (مرقس 12: 30-31).

ففي كلتا هاتين الوصيتين نرى أنّ الفعل هو (أحِبَ) والمفعول به هو (الآخر). والآخر هو الله وأخونا الإنسان. لقد ولدنا نحن البشر لنحب بطهارة قلب. فحياة الطهارة والعِفّة بين الناس - سواء في حالة الزواج أو العزوبية - هي مشيئة الله، وتجلب معها البهجة والسرور. إلاّ أنّ العفة تتطلب الوفاء والاستعداد للتضحية بالذات. فقد قال يسوع المسيح:

مَنْ أرادَ أنْ يَتبَعَني، فلْيُنكِرْ نَفسَهُ ويَحمِلْ صَليبَهُ كُلَّ يومٍ ويَتبَعْني. مَنْ أرادَ أنْ يُخَلِّصَ حَياتَهُ يَخسَرُها، ومَنْ خَسِرَ حياتَهُ في سَبيلي يُخَلِّصُها. (لوقا 9: 23-24).

وفيما يخص الزواج، فقد كتب البابا السابق، البابا يوحنا بولص الثاني، في رسالته الرسولية عن "كرامة النساء ودعوتهنّ الإلهية" كما يلي:

منذ البدء، لم يَدْعُ الله الرجل والمرأة ليعيشا مجرد جنبا الى جنب أو معا فحسب بل أيضا ليعيشا وبصورة تبادلية "أحدهما في سبيل الآخر"... فعلى أساس مبدأ التعايش المتبادل في "خدمة" الآخر ضمن علاقة "الإتحاد" الشخصية، ترتقي في الإنسانية عندئذ عملية التكامل بين ما هو ذكري وما هو أنثوي، وبتوافق مع مشيئة الله.

(Mulieris Dignitatem, no. 7)

لمّا حاول أحد الفريسيين أن يجرّب يسوع في موضوع الزواج مستشهدا بما قاله موسى في ما يخص الطلاق، فردَّ يسوع المسيح قائلا:

لِقساوَةِ قُلوبِكُم كَتبَ لكُم موسى هذِهِ الوصيَّةَ. فمِنْ بَدءِ الخَليقَةِ جَعلَهُما اللهُ ذكَرًا وأُنثى. ولذلِكَ يَترُكُ الرَّجُلُ أباهُ وأُمَّهُ ويتَّحِدُ بامرأتِهِ، فيَصيرُ الاثنانِ جسَدًا واحدًا. فلا يكونانِ اَثنَينِ، بل جَسدٌ واحدٌ. وما جَمَعَهُ اللهُ لا يُفَرِّقُهُ الإنسانُ. (مرقس 10: 5-9).

لقد قال الرب يسوع في التطويبات، في الموعظة على الجبل:

هنيئًا لأنقياءِ القُلوبِ، لأنَّهُم يُشاهِدونَ اللهَ. (متى 5: 8).

وفي نظرنا، فإنّ هذه الآية تعني محبة الله من كل قلب الإنسان وتعني أيضا النقاوة الجنسية وحياة العفاف. بعد ذلك يردف يسوع قائلا في تلك الموعظة:

وسمِعتُمْ أنَّهُ قيلَ: لا تَزنِ. أمَّا أنا فأقولُ لكُم: مَنْ نظَرَ إلى اَمرأةٍ لِيَشتَهِيَها، زَنى بِها في قلبِهِ. (متى 5: 27-28).

إنَّ موضوع الجنس معرّف بصورة واضحة لكل من يتبع يسوع المسيح في حياة مسيحية سواء كانت في حالة الزواج أو العزوبة. لكنه من الواضح لنا أن نرى كم قد تعرّضت فضيلة العفة إلى الإنحلال والفساد خلال النصف القرن الأخير. وكما نعلم، أنّ الخطيئة هي جزء من الطبيعة البشرية، وكلنا معرضون للتجربة وإغواء إبليس، وقد جُربنا فعلا سلفا. لكن في الحضارة الغربية على وجه الخصوص، تمّ إعطاء الشهوة سيادة أكثر إباحية. وغالبا ما يجري ترويج وتسخير الشهوة للمنافع المادية بشكل كبير من قِبل وسائل الإعلام. فالفساد الجنسي بشتى أنواعه كالاستمناء باليد (العادة السرية)، وممارسة الشذوذ الجنسي (اللواط والسِحاق)، وصور الدعارة، وممارسة الجماع الجنسي قبل الزواج، بالإضافة الى الطلاق والزواج الثاني، أصبح مقبولا بشكل متزايد. ويجري تأييده بصورة علنية والدفاع عنه، وغالبا ما يحميهم القانون المدني. ومن أحدى ثمار هذا الفساد هو ضعف فضيلة الوفاء في الزواج. هذا وتكشف لنا البحوث والدراسات الاجتماعية

بخصوص موضوع ترك الأولاد للمدرسة أثناء الدوام وأيضا بخصوص الصبيان المنخرطين في أعمال إجرامية متكررة، عن الجروح النفسية التي يعاني منها الاولاد الذين ينتمون إلى العوائل المفككة. لأن العديد من الأولاد ينحرفون في سلوكهم الأخلاقي بسبب إحساسهم بأنهم أقلّ قيمة من الآخرين، بالإضافة إلى أنّ الإعتداد بالنفس يضعف عندهم. ومن أحدى الثمار السيئة الأخرى هي الازدياد في فظائع الاجهاض، ذاك القتل المتعمد للأجِنّة الأبرياء.

أما العناد وإرضاء الذات والسعي وراء المتعة الذاتية فيقوّض ويُضعِف شيمة التضحية بالنفس والمبالاة بالآخرين بدهاء لامثيل له. لأن السعي وراء الملذات الجنسية لا يؤدي إلاّ الى شهوة متزايدة باستمرار لأمر أكثر إثارة – ولا تنتهي أبدا، بل وتخيّب الأمل دائما، ومكتوب لها أن تنتهي بزوال الوهم واليأس.

والشيء الذي يواجه هذا الانحطاط في القيم الأخلاقية هو كلام يسوع المسيح:

تَمَّ الزَّمانُ واَقتَرَبَ مَلكوتُ اللهِ. فتُوبوا وآمنوا بالإنجيلِ. (مرقس 1: 14-15).

فالإنجيل هو أخبار سارَّة! وبشرى سارَّة! فنحن ننادي بإنجيل شريف يخصُّ الحياة، وبشرى سارَّة تخصُّ الحياة. فقد قال يسوع المسيح:

أَمَّا أَنا فقَد أَتَيتُ لِتَكونَ الحَياةُ لِلنَّاس وتَفيضَ فيهِم. (يوحنا 10: 10).

إن الرب يسوع المسيح يعلم جيدا بالتجارب وبمكايد إبليس التي نخوضها، فهبنا التوجيه والقوة والنعمة للتغلب عليها. وفي الزواج الحقيقي، تعكس الوحدة بين الزوج والزوجة الوحدة بين السيد المسيح وكنيسته المقدسة. فوعود زواجهما المتبادلة حصلت في حضور السيد المسيح وكنيسته المقدسة. والزواج مقدس وهو لِأَمَدُ الحياة أي مؤبد. وقد حلَّت عليه بركة الله تعالى والكنيسة المقدسة، وقد رأى الزوجان هذه البركة بصيغة

الخدمة المتبادلة بينهما والعيش الطاهر العفيف والجمال وسرور القلب. ثمّ إنّ الزواج مُوَحِّد ومُنجِب ايضا. فالإثنان يصيران جسدا واحدا في نظر الله. ويعرف الزوجان حقّ المعرفة – وعندما يُكنَّانِ توقيرا وجدانيا للزواج - بأنّه من خلال الحب السامي وبذل النفس سيفتحان نفسيهما ليصيرا خالقين مع الله لجلب حياة جديدة ونفس جديدة الى العالم. فكل طفل يولد لهما إنما هو عطية إلهية مباركة بالإضافة الى مسؤولية جديدة. ومن خلال المحبة بين الوالدين سيحصل الأطفال على أول إحساس لمحبة الله. بالإضافة إلى أنّ التفاني التام للزوجين في الحياة الزوجية، أحدهما من أجل الآخر، في سبيل ديمومة الزواج، وتحت سيادة الله، سينعش ايمانهما وقوة تحملهما ليصمدا ضدّ أي ضعف روحي قد يهاجمهما أو ضدّ أي خطيئة أو مرض أو فاجعة.

إنّ السعي للتلذُّذ الجنسي الذاتي بشتى أشكاله هو إهانة لطهارة الزواج، ومن الواجب التغلب عليه بمعونة الله. فالبذاءة الجنسية تُفسِد العلاقة الزوجية وتُضعِفها حينما يستخدم أحد الزوجين (أو كلاهما) الآخر كمادة للجنس. ويعطينا القديس بولس الرسول دليلا واضحا على كل من الحياة الزوجية والحياة المسيحية على حدٍّ سواء، فيقول:

أَمَّا ثَمَرُ الرُّوحِ فهوَ المَحبَّةُ والفَرَحُ والسَّلامُ والصَّبرُ واللُّطفُ والصَّلاحُ والأمانَةُ والوَداعَةُ والعَفافُ. (غلاطية 5: 22-23).

وهناك هبة إلهيَّة متميزة توهب لكل رجل أو اِمرأة يدعوهما الله ليعيشا حياة التَبَتُّل والعزوبة في خدمة الله وأخينا الإنسان. ولو أخذتنا الظروف أحيانا الى حياة العزوبة دون أن نختارها، لوجدنا أنفسنا أمام تحدٍ متميز لنشهد للعِفّة والنقاوة وأيضا لخدمة الآخرين. هذا ويحتاج هؤلاء الرجال والنساء في مثل هذه الحالة الى تفهُّم ودعم كل المسيحيين لهم.

غالبا ما يفقد المتزوجون إكرامهم وفرحهم بالحقيقة المقدسة للجماع الجنسي وللزواج، وكذلك بمعناهما الروحي. فالتحرُّق للمُتع والملذات الناتجة عن إطلاق العنان للشهوة لتعبّر عن ذاتها وكذلك التطلّع للثراء

المادي سيعمل على إغراء المتزوجين لاعتناق اسلوب حياة وذهنية منع الحمل والإبتعاد عن الإنجاب. وفي هذه الألفية الجديدة، فلابد لرعاة الكنائس المسيحية أن يشجعوا المسيحيين المؤمنين ليكون لهم موقفا واضحا في هذا الموضوع ويشدِّدوا على فضيلة العفة. فبمثل هذه الروحية يعمل معا كل من الأبرشية الكاثوليكية لولاية نيويورك والإخوة والأخوات من مجتمعات برودرهوف من أجل هذا الهدف. ففي ميراثنا المسيحي المشترك نتقبل كل منا باحترام وبمقاسمة المحبة، وإبداء الاهتمام المشترك بمجتمعات بلادنا التي قد اِكفهرَّت وعبَست بسبب كل ما قد أفرزته الخطيئة من مآسٍ. وبالرغم من حقيقة وجود بعض الاختلافات في التعاليم، غير أنّ مجتمعاتنا المؤمنة تقف معا بإسم الإنجيل لتطلق دعوة مشتركة إلى كل الخيرين لاِحتضان قوة العفة والحشمة والآداب والعيش الشريف في حياتهم الجنسية.

وبحسب الكتاب التعليمي للكنيسة الكاثوليكية Catechism of the Catholic Church، تُعتبر العِفّة والاِحتشام ونعمة الله متممين للحياة المسيحية. أما ضمن الفصل الذي يحمل عنوان "المعركة في سبيل العِفَّة" فتعلن الكنيسة فيه ما يلي:

تتطلّب العِفّة الاِحتشام، (الاِحتشام في الملبس والتصرفات)، فهو جزء متمم لضبط النفس. وهو يستر أعزّ ما لدى الإنسان. كما يعني رفض كشف النقاب عن ما يجب أن يكون مستورا... فالاِحتشام يصون سِرّ الناس وحبهم. إنه يشجع الصبر والاعتدال في علاقات الحب؛ وهو يطالب الزوج والزوجة بتنفيذ ما وَعَداه من وفاء وعطاء كاملين أحدهما تجاه الآخر... هذا وتحتاج العفة المسيحية الى تنقية الأجواء الاجتماعية. إنها تطالب وسائل الإعلام أن تعطي برامجها أهمية قصوى لمسألة الاِحتشام والتحفُّظ... وما يدعى بالإباحية الأخلاقية فهي مسألة مبنية على مفهوم مغلوط لحرية الانسان؛ والشرط الضروري لتطوير الحرية الحقيقية هو أن يتعلم المرء القيم الأخلاقية... أما البشرى السارَّة التي يعلنها المسيح فتعمل على تجديد حياة الانسان الساقط

وتجديد تقاليده بصفة مستمرة؛ فهي تحارب وتزيل الآثام والشرور المتدفقة من الجاذبية الموجودة دائما في الخطيئة. وهي لا تكف أبدا عن تنقية وتهذيب أخلاق الناس. انها تتبنى كل السجايا والمواهب الروحية لكل جيل وكل أمة، وتجعلها تُزهِر وتزدهر، وكأنها تسكن في دواخلهم؛ والفضل في ذلك يعود إلى خصوبة البشرى الإنجيلية المُثرية ذات القدرة الخارقة، فهي تُسلِّحهم وتكمِّلهم وتعيدهم دائما إلى جادة الصواب في المسيح.

(CCC, nos 2521-2527)

وفي كتاب "الجنس والله والزواج" يناشد فيه المؤلف يوهان كريستوف آرنولد Johann Christoph Arnold (وهو أحد رعاة كنيسة برودرهوف Bruderhof) يناشد جميع الناس لاِحتضان حياة عفيفة، فيكتب قائلا:

نحن في أمس الحاجة الآن، وأكثر من أي وقت مضى، إلى العودة إلى المفهوم الصحيح حول ماهيّة الكنيسة؛ فالكنيسة هي جماعة حيّة - كالجسم الحيّ الواحد - والتي تتألف من أعضاء ملتزمين يتقاسمون الحياة من خلال أعمال المحبة العملية... فمن واجبنا أن نُظهر للعالم أن التعاليم الفريدة ليسوع المسيح ورسله هي الحل الشافي الوحيد لروحية عصرنا الضالّة... وللأسف، فقد تخلّى، وببساطة، الكثير من الناس في يومنا هذا عن إمكانية العيش العفيف الشريف. فقد وقعوا في شراك أسطورة "التحرّر" الجنسي، وحاولوا التعايش مع ما يسببه هذا التحرّر من خيبات الأمل، وعندما تنهار علاقاتهم يلتمسون أسبابا أخرى لتبرير فشلهم وإخفاقهم. ويعجزون عن رؤية مدى روعة وعظمة نعمة العِفّة ووصية الله بالحياة العفيفة النقية... فحيثما توجد كنيسة مخلصة – أي بمعنى أية جماعة مسيحية تَعهَّدَ أفرادها بأنَّ يحيوا

بعلاقات مخلصة وصادقة - ستلقى معونة وأملا لكل شخص ولكل زواج فيها.

كتاب "الجنس والله والزواج" (ص 11-12)

إنَّ ميراثنا المسيحي المشترك ورغبتنا لتشجيع ذوي النوايا الحسنة لكي يحيوا في عفاف ونقاء يعمل على توحيد جميع مجتمعاتنا المؤمنة، سواء كانت المجتمعات الكاثوليكية أو مجتمعات برودرهوف. هذا وتهيب أبرشية نيويورك وحركة برودرهوف، بجميع الناس وخصوصا بأولئك المتعمدين بِاسم يسوع المسيح – أن يعشوا حياة العِفّة والنقاوة. كما تلتمس بدورها مجتمعات كنيستينا حياة العفة والنقاوة لأفرادها من خلال مناشدة القوة القديرة لنعمة الله. هذا ويتحتم على الجماعات المؤمنة إيجاد طرق عملية وملموسة لتشكيل وصياغة حضارة قوامها الوفاء والإخلاص في العلاقات بحيث تصير حضارة عفيفة معاكسة لحياة الفواحش والرذائل السائدة في البلاد. ثم إننا نأمل ونترجى الله سبحانه تعالى في صلواتنا بأن يفتح الناس قلوبهم أينما كانوا الى قوة المحبة الحقيقية القادرة على تغيير النفوس. ونحن أيضا على دراية تامة بأننا لو فقدنا الشجاعة لجعل أفراد كنائسنا تتواجه مع حقيقة السيد المسيح أو توقفنا عن إلهامهم لصارت جهودنا في سبيل الاخلاق ذات تأثير شبه معدوم. فالفكر العفيف والجسد العفيف والنفس العفيفة من المتطلبات الرئيسية لحياة السرور والسلام. وبالرغم من العقبات الموضوعة من قبل المعايير الأخلاقية المتضعضعة إلاّ أنّ بناء تقاليد من الحياة التقيَّة التي يريدها الله أمر ممكن جدا. ويجب ألاَّ ننسى أنّ كل شيء مستطاع مع الله.

وُقِعتْ بتاريخ 19 أغسطس 2003م

الأخت ماري اليزابيث

مكتب الحياة العائلية

أبرشية نيويورك

يوهان كريستوف آرنولد

مجتمعات برودرهوف المسيحية

نبذة من

سيرة المؤلف

لقد اخذ الناس يتوقعون الحصول على نصائح سديدة من المؤلف يوهان كريستوف آرنولد Johann Christoph Arnold الحائز على جائزة أحسن كاتب، الذي وصلت مبيعات كتبه الأخيرة عن الجنس والزواج والتربية ومواجهة الموت والغفران والبحث عن السلام بالإنكليزية إلى أكثر من 300000 نسخة، فضلا عن كتبه المترجمة إلى 19 لغة.

وباعتباره قسيسا ومستشارا اجتماعيا لمدة أربعين عاما فقد أسدى بمشورته إلى الآلاف من العوائل والأفراد ومن ضمنهم المصابين بالأمراض المزمنة والمسجونين والمراهقين.

وأصله من ألمانيا، وهو أب لثماني أولاد بالغين، ويسكن مع زوجته فيرينا Verena في شمال ولاية نيويورك، حيث يخدم هناك منذ عام 1972م كخادم للكلمة (قسيس) في مجتمعات برودرهوف المسيحية Bruderhof – وهي حركة دولية للحياة المسيحية المشتركة تهدف إلى العيش البسيط والخدمة واللاعنف.

ولما كان يوهان كريستوف آرنولد متحدثا نشطا، فقد ظهر ضيفا على العديد من القنوات التلفزيونية، وفي كثير من برامج الراديو، وكذلك في كليات اللاهوت وساحات الجامعات.

وهو ناقد اجتماعي أيضا، ويدعو بشدة إلى تقديس الحياة وتوقيرها. وقد تعاون في هذا المجال مع غيره من الشخصيات المعروفة التي تسعى إلى السلام والمصالحة والعدل في العديد من مناطق النزاع في العالم.

وقد قام برحلات مكثفة حول العالم نيابة عن الكنيسة، وتقابل مع الكثير من القادة الدينيين مثل البابا السابق والحالي والام تيريزا والاسقف صموئيل رُويز Samuel Ruiz (الذي كان يساعد الفقراء في المكسيك)، وتِك نات هان Thich Nhat Hanh (راهب بوذي فيتنامي وناشط سلمي).

نبذة عن

مجتمعات برودرهوف المسيحية

Bruderhof Communities

هويتنا

إنّ حركة برودرهوف Bruderhof (حيث تعني الكلمة بالألمانية مكان الإخوة) هي حركة دولية للحياة المسيحية المشتركة المسالمة والتي يتألف قوامها من كل من الأسر والعزاب على حد سواء الذين يسعون لوضع وصايا يسوع المسيح في حيز التطبيق من محبة الله ومحبة القريب. ومثلما قد وُصِفتْ حياة المسيحيين الأوائل في سفر أعمال الرسل في الفصل الثاني والرابع، فقد دُعينا نحن أيضاً إلى تلك الحياة التي فيها الكل قلباً واحداً ونفساً واحدة، فلا يملك أحد أي شيء، بل كل شيء مشترك. كما نستقي الإرشاد والإلهام من حياة جماعة الأنابابدست Anabaptist التي انبثقت منذ زمن الإصلاح حيث التهبت صدورهم غيرة ومحبة ليتبعوا المسيح في مجتمعات مسيحية كليّة المشاركة على غرار المسيحيين الأوائل.

لمحة تاريخية

بدأت حركة برودرهوف المسيحية في عام 1920م في ألمانيا عندما أخذت مجاميع من المسيحيين تبحث عن أجوبة لما قد حلّ من دمار في المجتمع بعد الحرب العالمية الأولى، فأسسوا مجتمعات مسيحية متشاركة تسترشد الهدى في حياتها اليومية من وصايا وتعاليم يسوع المسيح.

وفي سنواتها المبكرة زاد عدد أفراد الجماعة ليصل بضعة مئات واعتمدوا في كسب رزقهم على الزراعة وبيع كتبهم. وكان حالهم فقيراً جداً لأن مجتمعهم المسيحي فتح أبوابه لاستقبال اليتامى والأمهات الوحيدات

وغيرهم من المحتاجين. وأشتدّ الفقر عندما جاء النظام النازي إلى الحكم وحرَّمَ بيع كتبهم وغيرها من الحِرف التي كانت للجماعة.

وفي عام 1937م حاصرت قوات الـ "SA" أرضنا (وهي قوات عسكرية متخصصة بالانقضاض)، وسجنت العديد من أعضاءنا، وأمرتنا بمغادرة بلدنا ألمانيا في غضون 48 ساعة. وقد كتب أحد ضباط البوليس السري – الجستابو – بأنّ هذا المجتمع المسيحي، "يمثل نظرة عالمية معارضة تماماً للاشتراكية القومية لألمانيا". والنظرة العالمية (بحسب ما سماها) تضمّنت رفض الجماعة لأداء التحية (الاستعبادية) لهتلر، وللخدمة في الجيش، ولقبول معلمي المدارس النازيين في مدارسهم الخاصة.

ولحسن الحظ، ولكون الجماعة كان لها أعضاء بريطانيين، تيسّرت الهجرة إلى انكلترا. وقد تمَّ شراء مزرعة في مقاطعة "كوتسوولد Cotswold" في عام 1938م، وزاد عدد الجماعة لأكثر من 350 فرداً في خلال السنين الخمس التي تلت.

ولما كانت الحرب تلوح في الأفق، أثار المزيج بين الأعضاء الانكليزيين والألمانيين شكوكاً من قبل الناس في المناطق الريفية البريطانية، ولاسيما عندما بدأت سياسة الحكومة في اعتقال "الأجانب الأعداء" تؤثر على الجماعة المسيحية الأخوية. فعرضت الحكومة البريطانية على الجماعة خيارين: إما اعتقال جميع الأعضاء الألمانيين أو مغادرة الجماعة كلها البلاد. وفي عام 1941م وبعد تصميم أفرادها على أن يبقوا معاً، قرروا أن يلتجئوا سوية إلى بلد آخر.

وكانت الدولة الوحيدة – أثناء الحرب العالمية الثانية - التي قبلت جماعة مسالمة متكونة من انكليز وألمان هي باراغواي. فسافر جميع الأعضاء بأمان عبر المياه التي كانت تنتشر فيها الغواصات العسكرية المعادية وشرعوا في بناء مجتمعهم المسيحي في الأدغال هناك.

وفي غضون العشرين عاماً التي تلت، تمَّ تأسيس ثلاثة مجتمعات مسيحية في البلد، فضلاً عن مستشفى قدمت خدماتها إلى الجماعة بالإضافة إلى عشرات الآلاف من السكان الأصليين في باراغواي. كانت

الحياة في باراغواي صعبة، ومناخها قاسٍ وغير مألوف علينا، وفيها أمراض مدارية، وانعزال عن العالم الواسع.

وأثناء الحرب العالمية الثانية وبعدها، زاد اهتمام الكثير من الأمريكيين الشباب بالحياة المسيحية المشتركة. فأخذت العشرات منهم تزور مجتمعاتنا المسيحية في باراغواي، وفي عام 1954م تمَّ تأسيس مجتمع "وودكرست Woodcrest" المسيحي في ولاية نيويورك في وسط وادي نهر "هدسن Hudson". وأخيرا أنتقل جميع الأعضاء من باراغواي إلى الولايات المتحدة الأمريكية وانكلترا. ومنذ ذلك الحين تمَّ تأسيس مجتمعات مسيحية أخرى في ألمانيا واستراليا ومرة أخرى في باراغواي.

الحياة المسيحية المشتركة

إنّ حياة المشاركة في العمل والعبادة ووجبات الطعام تمنحنا يومياً فرصاً لتجسيد معتقداتنا على أرض الواقع. فكل فرد، بغض النظر عن مدى قابليته، قادر على أن يساهم بشيء ما.

والأعضاء يقدمون نذورهم المؤبدة بالطاعة والفقر وخدمة الجماعة. وكل من يرغب في الانتماء يجب عليه أن يكرس كل ما يملك (أو تملك) وأيضا كل مواهبه ليقف على أرضية واحدة سويّة مع كل الأخوة والأخوات.

واليوم، يوجد أكثر من عشرين مكانا لمجتمعات برودرهوف المسيحية في أرجاء العالم. وحوالي نصفها تشبه القرى القائمة بذاتها وتتكون من 100- 300 شخص. ويداوم الأولاد في رياض الأطفال والمدارس الابتدائية الخاصة بالمجتمع، ويعمل الكبار حيثما تحتاجهم أقسام العمل في المجتمع، مثل قسم غسيل الملابس، أو المطبخ، أو العيادة الطبية، أو واحدة من المصالح التي نسترزق منها. وتجتمع الجماعة يومياً للعبادة وتناول وجبات الطعام وغيرها من الفعاليات.

بالإضافة إلى تلك المجتمعات المسيحية الكبيرة، لدينا بعض الأخويات الصغيرة التي تعيش أيضا حياة مسيحية مشتركة في المدن الكبيرة مثل نيويورك ولندن. وبسبب وعودنا بالطاعة، يُحتمل أن يُطلب من أي عضو

لنا بالانتقال إلى مجتمع مسيحي آخر، كبير كان أو صغير، وأينما كان في العالم.

نسعى دائما إلى الاتفاق بالإجماع التام مهما كلف الأمر لتحقيق وحدة حقيقية صافية في القلوب.

الأسرة

إنَّنا نؤمن بأن الأسرة هي الأساس الصائب لأي مجتمع كان، وننظر للزواج على أنه مديد الحياة وأيضاً التزام مقدس.

أما تربية الأولاد فيتحمّل الأهل المسؤولية الرئيسية فيها، بالرغم من أن المجتمع يوفر لهم حضانة ومدارس من أعمار مبكرة.

ويتمّ تنشئة الأولاد في المجتمع المسيحي ليصبحوا مواطنين مسئولين يساهمون في بناء البلد مهما كان الطريق الذي يختارونه لحياتهم.

إن العضوية في مجتمعنا المسيحي ليست حقاً مكتسباً بالولادة. فيجري تشجيع الشباب على الحصول على خبرات حياتية في أماكن أخرى أيضاً وكذلك حثّهم على اكتشاف مشيئة الله لحياتهم. أما تقديم النذور المؤبدة في خدمة يسوع المسيح ضمن المجتمع المسيحي فيجب أن تكون دعوة إلهية شخصيّة للفرد وقرار حرّ نابع عن إطلاع ووعي من قبل الشخص البالغ.

وتجري رعاية العجزة والمعوقين من قبل الجماعة نفسها، وهم يشاركون في مختلف الفعاليات والأنشطة التي تجري في المجتمع المسيحي، ويعملون ما داموا قادرين على ذلك.

التربية والتّعليم

تدير مدارس المجتمعات المسيحية للكنيسة عدداً من رياض الأطفال والمدارس الابتدائية وحتى الثانوية، وتقدم دراسات أكاديمية متشدّدة وتعليم واسع في الفن والموسيقى والتأكيد على التحلّي بالروح الرياضية، بالإضافة إلى الكثير من الحرف اليدوية الماهرة. ومن الأولويات المركزية

لمدارسنا هو أن نلهم الأولاد على محبة التعلّم طوال حياتهم وأيضاً خدمة الآخرين. ويشدّد المنهج على أسس القراءة والكتابة والحساب وأيضاً على وجود علاقة قوية مع عالم الطبيعة بدلا من الاعتماد على التكنولوجيا.

بعد المدرسة الثانوية، يواصل العديد من الطلاب السعي في التدريب المهني أو الأكاديمي، في حين يتعلم الآخرون إتقان بعض المهارات في مهن معينة من خلال التدريب.

العمل

إنَّ جميع جوانب الحياة اليومية لدينا هي بمثابة إعلان حيّ لإيماننا، والعمل ليس مستثنى من ذلك. ويساهم كل فرد في دعم وإعالة المجتمع ورسالته.

ولا يستلم أي فرد أجوراً على ما يقوم به من خدمات، سواء كان يعمل كسبّاك أو طباخ أو مهندس أو طبيب أو معلم. وعملنا المشترك هو تعبير عن التزامنا بخدمة بعضنا لبعض. ولا يركض الأعضاء لا وراء ممارسة مهنهم الشخصية ولا وراء مركزهم الاجتماعي في أو خارج المجتمع المسيحي ولا حتى القيام بأنشطة لغرض الترقية الشخصية.

وجميع مجتمعاتنا المسيحية الموجودة في أرجاء العالم لها صندوق مالي مشترك واحد.

التواصل مع الآخرين

يكمن في صميم مجتمعاتنا المسيحية اشتياق للتواصل مع المجتمع الأوسع في العالم حوالينا.

وبالإضافة إلى التواصل بشتى أنواعه الذي نجريه محلياً من زيارة السجون ومن مشاريع التطوير العمراني في المدينة على سبيل المثال، إلا أنَّ المؤسسة الخيرية العامة التابعة لمجتمع كنيستنا Church Communities Foundation تعمل سوية مع منظمات إنسانية عديدة مثل منظمة أوكسفام للإغاثة Oxfam، ومنظمة أنقذوا الأطفال Save the children،

ومنظمة أطباء بلا حدود Doctors without Borders، والهيئة المركزية لجماعة المينونايت Mennonite Central Committee، ومنظمة الرؤية العالمية World Vision، ومنظمة مُرسَليّ ماري كنول لاي Mary knoll Lay Missioners لمساعدة ضحايا الفقر والمرض والكوارث الطبيعية.

ومن خلال تعاوننا وعملنا المشترك مع التربويين والأهالي والسلطات المحلية وأيضا مع أصحاب السوابق الذين نبذوا حياة الإجرام، فقد قدمت حركة برودرهوف برنامجا يدعى "كسر الدائرة Breaking the Cycle" لمجالس العشرات من المدارس الثانوية في انكلترا والولايات المتحدة الأمريكية وفي غيرها من الدول الأخرى بغية مكافحة العنف المتفشي. ومتحدثي هذه المجالس هم من الذين قد رأوا قوة وقدرة المغفرة العجيبة من تجارب حياتهم الشخصية.

وينشر دار المحراث لنشر الكتب House Plough Publishing الخاص بحركة برودرهوف كتبنا وصحفنا منذ عام 1920م. وقد تُرجمت الكثير من كتبنا التي تشمل الكتابات الروحية الشهيرة، والكتب المُلهِمة، وكتب الأطفال، إلى عشرات اللغات، وصار عدد منها من أكثر مبيعات الكتب وفقاً لإحصائيات كل من المكتبات الدينية والعلمانية. ويمكنكم زيارة موقعنا على الشبكة:

www.plough.com

الاتصال بنا

إذا أحببتم الاتصال بنا أو زيارتنا كفرد أو كأسرة أو كمجموعة فيمكنكم الكتابة إلى أحد العناوين التالية:

Woodcrest Community 2032 Route 213 Rifton NY 12471 tel: 001(0)845.658.7700 United States	Sannerzgemeinschaft Lindenstrasse 13 36391 Sinntal-Sannerz tel: 0049(0) 6664.402.498 Germany

Darvell Community Brightling Road Robertsbridge East Sussex TN32 5DR tel: 0044(0) 1580.883.330 England	Villa Primavera Correo Paraguayo Agencia MultiPlaza Casilla de Correo No. 16051 Asuncion tel: 00595(0) 21-608-938 Paraguay
Danthonia Community Glen Innes Road Inverell NSW 2360 tel: 0061(0) 2.6723.2213 Australia	Spring Valley PO Box 260, 100 Spring Valley Road • Farmington, PA 15437 Tel: 001(0)724.329.1100 United States

وللتعرف على مواقع جميع مجتمعاتنا المسيحية، وكيفية الاتصال بها، يمكنك زيارة موقع دليلنا الدولي على هذا الرابط:

/http://www.bruderhof.com/international-directory

Email

info@plough.com

info@bruderhof.com

خاتمة

حِكَمٌ إلهية
من سفر الأمثال في الكتاب المقدس
عن العِفّة

تحذير من الزنى

يَا ابْنِي أَصْغِ إِلَى حِكْمَتِي، وَأَرْهِفْ أُذُنَكَ إِلَى قَوْلِ فِطْنَتِي. لِكَيْ تَدَّخِرَ الْفِطْنَةَ، وَتَرْعَى شَفَتَاكَ الْعِلْمَ. لأَنَّ شَفَتَيِ الْمَرْأَةِ الْعَاهِرَةِ تَقْطُرَانِ شَهْداً، وَحَدِيثَهَا أَكْثَرُ نُعُومَةً مِنَ الزَّيْتِ، لَكِنَّ عَاقِبَتَهَا مُرَّةٌ كَالْعَلْقَمِ، حَادَّةٌ كَسَيْفٍ ذِي حَدَّيْنِ. تَنْحَدِرُ قَدَمَاهَا إِلَى الْمَوْتِ، وَخَطْوَاتُهَا تَتَشَبَّثُ بِالْهَاوِيَةِ. لاَ تَتَأَمَّلُ طَرِيقَ الْحَيَاةِ؛ تَتَرَنَّحُ خَطْوَاتُهَا وَهِيَ لاَ تُدْرِكُ ذَلِكَ. وَالآنَ أَصْغُوا إِلَيَّ أَيُّهَا الْبَنُونَ، وَلاَ تَهْجُرُوا كَلِمَاتِ فَمِي. أَبْعِدْ طَرِيقَكَ عَنْهَا، وَلاَ تَقْتَرِبْ مِنْ بَابِ بَيْتِهَا، لِئَلاَّ تُعْطِيَ كَرَامَتَكَ لِلآخَرِينَ، وَسِنِي عُمْرَكَ لِمَنْ لاَ يَرْحَمُ، فَيَسْتَهْلِكَ الْغُرَبَاءُ ثَرْوَتَكَ حَتَّى الشِّبَعِ، وَتَضْحَى غَلَّةُ أَتْعَابِكَ فِي بَيْتِ الأَجْنَبِيِّ. فَتَنُوحَ فِي أَوَاخِرِ حَيَاتِكَ، عِنْدَ فَنَاءِ لَحْمِكَ وَجَسَدِكَ، لإِصَابَتِكَ بِأَمْرَاضٍ مُعْدِيَةٍ، وَتَقُولَ: «كَيْفَ مَقَتُّ التَّأْدِيبَ، وَاسْتَخَفَّ قَلْبِي بِالتَّوْبِيخِ، فَلَمْ أُصْغِ إِلَى تَوْجِيهِ مُرْشِدِيَّ، وَلاَ اسْتَمَعْتُ إِلَى مُعَلِّمِيَّ. حَتَّى كِدْتُ أَتْلَفُ فِي وَسَطِ الْجُمْهُورِ وَالْجَمَاعَةِ". (5: 1-14).

مسرات الزواج ومسئولياته

اشْرَبْ مَاءً مِنْ جُبِّكَ، وَمِيَاهاً جَارِيَةً مِنْ بِئْرِكَ. أَيَنْبَغِي عَلَى يَنَابِيعِكَ أَنْ تَفِيضَ إِلَى الْخَارِجِ كَأَنْهَارِ مِيَاهٍ فِي الشَّوَارِعِ؟ لِيَكُنْ أَوْلاَدُكَ لَكَ وَحْدَكَ، لاَ نَصِيبَ لِلْغُرَبَاءِ مَعَكَ فِيهِمْ. لِيَكُنْ يَنْبُوعُ عِفَّتِكَ مُبَارَكاً، وَاغْتَبِطْ بِامْرَأَةِ شَبَابِكَ، فَتَكُونَ كَالظَّبْيَةِ الْمَحْبُوبَةِ وَالْوَعْلَةِ الْبَهِيَّةِ. فَتَرْتَوِيَ مِنْ فَيْضِ فِتْنَتِهَا، وَتَظَلَّ دَائِماً أَسِيرَ حُبِّهَا. لِمَاذَا تُوْلَعُ يَا ابْنِي بِالْمَرْأَةِ الْعَاهِرَةِ أَوْ تَحْتَضِنُ الْغَرِيبَةَ؟

فَإِنَّ تَصَرُّفَاتِ الإِنْسَانِ مَكْشُوفَةٌ أَمَامَ عَيْنَيِ الرَّبِّ، وَهُوَ يُبْصِرُ جَمِيعَ طُرُقِهِ. آثَامُ الْمُنَافِقِ تَتَصَيَّدُهُ، وَيَعْلَقُ بِحِبَالِ خَطِيئَتِهِ. يَمُوتُ افْتِقَاراً إِلَى التَّأْدِيبِ، وَبِحُمْقِهِ يَتَشَرَّدُ. (5: 15-23).

تحذير من الزنى

يَا ابْنِي احْفَظْ وَصَايَا أَبِيكَ وَلاَ تَتَجَاهَلْ شَرِيعَةَ أُمِّكَ. اعْقِدْهَا دَائِماً عَلَى قَلْبِكَ، وَتَقَلَّدْ بِهَا فِي عُنُقِكَ، فَتَهْدِيَكَ كُلَّمَا مَشَيْتَ، وَتَرْعَاكَ كُلَّمَا نِمْتَ، وَتُنَاجِيَكَ عِنْدَمَا تَسْتَيْقِظُ. فَالْوَصِيَّةُ مِصْبَاحٌ وَالشَّرِيعَةُ نُورٌ، وَالتَّوْبِيخُ فِي سَبِيلِ التَّأْدِيبِ هُوَ طَرِيقُ حَيَاةٍ، لِكَيْ تَقِيَكَ مِنَ الْمَرْأَةِ الشِّرِّيرَةِ وَمِنْ لِسَانِ الْعَاهِرَةِ الْمَعْسُولِ. لاَ تَشْتَهِ جَمَالَهَا فِي قَلْبِكَ وَلا تَأْسِرْ لُبَّكَ بِأَهْدَابِهَا. لأَنَّهُ بِسَبَبِ الْمَرْأَةِ الْعَاهِرَةِ يَفْتَقِرُ الإِنْسَانُ إِلَى رَغِيفِ خُبْزٍ، وَالزَّانِيَةُ الْمُتَزَوِّجَةُ تَقْتَنِصُ بِأَشْرَاكِهَا النَّفْسَ الْكَرِيمَةَ. أَيُمْكِنُ لِلْمَرْءِ أَنْ يَضَعَ نَاراً فِي حِضْنِهِ وَلاَ تَحْتَرِقَ ثِيَابُهُ؟ أَوْ أَنْ يَمْشِيَ عَلَى جَمْرٍ وَلاَ تَكْتَوِيَ قَدَمَاهُ؟ هَذَا مَا يُصِيبُ كُلَّ مَنْ يَزْنِي بِامْرَأَةِ غَيْرِهِ؛ حَتْماً يَحُلُّ بِهِ الْعِقَابُ. وَمَعَ أَنَّ النَّاسَ قَدْ لاَ تَحْتَقِرُ لِصّاً إِذَا سَرَقَ لِيُشْبِعَ بَطْنَهُ وَهُوَ جَائِعٌ، لَكِنْ إِذَا قُبِضَ عَلَيْهِ مُتَلَبِّساً بِالْجَرِيمَةِ يُعَوِّضُ سَبْعَةَ أَضْعَافٍ، حَتَّى وَلَوْ كَلَّفَهُ ذَلِكَ كُلَّ مَا يَقْتَنِيهِ. أَمَّا الزَّانِي فَيَفْتَقِرُ إِلَى الإِدْرَاكِ السَّلِيمِ، وَكُلُّ مَنْ يَرْتَكِبُ الزِّنَى يُدَمِّرُ نَفْسَهُ، إِذْ يَتَعَرَّضُ لِلضَّرْبِ وَالْهَوَانِ، وَعَارُهُ لاَ يُمْحَى أَبَداً. لأَنَّ الْغَيْرَةَ تُفَجِّرُ غَضَبَ الرَّجُلِ فَلاَ يَرْحَمُ عِنْدَمَا يُقْدِمُ عَلَى الانْتِقَامِ. لاَ يَقْبَلُ الْفِدْيَةَ، وَيَأْبَى الاسْتِرْضَاءَ مَهْمَا أَكْثَرْتَ الرِّشْوَةَ. (6: 20-35).

تحذير من إغواء الزانية

يَا ابْنِي احْفَظْ أَقْوَالِي وَاذْخَرْ وَصَايَايَ مَعَكَ. أَطِعْ وَصَايَايَ فَتَحْيَا، وَصُنْ شَرِيعَتِي كَحَدَقَةِ عَيْنِكَ. اعْصِبْهَا عَلَى أَصَابِعِكَ، وَاكْتُبْهَا عَلَى صَفَحَاتِ قَلْبِكَ. قُلْ لِلْحِكْمَةِ: أَنْتِ أُخْتِي، وَلِلْفِطْنَةِ: أَنْتِ قَرِيبَتِي. فَهُمَا تَحْفَظَانِكَ مِنَ الْمَرْأَةِ الْعَاهِرَةِ، وَالزَّوْجَةِ الْفَاسِقَةِ الَّتِي تَتَمَلَّقُ بِكَلاَمِهَا. (7: 1-5).

الابن الغبي والزانية

فَإِنِّي أَشْرَفْتُ مِنْ كُوَّةِ بَيْتِي، وَأَطْلَلْتُ مِنْ خِلاَلِ نَافِذَتِي، فَشَاهَدْتُ بَيْنَ الْبَنِينَ الْحَمْقَى شَاباً مُجَرَّداً مِنَ الْفَهْمِ، يَجْتَازُ الطَّرِيقَ صَوْبَ الْمُنْعَطَفِ، بِاتِّجَاهِ الشَّارِعِ الْمُفْضِي إِلَى بَيْتِهَا. عِنْدَ الْغَسَقِ فِي الْمَسَاءِ تَحْتَ جُنْحِ اللَّيْلِ وَالظُّلْمَةِ. فَإِذَا بِامْرَأَةٍ تَسْتَقْبِلُهُ فِي زِيٍّ زَانِيَةٍ وَقَلْبٍ مُخَادِعٍ. صَخَّابَةٌ وَجَامِحَةٌ لاَ تَسْتَقِرُّ قَدَمَاهَا فِي بَيْتِهَا. تَرَاهَا تَارَةً فِي الْخَارِجِ، وَطَوْراً فِي سَاحَاتِ الأَسْوَاقِ، تَكْمُنُ عِنْدَ كُلِّ مُنْعَطَفٍ. فَأَمْسَكَتْهُ وَقَبَّلَتْهُ وَقَالَتْ لَهُ بِوَجْهٍ وَقِحٍ: "كَانَ عَلَيَّ أَنْ أُقَدِّمَ ذَبَائِحَ سَلاَمٍ، فَأَوْفَيْتُ الْيَوْمَ نُذُورِي. وَقَدْ خَرَجْتُ لاِسْتِقْبَالِكَ، بَعْدَ أَنْ بَحَثْتُ بِشَوْقٍ عَنْكَ حَتَّى وَجَدْتُكَ. قَدْ فَرَشْتُ سَرِيرِي بِأَغْطِيَةٍ كَتَّانِيَّةٍ مُوَشَّاةٍ مِنْ مِصْرَ، وَعَطَّرْتُ فِرَاشِي بِطِيبِ الْمُرِّ وَالْقِرْفَةِ. فَتَعَالَ لِنَرْتَوِيَ مِنَ الْحُبِّ حَتَّى الصَّبَاحِ، وَنَتَلَذَّذَ بِمُتَعِ الْغَرَامِ. فَإِنَّ زَوْجِي لَيْسَ فِي الْبَيْتِ، قَدْ مَضَى فِي رِحْلَةٍ بَعِيدَةٍ. وَأَخَذَ مَعَهُ صُرَّةً مُكْتَنِزَةً بِالْمَالِ، وَلَنْ يَعُودَ إِلاَّ عِنْدَ اكْتِمَالِ الْبَدْرِ". فَأَغْوَتْهُ بِكَثْرَةِ أَفَانِينِ كَلاَمِهَا، وَرَنَّحَتْهُ بِتَمَلُّقِ شَفَتَيْهَا. فَمَضَى عَلَى التَّوِّ فِي إِثْرِهَا، كَثَوْرٍ مَسُوقٍ إِلَى الذَّبْحِ، أَوْ أَيِّلٍ وَقَعَ فِي فَخٍّ. إِلَى أَنْ يَنْفُذَ سَهْمٌ فِي كَبِدِهِ، وَيَكُونَ كَعُصْفُورٍ مُنْدَفِعٍ إِلَى شَرَكٍ، لاَ يَدْرِي أَنَّهُ قَدْ نُصِبَ لِلْقَضَاءِ عَلَيْهِ. وَالآنَ أَصْغُوا إِلَيَّ أَيُّهَا الأَبْنَاءُ، وَأَرْهِفُوا آذَانَكُمْ إِلَى أَقْوَالِ فَمِي: لاَ تَجْنَحْ قُلُوبُكُمْ نَحْوَ طُرُقِهَا، وَلاَ تُحَوِّمْ فِي دُرُوبِهَا. فَمَا أَكْثَرَ الَّذِينَ طَرَحَتْهُمْ مُثْخَنِينَ بِالْجِرَاحِ، وَجَمِيعُ صَرْعَاهَا أَقْوِيَاءُ. إِنَّ بَيْتَهَا هُوَ طَرِيقُ الْهَاوِيَةِ الْمُؤَدِّي إِلَى مَخَادِعِ الْمَوْتِ. (7: 6-27).

المرأة الفاضلة

مَنْ يَعْثُرُ عَلَى الْمَرْأَةِ الْفَاضِلَةِ؟ إِنَّ قِيمَتَهَا تَفُوقُ اللآلِيءَ. بِهَا يَثِقُ قَلْبُ زَوْجِهَا فَلاَ يَحْتَاجُ إِلَى مَا هُوَ نَفِيسٌ. تُسْبِغُ عَلَيْهِ الْخَيْرَ دُونَ الشَّرِّ كُلَّ أَيَّامِ حَيَاتِهَا. تَلْتَمِسُ صُوفاً وَكَتَّاناً وَتَشْتَغِلُ بِيَدَيْنِ رَاضِيَتَيْنِ، فَتَكُونُ كَسُفُنِ التَّاجِرِ الَّتِي تَجْلِبُ طَعَامَهَا مِنْ بِلاَدٍ نَائِيَةٍ. تَنْهَضُ وَاللَّيْلُ مَا بَرِحَ مُخَيِّماً، لِتُعِدَّ طَعَاماً لأَهْلِ بَيْتِهَا، وَتُدَبِّرَ أَعْمَالَ جَوَارِيهَا تَتَفَحَّصُ حَقْلاً وَتَشْتَرِيهِ، وَمِنْ مَكْسَبِ يَدَيْهَا تَغْرِسُ كَرْماً تُنَطِّقُ حَقَوَيْهَا بِالْقُوَّةِ وَتُشَدِّدُ ذِرَاعَيْهَا. وَتُدْرِكُ أَنَّ تِجَارَتَهَا رَابِحَةٌ،

وَلاَ يَنْطَفِيءُ سِرَاجُهَا فِي اللَّيْلِ. تَقْبِضُ بِيَدَيْهَا عَلَى الْمِغْزَلِ وَتُمْسِكُ كَفَّاهَا بِالْفَلَكَةِ. تَبْسُطُ كَفَّيْهَا لِلْفَقِيرِ وَتَمُدُّ يَدَيْهَا لإِغَاثَةِ الْبَائِسِ. لاَ تَخْشَى عَلَى أَهْلِ بَيْتِهَا مِنَ الثَّلْجِ، لأَنَّ جَمِيعَهُمْ يَرْتَدُونَ الْحُلَلَ الْقِرْمِزِيَّةَ. تَصْنَعُ لِنَفْسِهَا أَغْطِيَةً مُوَشَّاةً، وَثِيَابُهَا مُحَاكَةٌ مِنْ كَتَّانٍ وَأُرْجُوَانٍ. زَوْجُهَا مَعْرُوفٌ فِي مَجَالِسِ بَوَّابَاتِ الْمَدِينَةِ، حَيْثُ يَجْلِسُ بَيْنَ وُجَهَاءِ الْبِلاَدِ. تَصْنَعُ أَقْمِصَةً كَتَّانِيَّةً وَتَبِيعُهَا، وَتُزَوِّدُ التَّاجِرَ الْكَنْعَانِيَّ بِمَنَاطِقَ. كِسَاؤُهَا الْعِزَّةُ وَالشَّرَفُ، وَتَبْتَهِجُ بِالأَيَّامِ الْمُقْبِلَةِ. يَنْطِقُ فَمُهَا بِالْحِكْمَةِ، وَفِي لِسَانِهَا سُنَّةُ الْمَعْرُوفِ. تَرْعَى بِعِنَايَةٍ شُؤُونَ أَهْلِ بَيْتِهَا، وَلاَ تَأْكُلُ خُبْزَ الْكَسَلِ. يَقُومُ أَبْنَاؤُهَا وَيَغْبِطُونَهَا، وَيُطْرِيهَا زَوْجُهَا أَيْضاً قَائِلاً: "نِسَاءٌ كَثِيرَاتٌ قُمْنَ بِأَعْمَالٍ جَلِيلَةٍ، وَلَكِنَّكِ تَفَوَّقْتِ عَلَيْهِنَّ جَمِيعاً". الْحُسْنُ غِشٌّ وَالْجَمَالُ بَاطِلٌ، أَمَّا الْمَرْأَةُ الْمُتَّقِيَةُ الرَّبَّ فَهِيَ الَّتِي تُمْدَحُ. أَعْطُوهَا مِنْ ثَمَرِ يَدَيْهَا، وَلْتَكُنْ أَعْمَالُهَا مَصْدَرَ الثَّنَاءِ عَلَيْهَا. (31: 10-31).

Notes

[1]For a summary of current data on the effects of non-marital sex, read *Why Marriage Matters: Reasons to Believe in Marriage in Postmodern Society*, by Glenn T. Stanton (Colorado Springs, CO: Pinon Press, 1997.)

[2]Johann Christoph and Christoph Friedrich Blumhardt, *Now is Eternity* (Rifton, NY: Plough, 1976), 13.

[3]Thomas Merton, *New Seeds of Contemplation* (New York: New Directions, 1972), 180.

[4]Quoted in Eberhard Arnold, *Love and Marriage in the Spirit* (Rifton, NY: Plough, 1965), 102.

[5]Friedrich E. F. von Gagern, *Der Mensch als Bild: Beiträge zur Anthropologie*. 2nd ed. (Frankfurt am Main: Verlag Josef Knecht, 1955), 32.

[6]Quoted in Hans Meier, *Solange das Licht Brennt* (Norfolk, CT: Hutterian Brethren, 1990), 17.

[7]*Der Mensch als Bild*, 33–34.

[8]Dietrich Bonhoeffer, *Ethics* (New York: Macmillan, 1975), 19.

[9]*Der Mensch als Bild*, 58.

[10]*Love and Marriage in the Spirit*, 152.

[11]J. Heinrich Arnold, *Discipleship* (Farmington, PA: Plough, 1994), 42.

[12]Eberhard Arnold, *Inner Land* (Rifton, NY: Plough, 1976), 55–56.

[13]Dietrich Bonhoeffer, *The Cost of Discipleship* (New York: Macmillan, 1958) 95–96.

[14]Cf. Peter Riedemann, *Confession of Faith* (1540), (Rifton, NY: Plough, 1974), 98.

[15]*Discipleship*, 160–161.

[16]Ernst Rolffs, ed., *Tertullian, der Vater des abendländischen Christentums: Ein Kämpfer für und gegen die römische Kirche* (Berlin: Hochweg, 1930), 31–32.

[17]Jean Vanier, *Man and Woman He Made Them* (New York: Paulist, 1994), 128.

[18]Friedrich von Gagern, *Man and Woman: An Introduction to the Mystery of Marriage* (Cork, Ireland: Mercier, 1957), 26–27.

[19]I explore this theme in greater depth in my book *A Little Child Shall Lead Them: Hopeful Parenting in a Confused World* (Farmington, PA: Plough, 1997.)

[20]Johann Christoph and Christoph Friedrich Blumhardt, *Thoughts About Children* (Rifton, NY: Plough, 1980), 29.

[21]*Thoughts About Children*, 9.

[22]*Discipleship*, 169.

[23]*Discipleship*, 177–178.

[24]Dietrich Bonhoeffer, *The Martyred Christian: 160 Readings* (New York: Collier Macmillan, 1985), 170.

[25]Eberhard Arnold, *The Early Christians* (Rifton, NY: Plough, 1972), 18.

[26]*The Wall street Journal*, Dec. 10, 1993.

[27]Numerous studies, including those conducted by Planned Parenthood, conclude that teens who have been through a typical sex education course have a fifty percent higher rate of sexual activity than those who have not. For more information on teenage sexual activity contact: Center for Parent/Youth Understanding, P.O. Box 414, Elizabethtown, PA 17022 Tel: 001(0)717-361-8429.

[28]"Church report accepts cohabiting couples." *The Tablet*, June 10, 1995.

[29]Thomas E. Schmidt, *Straight and Narrow? Compassion and Clarity in the Homosexuality Debate* (Downers Grove, IL: Inter Varsity, 1995), 131-159.

[30]In *Straight and Narrow?* (pp. 153-159 in particular), Schmidt discusses various programs and organizations for men and women seeking a way out of the homosexual lifestyle.

[31]Eberhard Arnold, *God's Revolution* (Farmington, PA: Plough, 1992), 151.

[32]Stanley Hauerwas, *Unleashing the Scripture: Freeing the Bible from Captivity to America* (Nashville: Abingdon, 1993), 131.

[33]Michael J. Gorman, *Abortion and the Early Church: Christian, Jewish, and Pagan Attitudes in the Greco-Roman World* (New York: Paulist, 1982), 47-62.

[34]*Ethics*, 164.

[35]*Inner Land*, 155.

[36]Frederica Mathewes-Green, "Perspective." *The Plough 56* (Spring 1998), 33.

[37]If divorce and remarriage are never justified, then why does Jesus allow marital unfaithfulness as an exception? (Matt. 5:32,19:9) Without going into great detail, two things can be said. First, in Jesus` day a husband was required, by Jewish Law, to divorce an adulterous wife (e.g. Matt. 1:19). Thus, in Matt. 5:32, Jesus is saying that a man who divorces his unfaithful wife (which the law required he do) is not responsible, by this action, for her adultery. In any other kind of divorce, he is the culpable one; the adulterer. This does not mean that divorce is ever justifiable or required. When we come later to Matt. 19:9, then, the exception of marital unfaithfulness should be read to apply to divorce only and not to remarriage.

[38]For a detailed account of how divorce affects children, see chapter 5 of Glenn T. Stanton`s *Why Marriage Matters: Reasons to Believe in Marriage in Postmodern Society.* (Colorado Springs, CO: Pinon Press, 1997).

كتب أخرى من إصداراتنا

المسيحيون الأوائل

كتاب أعدّه العلامة اللاهوتي ايبرهارد آرنولد Eberhard Arnold حول حياة المسيحيين الأوائل التي تعرّي فتور وعولمة حياتنا المعاصرة وتضعنا أمام الرهان.

المهددون – طفلك في عالم معادٍ

بقلم يوهان كريستوف آرنولد Johann Christoph Arnold، وفيه كل ما يخص أمور التربية.

الصحوة

قصة حقيقية لمعركة القسيس الألماني بلومهارت Blumhardt مع الشياطين التي كانت تسكن امرأة من أهالي مدينته.

مسيرتي في البحث

قصة حقيقية عن رجل يهودي لم يعرف الملل ولا الكلل في بحثه عن الحياة الأخوية الحقيقية بالرغم من كل الاضطهاد والتهجير الذي لاقاه إلى أن وجدها.

في انتظاره فِعلٌ

مجموعة من مواعظ القسيس الألماني بلومهارت Blumhardt التي تدعو إلى توقع تدخل الله وملكوته في حياتنا لنتغيّر جذريا.